



الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

النجاة في ضوء القرآن الكريم

"دراسة موضوعية"

إعداد

الطالب: ناصر محمد محمد معروف

إشراف

الدكتور: رياض محمود قاسم

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية

٢٠٠٩م - ١٤٣٠هـ

الإهداء

إلى الحزن الدافئ والقلب الطاهر الذي عرفته ... أمي الحنونة "رحمها الله"

إلى قدوتي، وقرّة عيني، وطريقي إلى رضى ربي ... والدي الحبيب

إلى زوجتي رفيقة دربي التي أعاننتي بصبرها وجهدها

إلى أبنائي وبناتي وإخوتي وأخواتي وأصدقائي

أقدم هذا العمل المتواضع

شكر وتقدير

قال تعالى: {وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} (النمل ٤٠)
أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من أسهم، أو ساعد في هذا الحث، أو أسدى إلي نصيحة، أو توجيهاً.
وأخص بالذكر أستاذي الكريم المشرف على هذه الرسالة، الدكتور/ رياض قاسم، الذي منحني من جهده ووقته الكثير، وجاد عليّ بنصائحه النافعة؛ فأسأل الله تعالى أن يجزيه عني خير الجزاء.

كما وأتقدم بالشكر والتقدير لأستاذي الكريمين الفاضلين عضوي لجنة المناقشة الدكتور عبد السميع العرييد والدكتور زهدي أبونعمة لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، ليثرياها بتوجيهاتهما النافعة.

وأتوجه بالشكر والعرفان للجامعة الإسلامية -بغزة- والقائمين عليها عامّة، وكلية أصول الدين خاصة، وعلى رأسهم عميد كلية أصول الدين، الدكتور/ نسيم ياسين، وأساتذة قسم التفسير وعلوم القرآن.

ولا أنسى أن أتوجه بالشكر إلى زملائي الطلاب الذين رافقوني في دراستي، وقدموا لي النصح والإرشاد، وأخص منهم، الشيخ/ محمد خلة والأستاذ طارق عقيلان، وإلى كل من ساهم في إخراج هذا الجهد المتواضع.

فجزاهم الله خيراً

الباحث

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين، الذين دعوا إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة، فهدى الله بهم العباد، وفتح على أيديهم البلاد، تحقيقاً لسابق وعده: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } (النور ٥٥) فشكروا ربهم على ما هداهم إليه من هداية خلقه والشفقة على عباده، وجعلوا مظهر شكرهم بذل النفس والنفيس في الدعوة إلى الله تعالى، وصل اللهم على من لزم المحبة وحمل الحجة حتى لقي ربه سبحانه وتعالى أما بعد:

فإن العباد يعذبون على جهلهم بالله، وإضاعتهم لأوامره، وارتكابهم معاصيه، وإن الله لا يعذب نفساً عرفته، وأحبته، وامتثلت أوامره، واجتنبت نواهيه، قال تعالى: { فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا } (النساء ١٧٣). فهل يغفل عاقل عن طرق النجاة، فيضيع نفسه، وهل يوبق نفسه إلا جاهل، عاش لشهواته ولنفسه، فشتان بين من يبيع نفسه للشيطان، وبين من يبيع نفسه للرحمن، قال رسول الله ﷺ: [.....] والقرآن حجة لك أو عليك وكل الناس يغدوا فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها] (١)

ولقد اختلطت الأمور في زماننا، حتى أصبحت هموم غالب الناس في النجاة، لكن يا حسرتا، فهمومهم ليست في النجاة من عذاب الله، ولا النجاة من المساءلة، فلا الوقوف في حر شمس الآخرة، ولا السؤال من الله، ولا الصراط برغم ما فيه من كلاليب تنهش، ولا القنطرة التي تأخذ الحسنات، ولا دخول النار!! ليس كل ذلك هو همُّ غالب الناس في هذه الأيام، فغالب الناس همَّه النجاة من ضنك العيش، وقد كفاهم الله هم العيش، فقال تعالى: { وَكَلِمَاتٍ أَنْ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } (الأعراف ٩٦) إي والله، فهم غالب الناس النجاة في الدنيا فقط، النجاة بالكذب، وبسلب حقوق الناس، النجاة من الفقر، ومن الأمراض، والنجاة من ضيق المسكن، ومن العري، كل هذا هو هم غالب الناس في هذه الأيام، وكتاب الله في المقادير لا تغيير فيه ولا تبديل، قال النبي ﷺ: [إن الله كتب

1 صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء ح ٢٢٣

مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة...^(١) لذلك علم الزهاد حقيقة الدنيا فالتزموا، وقد " قيل لأحد الزهاد - على ما بنيت أمرك؟ قال: على التوكل على الله عز وجل، ثم قال: بنيت أمري على أربع خصال: على أن رزقي لا يأكله غيري، فاطمأنت به نفسي، وعلمت أن عملي لا يعمله أحد غيري، فلم أشتغل بغيره، وعلمت أن الموت يأتيني بغتة، فأنا أبادره، وعلمت أني لا أخلو من عين الله عز وجل حيث كنت، فأنا مستحي منه أبداً." (٢)

فالعاقل الذي يشخص العلة، ويعرف أن الدنيا دار ممر، وتحقيق النجاة فيها ليس هو أمان النفس، ولا سعادتها، إنما الأمان، والسعادة، والطمأنينة، في النجاة الحقيقية التي بها الأمان فلا خوف بعده، وبها النعيم فلا شقاء بعده، وبها الطمأنينة فلا قلق بعده، وهذا وإن تحصل بعضه في الدنيا، إنما هو بكماله لا يكون إلا يوم القيامة.

ولما كانت راحة النفس مع النجاة فقد قمت بالكتابة والبحث في هذا الموضوع القرآني والذي بعنوان: النجاة في ضوء القرآن الكريم "دراسة موضوعية".

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

تكمن أهمية هذا الموضوع، كونه يبحث في موضوع من موضوعات القرآن الكريم الهامة، والتي تحدد سبل النجاة من هموم الدنيا، وكرباتها، وأحداث الآخرة وأهوالها، ونظراً لأهميته أيضاً، فقد ذكر القرآن الكريم لفظة النجاة ومشتقاتها، في ست وستين موضعاً بألفاظٍ مختلفة، ولقد كان لاختيار هذا الموضوع أسباب عديدة أذكر أهمها:

- ١- غفلة الكثير من الناس عن أسباب النجاة في الآخرة، وانشغالهم بأسباب النجاة الدنيوية.
- ٢- رسم معالم النجاة وسبلها للذين أسرفوا على أنفسهم ووقعوا في حبال الشيطان.
- ٣- جهل بعض المؤمنين بأنواع النجاة، وتنوع مراتبها، للانتفاع بها في دنياهم وآخرتهم.
- ٤- تشجيع أستاذي فضيلة الدكتور/ رياض قاسم للبحث في هذا الموضوع، والخوض في غماره.
- ٥- حاجة المكتبة الإسلامية إلى بحث علمي محكم، يتناول هذا الموضوع من جوانبه المختلفة،

وفي إطار دراسة تفسيرية موضوعية.

1 صحيح مسلم ، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ح ٢٦٥٣

2 المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدينوري ص ٣٥٢ بتصرف يسير

أهداف البحث

لهذا البحث أهداف عديدة سامية أذكر أهمها:

- ١- ابتغاء مرضات الله سبحانه، فهو أهم هدف وأسمى غاية أرجوها من كتابة هذا البحث.
- ٢- رسم معالم النجاة وطرقها، الدنيوية منها والأخروية.
- ٣- التنبية على الأعمال المنجية من سخط الله في الدنيا وعذابه في الآخرة.
- ٤- بيان صفات الناجين، ومنزلتهم عند الله سبحانه.
- ٥- توضيح المفهوم القرآني للنجاة، وبيان أنواعها، ومراتبها، وذلك تنبيها للغافلين، وتحذيرا للعاصين.

الدراسات السابقة

بعد الإطلاع والبحث على الدراسات السابقة في هذا الموضوع، من خلال مراسلة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، والكشف في المكتبة الإلكترونية بالجامعة الإسلامية - غزة - وكذلك كتاب الكشاف عن رسائل الماجستير بالجامعة، لم أجد أي رسالة علمية تناولت هذا الموضوع من جميع جوانبه، حيث ورد هذا الموضوع على شكل إشارات، وذلك في بعض كتب العلماء، مثل ما ذكره الإمام الغزالي في إحيائه ربع المنجيات، وقوارب النجاة لفتحي يكن، وطريق النجاة دستور إسلامي لمحمد عبد الفتاح العفاني، وسبيل النجاة في الحب في الله لبسام الجابي.

أما هذا البحث العلمي فقد تناولت فيه هذا الموضوع من جميع جوانبه، وفي إطار دراسة موضوعية محكمة.

منهج البحث

لقد اعتمدت في بحثي هذا على المنهج الاستقرائي التحليلي وذلك كالتالي:

١. قمت بجمع الآيات القرآنية التي وردت فيها لفظة النجاة ومشتقاتها، والآيات المتعلقة بموضوع البحث.
٢. قمت بوضع كل مجموعة من الآيات تحت العنوان المناسب لها.
٣. قمت بكتابة الآيات القرآنية بالخط العثماني برواية حفص عن عاصم.
٤. قمت بتفسير الآيات من كتب التفسير القديمة منها والحديثة حسب الحاجة.
٥. قمت بعزو الآيات التي وردت في هذا البحث إلى سورها ذكرا اسم السورة مع رقم الآية بعد نهاية الآية المنقولة مباشرة وليس في الحاشية.

٦. قمت بالاستدلال بالأحاديث النبوية والآثار التي تخدم البحث وعزوتها إلى مصادرها مع تخريجها، فإن كانت في الصحيحين اكتفيت بالعزو إليهما أو إلى أحدهما، وإن كانت في غيرهما، اكتفيت بالعزو إلى مصادر السنة المشهورة التي أوردتها مع ذكر حكم العلماء المشهورين في الحديث عليها ما أمكن.
٧. قمت بعمل تراجم للأعلام المغمورين.
٨. قمت بتوثيق النصوص المنقولة في الهامش مبتدئاً بذكر اسم الكتاب فاسم المؤلف مختصراً مع إثبات الاسم كاملاً والبيانات التفصيلية في فهرس المراجع.
٩. نادراً ما استعنت بالمكتبة الشاملة الحديثة "الإلكترونية" وبالشبكة العنكبوتية (النت)
١٠. قمت بإعداد الفهارس اللازمة للآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والأعلام والمصادر والمراجع والموضوعات، وذلك لتسهيل الوصول إلى المطلوب.
- وتحقيقاً لهذه الأهداف والغايات، فقد جعلت خطة هذا البحث تشمل على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة وفهارس وذلك على النحو التالي:

المقدمة

وتشتمل على:

أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

التمهيد

النجاة ومشتقاتها في السياق القرآني

ويشتمل على:

أولاً: النجاة لغة.

ثانياً: النجاة اصطلاحاً.

ثالثاً: النجاة ومشتقاتها بين الآيات المكية والمدنية

الفصل الأول

المنجيات في القرآن الكريم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: النجاة بأعمال القلوب

وفيه ستة مطالب:

- المطلب الأول : الإيمان والتقوى
- المطلب الثاني : النية
- المطلب الثالث : الخوف والخشوع
- المطلب الرابع : المحاسبة والإنابة
- المطلب الخامس: الوفاء بالعهد وحفظ الأمانة
- المطلب السادس: الصبر والثبات

المبحث الثاني : النجاة بأعمال الجوارح

وفيه سبعة مطالب:

- المطلب الأول : الإصلاح وعدم الفساد
- المطلب الثاني : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- المطلب الثالث : ذكر الله
- المطلب الرابع : الجهاد في سبيل الله
- المطلب الخامس: الاستغفار
- المطلب السادس: بر الوالدين
- المطلب السابع : غض البصر وحفظ الفرج

الفصل الثاني

أنواع النجاة في القرآن الكريم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول : النجاة في الدنيا

وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول : النجاة من الغم والكرب
- المطلب الثاني : النجاة من الفقر
- المطلب الثالث : النجاة من زوال النعمة

- **المطلب الرابع** : النجاة من الضلال
- **المطلب الخامس** : النجاة من سكرات الموت
- المبحث الثاني** : النجاة في الآخرة
- وفيه أربعة مطالب:
- **المطلب الأول** : النجاة من عذاب القبر
- **المطلب الثاني** : النجاة من الفزع الأكبر
- **المطلب الثالث** : النجاة من الحساب والصراف
- **المطلب الرابع** : النجاة من النار

الفصل الثالث

الناجون في القرآن الكريم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأمم الناجية.

وفيه ستة مطالب:

- **المطلب الأول** : نجاة نبي الله نوح ومن معه
- **المطلب الثاني** : نجاة نبي الله صالح ومن معه
- **المطلب الثالث** : نجاة نبي الله لوط ومن معه
- **المطلب الرابع** : نجاة نبي الله شعيب ومن معه
- **المطلب الخامس** : نجاة نبي الله موسى ومن معه
- **المطلب السادس** : نجاة النبي محمد ﷺ والمؤمنين من بطش المشركين

المبحث الثاني: الأنبياء والأفراد الناجون

وفيه ستة مطالب:

- **المطلب الأول** : نجاة إبراهيم عليه السلام من الحرق
- **المطلب الثاني** : نجاة يوسف عليه السلام من محنه
- **المطلب الثالث** : نجاة يونس عليه السلام من بطن الحوت
- **المطلب الرابع** : نجاة عيسى عليه السلام من القتل
- **المطلب الخامس** : نجاة صاحب نبي الله يوسف من القتل والسجن
- **المطلب السادس** : نجاة مؤمن آل فرعون من القتل

الفصل الرابع

أصناف الناجين ومراتبهم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أصناف الناجين

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول:** أقسام الناس يوم القيامة
- **المطلب الثاني:** أقسام المؤمنين يوم القيامة

المبحث الثاني: مراتب الناجين

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول:** الذين لم تسعفهم أعمالهم
- **المطلب الثاني:** الذين أسعفتهم أعمالهم

الخاتمة

وفيها: أهم النتائج والتوصيات

الفهارس

وفيها: فهرس: الآيات والأحاديث والأعلام والمراجع والموضوعات.

التمهيد

- أولاً: النجاة لغة
- ثانياً: النجاة اصطلاحاً
- ثالثاً: النجاة ومشتقاتها بين الآيات المكية والمدنية

التمهيد

النجاة ومشتقاتها في السياق القرآني

خلق الله الخلق، وقدر لهم العيش في الحياة الدنيا، وجعلها دار عمل واختبار، لتكون طريقاً إلى الآخرة، ولن يترك الله أحداً دون ابتلاء، قال تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت ٢) والابتلاء يصنّف الناس، فمنهم من يرضى، ولا يزداد من الله تعالى إلا قرباً، ومنهم من يسخط فيبتعد عن الله، فيهلك. قال رسول الله ﷺ: [إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَاءُ، وَمَنْ سَخَطَ فَلَهُ السَّخَطُ].^(١) لذلك جعل الله الحياة تحفها الشدائد، والمؤمن إن لم يكن في حصن من الله، معتصماً به، فهو لا شك هالك. لذلك رأى الباحث أن يبدأ بحثه في الحديث عن النجاة ومشتقاتها في السياق القرآني، لتتعرف على النجاة، ونرى استعمالاتها في القرآن الكريم.

وللوقوف على حقيقة النجاة لا بدّ من معرفة المعنى اللغوي لهذه الكلمة، وكذا المعنى الاصطلاحي، وملاحظة مدى العلاقة بينهما. وكذا من خلال استعراض ورود هذه الكلمة في القرآن الكريم، وملاحظة استعمال القرآن المكي والمدني لها، وذلك كما يلي:

أولاً- النجاة لغة:

النجاة من النجوة، قال ابن فارس: "النون والجيم والحرف المعتل أصلان، يدلُّ أحدهما على كَشَطٍ وكشف، والآخر على سترٍ وإخفاء. فيقال: نَجَا الإنسانُ ينجو نجاةً، ونجاءً في السرعة، وهو معنى الذهاب والانكشاف من المكان، وناقاةٌ ناجيةٌ ونجاةٌ: سريعة".^(٢) والنجاء الخالص من الشيء، نَجَا يَنْجُو نَجْوًا وَنَجَاءً، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُنَجِّوْكَ وَأَهْلَكَ﴾ (العنكبوت ٣٣) أي نخلصك من العذاب وأهلك. ومعنى نجوت الشيء في اللغة خلصته وألقيته، والنجوة والنجاة ما ارتفع من الأرض فلم يعطه السيل، وقوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ (يونس ٩٢) أي نجعلك فوق نجوة من الأرض فنظهرك. والنجوة المكان المرتفع الذي تظن أنه نجاؤك.^(٣) وقال ابن الجوزي: "نجيت فلاناً أنجيه، إذا خلصته من شرٍّ وقع فيه."^(٤)

1- سنن الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله ، باب ما جاء في الصبر والبلاء ح ٢٣٩٦ حسنه الألباني.

2- معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج ٥ ص ٣٩٧

3- انظر جمهرة اللغة لابن دريد ج١ص٢٤٩ ، وتاج العروس من جواهر القاموس للمرطضى الزبيدي ج ١

ص ٨٦١٣

4- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لأبي الفرج بن الجوزي ج ١ ص ٥٨٢

ثانياً - النجاة اصطلاحاً:

ذكر صاحب معجم الفروق اللغوية عند تفريقه بين النجاة والفوز يقول: "والنجاة وحدها لا تكفي للسعادة. فربما ينجو الإنسان من العذاب ولكن لا يصل إلى مراده. لذلك فهو بحاجة لنيل المراد المحبوب. ولا يكون هذا إلا بالفوز والهداية. والفرق بين النجاة والفوز: أن النجاة هي الخلاص من المكروه، والفوز هو الخلاص من المكروه مع الوصول إلى المحبوب. ولهذا سمى الله تعالى المؤمنين فائزين لنجاتهم من النار ونيلهم الجنة".^(١)

وعليه فيمكنني القول أن النجاة الحقيقية هي: الخلاص من المكروه ونيل المراد بالفوز والهداية. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ (ال عمران ١٨٥)

وبهذا تتضح العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي في كون كل منهما كشف وخلص وذهب وستر.

ثالثاً - النجاة في القرآن الكريم:

أ - ورود لفظة النجاة ومشتقاتها في القرآن الكريم

والمراد هنا أن نحصي عدد الآيات التي وردت فيها النجاة ومشتقاتها في السياق القرآني بين المكي والمدني، لتتضح لنا الصورة الحقيقية التي نزلت فيها الآيات وأهم العظات والدلالات التي تستنبط من هذا الإحصاء لهذه الآيات :

م	المادة	الآية	السورة	رقم الآية	النزول
١	نجيناكم	{وَأِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ}	البقرة	٤٩	مدنية
٢	فأنجيناكم	{وَأِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ}	البقرة	٥٠	مدنية
٣	ينجيكم	{قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ}	الأنعام	٦٣	مكية
٤	أنجانا	{لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ}	الأنعام	٦٣	مكية
٥	ينجيكم	{قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمَنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ}	الأنعام	٦٤	مكية
٦	فأنجيناها	{فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ}	الأعراف	٦٤	مكية
٧	فأنجيناها	{فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا}	الأعراف	٧٢	مكية

1- انظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري: ص ٢١٠

م	المادة	الآية	السورة	رقم الآية	النزول
٨	فأنجيناه	{فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ }	الأعراف	٨٣	مكية
٩	نجانا	{قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا }	الأعراف	٨٩	مكية
١٠	أنجيناكم	{وَأِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ }	الأعراف	١٤١	مكية
١١	أنجينا	{فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ }	الأعراف	١٦٥	مكية
١٢	أنجيتنا	{ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لئنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ }	يونس	٢٢	مكية
١٣	أنجاهم	{فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ }	يونس		مكية
١٤	فنجيناه	{فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ }	يونس	٧٣	مكية
١٥	ونجنا	{وَنَجَّيْنَا بَرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ }	يونس	٨٦	مكية
١٦	ننجيك	{قَالِيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لِنَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً }	يونس	٩٢	مكية
١٧	ننجي	{ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا }	يونس	١٠٣	مكية
١٨	ننج	{ كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ }	يونس	١٠٣	مكية
١٩	نجينا	{وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ }	هود	٥٨	مكية
٢٠	نجيناهم	{وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابِ غَلِيظٍ }	هود	٥٨	مكية
٢١	نجينا	{فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ }	هود	٦٦	مكية
٢٢	نجينا	{وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ }	هود	٩٤	مكية
٢٣	أنجينا	{فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَعِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ }	هود	١١٦	مكية
٢٤	ناج	{وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ }	يوسف	٤٢	مكية
٢٥	نجا	{وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ }	يوسف	٤٥	مكية

م	المادة	الآية	السورة	رقم الآية	النزول
٢٦	نجي	{حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ}	يوسف	١١٠	مكية
٢٧	أنجاكم	{وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ}	ابراهيم	٦	مكية
٢٨	منجوهم	{إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ}	الحجر	٥٩	مكية
٢٩	نجاكم	{وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا}	الإسراء	٦٧	مكية
٣٠	ننجي	{ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا}	مريم	٧٢	مكية
٣١	فنجيناك	{وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ}	طه	٤٠	مكية
٣٢	أنجيناكم	{يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ}	طه	٨٠	مكية
٣٣	فأنجيناهم	{ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ}	الأنبياء	٩	مكية
٣٤	ونجيناها	{وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ}	الأنبياء	٧١	مكية
٣٥	ونجيناها	{وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سُوءٍ فَاسْقِينَ}	الأنبياء	٧٤	مكية
٣٦	فنجيناها	{رَبُّوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ}	الأنبياء	٧٦	مكية
٣٧	ونجيناها	{فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ}	الأنبياء	٨٨	مكية
٣٨	ننجي	{فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ}	الأنبياء	٨٨	مكية
٣٩	نجانا	{فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}	المؤمنون	٢٨	مكية
٤٠	وأنجينا	{وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ}	الشعراء	٦٥	مكية

م	المادة	الآية	السورة	رقم الآية	النزول
٤١	ونجني	{فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}	الشعراء	١١٨	مكية
٤٢	فأنجيناه	{فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ}	الشعراء	١١٩	مكية
٤٣	نجني	{رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ}	الشعراء	١٦٩	مكية
٤٤	فنجيناه	{فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ}	الشعراء	١٧٠	مكية
٤٥	وأنجينا	{وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}	النمل	٥٣	مكية
٤٦	فأنجيناه	{فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ}	النمل	٥٧	مكية
٤٧	نجني	{فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}	القصص	٢١	مكية
٤٨	نجوت	{فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}	القصص	٢٥	مكية
٤٩	فأنجيناه	{فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ}	العنكبوت	١٥	مكية
٥٠	فأنجاه	{فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}	العنكبوت	٢٤	مكية
٥١	لننجينه	{قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ}	العنكبوت	٣٢	مكية
٥٢	منجوك	{وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ}	العنكبوت	٣٣	مكية
٥٣	نجاهم	{فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلِّ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ}	العنكبوت	٦٥	مكية
٥٤	نجاهم	{وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلْمِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ}	لقمان	٣٢	مكية

م	المادة	الآية	السورة	رقم الآية	النزول
٥٥	نجيناه	{وَنَجِّيَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ}	الصافات	٧٦	مكية
٥٦	نجيناهما	{وَنَجِّيَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ}	الصافات	١١٥	مكية
٥٧	نجيناه	{إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ}	الصافات	١٣٤	مكية
٥٨	وينجي	{وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}	الزمر	٦١	مكية
٥٩	النجاة	{رَبِّ يَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ}	غافر	٤١	مكية
٦٠	ونجينا	{وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}	فصلت	١٨	مكية
٦١	نجينا	{وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ}	الدخان	٣٠	مكية
٦٢	نجينا	{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ}	القمر	٣٤	مكية
٦٣	تنجيكم	{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنَجِّيْكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ}	الصف	١٠	مكية
٦٤	ونجني	ضَرَبَ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ	التحریم	١١	مكية
٦٥	ونجني	{وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}	التحریم	١١	مكية
٦٦	ينجيه	{رَمَنَ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنَجِّيه}	المعارج	١٤	مكية

ب - مواضع النجاة ومشتقاتها في المكي والمدني

نلاحظ مما سبق أن كلمة النجاة ومشتقاتها جاءت في ستة وستين موضعاً، موزعاً على سبع وعشرين سورة من سور القرآن الكريم، منها أربع وعشرون سورة مكية وأحد وستين موضعاً، وثلاث سور مدنية، وأوردت خمسة مواضع، وهي كالتالي:

١ - السور المكية وعدد المواضع

م	السورة	المواضع	م	السورة	المواضع
١	الأُنعام	٣	١٣	الشعراء	٥
٢	الأعراف	٦	١٤	النمل	٢
٣	يونس	٧	١٥	القصص	٢
٤	هود	٥	١٦	العنكبوت	٥
٥	يوسف	٣	١٧	لقمان	١
٦	ابراهيم	١	١٨	الصافات	٣
٧	الحجر	١	١٩	الزمر	١
٨	الإسراء	١	٢٠	غافر	١
٩	مريم	١	٢١	فصلت	١
١٠	طه	٢	٢٢	الدخان	١
١١	الأنبياء	٦	٢٣	القمر	١
١٢	المؤمنون	١	٢٤	المعارج	١

٢ - السور المدنية وعدد المواضع

م	السورة	المواضع	م	السورة	المواضع
١	البقرة	٢	٣	التحريم	٢
٢	الصف	١			

يتبين للباحث من خلال مواضع مادة النجاة في السور المكية ما يلي:

١ - أن غالب الآيات جاءت في باب الإخبار. حيث جاءت في خمسة وأربعين موضعاً من واحد وستين موضعاً، مثال ذلك: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت ٢٤) ومنها قوله تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (النمل ٥٧)، ومن المؤكد أن ذلك حثاً لطلب النجاة وترغيباً فيها، وخاصة إذا عرفنا أن السور المكية كانت تركز على القضايا العقدية، التي كانت هي رسالة الإسلام في بدايتها.

٢- باقي المواضع جاءت من باب التذكير بالنعمة ، كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبُرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (الأنعام ٦٣) وكقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام ٦٤) وإن دل هذا فإنما يدل على رحمة الله بعباده حيث يُذكرهم بنعمه عليهم؛ ليرغبهم في الاستقامة على دينه، ومن ثم يكون لهم الفوز بالدنيا والآخرة.

كما يتبين للباحث من خلال مواضع مادة النجاة في السور المدنية ما يلي:

- ١- أن المواضع في سورة البقرة جاءت في جانب التذكير بالنعمة والحث على شكرها، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (البقرة ٥٠)
- ٢- وأنّ المواضع في سورة الصف فقد جاء بصيغة الاستفهام قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنَجِّيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (الصف ١٠) ليرغب في النجاة.
- ٣- وأنّ المواضع في سورة التحريم جاءت في جانب الإخبار عن دعوة امرأة فرعون وذلك في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (التحريم ١١)

ج- وجوه النجاة في القرآن الكريم

- وقد أشار ابن الجوزي والدامغاني أن النجاة في القرآن الكريم وردت على أربعة أوجه^(١):
- الأول: الخلاص من الضرر. ومنه قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ (البقرة ٤٩)
 - الثاني: السلامة من الهلاك. ومنه قوله تعالى في سورة يونس: ﴿ثُمَّ نَجَّيْنَا رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس ١٠٣)، وفي سورة الشعراء: ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ (الشعراء ٦٥)
 - الثالث: الارتفاع. ومنه قوله تعالى في يونس: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ (يونس ٩٢) أيّ نرفعهك على أعلى البحر.
 - الرابع: التوحيد. ومنه قوله تعالى في سورة غافر: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ (غافر ٤١) قال ابن الجوزي: "وقد استعملت النجاة هنا مقابل النار، ولا تعني النجاة من النار سوى دخول الجنة كما هو في الآية التي تسبق تلك من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (غافر ٤٠)".^(٢)

1- انظر نزهة الأعين النواظر ج ١ ص ٥٨٢، وانظر الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، لأبي عبد الله

الدامغاني ص ٤٣٨

2- انظرا لمرجع السابق ج ١ ص ٥٨٢

الفصل الأول

المنجيات في القرآن الكريم

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: النجاة بأعمال القلوب
- المبحث الثاني : النجاة بأعمال الجوارح

الفصل الأول

المنجيات في القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ *تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الصف ١٠-١١)

هذه الآية من أعظم الآيات التي تجذب الراغبين في النجاة، فما أجمل التشويق فيها، حقاً إنها في غاية الروعة، تدعو إلى عقد التجارة التي لا خسارة فيها، فطوبى لمن سارع وعقد التجارة، وتعس، ثم تعس، من ضل وابتعد، واستبدل تجارة الرحمن بتجارة الشيطان. فالضلال كل الضلال للإعراض عن تجارة الله، فالضلال والشقاء ملازمان للإعراض عن دين الله والهداية والسعادة ملازمان لاتباع دين الله، والشقاء الحقيقي هو الشقاء في الآخرة والشقاء الحقيقي في ترك الهدى مهما ظنَّ ظانٌّ أن السعادة في غير ذلك.^(١)

والناظر بعين البصر والبصيرة إلى الخلق، يجدهم غادين جادّين في بيع أنفسهم؛ ففائز رابح، ومغبون خاسر، فرابح قد ربح ميزانه، وخاسر أوبقته عدوانه، رابح دان نفسه وحاسبها، وعمل لما بعد الموت، فزكا وصعد بها وارتقى، وخاض المتاعب، وركب الأهوال وانتقى، وإلى العلياء ارتقى، فكان الكيس العاقل الفاطن، الذي خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى.

وآفة المرء الهوى، فمن تسامى على هواه فقد نجا، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (فصلت: ٤٦) وأي عمل لا يمكن أن يكون صالحاً إلا إذا وافق عمل الجوارح عمل القلب، ففساد القلب يفسد الجوارح كما هو معروف، وهذا دفع الباحث أن يعرض لأعمال القلوب وأعمال الجوارح في بحثين.

1- انظر الأساس في التفسير لسعيد حوى ج٧ ص ٣٤١

المبحث الأول

النجاة بأعمال القلوب

وفيه ستة مطالب

- **المطلب الأول : الإيمان والتقوى**
- **المطلب الثاني : النية**
- **المطلب الثالث : الخوف والخشوع**
- **المطلب الرابع : المحاسبة والإنابة**
- **المطلب الخامس : الوفاء بالعهد وحفظ الأمانة**
- **المطلب السادس : الصبر والثبات**

المبحث الأول: النجاة بأعمال القلوب

قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء ٨٨-٨٩)

القلب، هذه المضغة التي يغفل الناس عنها، فقلما نجد من يحاول تطهيرها وتزيينها رغم أنها محل نظر الله، فالناس يقفون أوقاتاً طويلة وهم يصلحون من هيئاتهم ويزينون أجسامهم وهي محل نظر المخلوق، الذي ليس بيده ضررٌ ولا نفعٌ، قال رسول الله ﷺ: [إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم].^(١)

وأعمال القلوب أهم من أعمال الجوارح، ففساد القلوب فساد للجوارح وصلاح القلوب صلاح للجوارح، قال رسول الله ﷺ: [.. أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مِضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ] ^(٢) والله يقبل عمل القلب إذا كان قاصداً لله، حتى ولو صدر عنه مذمة في ذات الله، قال رسول الله ﷺ: [لَلَّهْ أَشَدُّ فَرَحًا بِتُوبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشِرَابُهُ، فَأَيْسَ مِنْهَا، فَآتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ هِيَ قَائِمَةٌ عِنْدَهُ، فَاخَذَ بِخَطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ]. ^(٣) فهذا الرجل لم يؤاخذ الله تعالى بما نطق لسانه، لأن قلبه يقصد التناء عليه تعالى.

وكذلك فإن الله يكتب للعبد بأعمال قلبه ما لم يعمل به بجوارحه. ففي غزوة تبوك تخلف عدد ممن لم يجدوا ما يحملهم للخروج مع رسول الله ﷺ كان النبي ﷺ في غزاة فقال: [إن أقواماً بالمدينة خلفنا ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا فيه حبسهم العذر]. ^(٤)

ثم إن صلاح القلوب يضبط الجوارح فلا يصدر عنها إلا الخلق الحسن الذي يصل العبد به منزلة لا يصلها قائم الليل صائم النهار، قال النبي ﷺ: [إن المؤمن ليبلى بحسن خلقه درجة الصائم القائم]. ^(٥)

بل إن أعمال القلوب سبب في النجاة ودخول الجنة، فقد ورد أن رسول الله ﷺ قال: [يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فتبعه عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ فلم يجد له كثير عمل

1- صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله ح ٢٥٦٤.

2- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من استبرأ لدينه ح ٥٢.

3- صحيح مسلم كتاب التوبة، باب الحض على التوبة والفرح بها ح ٢٧٤٧.

4- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: من حبسه العذر عن الغزو ح ٢٨٣٩.

5- سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق ح ٤٧٩٨ صححه الألباني.

يتفضل به، غير أنه يبيت وليس في قلبه شيء لأحد من المسلمين، فيقول له عبد الله: هذه التي بَلَغَتْ بك وهي التي لا نطيق].^(١)

إنّ النجاة لا تكون إلا بصلاح القلوب وقصدها، وقد رأى الباحث أن يتناول بعض أهم أعمال القلوب على النحو التالي:

المطلب الأول: الإيمان والتقوى

قال تعالى: ﴿وَنَجِّينَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (فصلت ١٨)

والمعنى "أي يتقون الشرك والأعمال الخبيثة".^(٢) فليس هناك ضمان للنجاة بغير الإيمان والتقوى.

والإيمان والتقوى سبب في النجاة من الهلاك في الدنيا، وسبب في النجاة من النار، والفوز بالجنان يوم القيامة، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ* الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ* لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (يونس ٦٣-٦٤) والمعنى: "أي آمنوا به وبرسوله وبكل ما جاء به رسوله عن ربه، وكانوا يتقون طوال حياتهم، وسائر ساعاتهم، سخط الله تعالى، فلا يتركون واجباً هم قادرون على القيام به، ولا يَغشَوْنَ محرماً لم يُكرهوا عليه. وقوله: {لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}: أي لهم بشرى ربهم في كتابه برضوانه ودخول الجنة، ولهم البشرى بذلك عند الاحتضار، تبشرهم الملائكة برضوان الله وجزائه، وفي الآخرة عند قيامهم من قبورهم، تتلقاهم الملائكة بالبشرى. وقوله: {لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ}: أي لوعده الذي يعده عباده الصالحين، لأن الوعد بالكلمة، وكلمه الله لا تبدل. الفوز: النجاة من النار ودخول الجنة".^(٣)

ومن خلال الآيات نرى أن الإيمان وحده دون التقوى والعمل، لا يكفي للنجاة، وهذا الذي يظهر أيضاً من قصة إبليس عليه لعنة الله، فإبليس ربما يكون من أكثر المخلوقات إيماناً. فقد عبد الله مع الملائكة، وعابن خلق آدم بنفسه، كما يظهر ذلك من خلال قسمه بالله عز وجل ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (ص ٨٢) لكن إيمانه لم يدفعه إلى التقوى، والعمل، فكان من الملعونين، المطرودين من رحمة الله. لذلك ربط الله الإيمان بالتقوى في الآيات، ليدل أن كليهما لا ينفصل عن الآخر. والإيمان والتقوى لهما ثمرات يجنيها المؤمن في الدنيا والآخرة.

1- مسند الإمام أحمد بن حنبل، باقي مسند المكثرين، مسند أنس بن مالك ح ٢٢٨٦٠ احسنه شعيب الأرنؤوط.

2- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ج ٦ ص ١٠٩.

3- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لأبي بكر الجزائري ج ٢ ص ٤٨٧.

أولاً - تجنب العذاب في الدنيا

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام ٨٢) قال ابن كثير: "أي هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له، ولم يشركوا به شيئاً هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة".^(١) عن عبد الله بن مسعود قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أينما لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان ١٣).^(٢)

إنّ الأمان من الهلاك في الدنيا، يكون بالهداية التي تكون بالإيمان الخالص دون شرك، وهذا أمل كل عاقل يرجو العيش بأمن واستقرار، فطبع الإنسان أن يعيش وهو ينظر إلى مستقبل واعد يحلم في تحقيقه، وأي حلم لكي يتحقق لا بد له من مقومات أساسية لا غنى للإنسان عنها، وأول هذه الأساسيات: أن يأمن على نفسه من الهلاك - ما يؤدي إلى الموت - وأن يأمن على نفسه من أعدائه، فإذا استطاع أن يوفر هاتين النقطتين، فمن السهل أن يحصل على الأمور الأخرى من المال وغيره لتحقيق حلمه، فغاية الإنسان في الدنيا أن يحقق الأمان من الهلاك، والأمان من الهزائم.

أ - الأمان من الهلاك

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (يونس ٩٨) هذه الآية تظهر أنّ الإيمان بالله سبب في إنقاذ قوم يونس عليه السلام من عذاب محتوم، قال ابن كثير: "فهلا كانت قرية آمنت بكمالها من الأمم الذين بعثنا إليهم الرسل،... والغرض أنه لم توجد قرية آمنت بكمالها بنبيهم ممن سلف من القرى إلا قوم يونس، وهم أهل نينوى، وما كان إيمانهم إلا خوفاً من وصول العذاب الذي أنذرهم به رسولهم بعدما عاينوا أسبابه، وخرج رسولهم من بين أظهرهم، فعندما جأروا إلى الله، واستغاثوا به، وتضرعوا له، واستكانوا، وأحضرُوا أطفالهم، ودوابهم، ومواشيهم، وسألوا الله تعالى أن يرفع عنهم العذاب الذي أنذرهم به نبيهم، فعندها رحمهم الله، وكشف عنهم العذاب، وأخروا كما قال تعالى: { إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ }"^(٣) ويتضح من ذلك أن قوم يونس عليه السلام لم يؤمنوا فقط؛ بل قدموا الأعمال الصالحة، حتى أنهم عاقبوا أنفسهم وتقربوا إلى الله بالأعمال الصالحة والدعاء.

1- تفسير ابن كثير للحافظ محمد ابن كثير ج ٢ ص ٢٠٢.

2- صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: واتخذ الله إبراهيم خليلاً ح ٣٣٦٠.

3- تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٥٢.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: [إن يونس كان وعد قومه العذاب، وأخبرهم أنه يأتيهم إلى ثلاثة أيام، ففرقوا بين كل والدته وولدها، ثم خرجوا فجأروا إلى الله، واستغفروه، فكف الله عنهم العذاب].^(١) وقد اختلف المفسرون هل كشف عنهم العذاب الأخرى مع الديوي، أم كشف عنهم العذاب في الدنيا فقط؟ على قولين:

الأول: إنما كان ذلك في الحياة الدنيا كما هو مقيد في هذه الآية.
والثاني: كشف الله عنهم العذاب في الدنيا والآخرة، لقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ (يونس ١٤٧) فأطلق عليهم الإيمان، والإيمان منقذ من العذاب الأخرى، وهذا هو الظاهر والله أعلم.^(٢)

وقد يقال هنا، لماذا أغرق الله تعالى فرعون بعدما قال: إنه آمن، ونجا قوم يونس، فما الفرق بينهما، ونقول: إن الله تعالى علم أن إيمان فرعون إنما كان اضطراراً لا اختياراً، ولو عاد إلى الدنيا لضل، وأضل. وفرعون آمن ثلاث مرات، أولها: قوله: ﴿ءَامَنْتُ﴾ (يونس ٩٠) وثانيها: قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ (يونس ٩٠) وثالثها: قوله: ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس ٩٠) فما السبب في عدم القبول؟ والله تعالى متعال عن أن يلحقه غيظ، وحقد، حتى يقال: إنه لأجل ذلك الحقد لم يقبل منه هذا الإقرار. والرد على ذلك: أنه آمن عند نزول العذاب، وهنا لا تقبل التوبة، كما أن إقراره كان مبنياً على محض التقليد، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾، ثم لعله أقر بوحداية الله ولم يقر بنبوة موسى.^(٣) وهذا بالطبع خلاف قوم يونس رضي الله عنه الذين أصبحوا قوماً صالحين طائعين مؤمنين، والله تعالى يريد من عباده إيمان الاختيار، لا إيمان الإكراه، والاضطرار، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَآذَ الْخَرْبِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ وبارتباط القلوب مع الله، تصبح في مأمن من عذابه، بل يدفع الله عنها كل سوء، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (الحج ٣٨).

ب - الأمان من الهزائم

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الأنفال ٢٩) قال ابن كثير: " {فُرْقَانًا} نجاة، وقيل: نصراً، وقيل: إن المراد بالفرقان المخرج، يشهد له قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (الطلاق ٢)"^(٤)

1- مصنف ابن أبي شيبة، باب ما ذكر فيما فضل به يونس بن متى ج ٦ ص ٣٣٨.

2- انظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٥٣.

3- انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ج ١٧ ص ١٢٦.

4- تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٨٩ بتصرف يسير.

والقول بأنه النجاة، أو النصر، راجع في المعنى إلى هذا؛ لأن من جعل الله له مخرجاً، أنجاه ونصره. وهذا حضٌّ على التقوى، وترغيب فيها، بذكر أعظم النتائج لها، وهي:

١ - إعطاء الفرقان، وهو النصر، والفصل بين كل مشتبه، والتمييز بين الحق والباطل، والضرار والنافع، والصحيح والفاقد.

٢ - تكفير السيئات.

٤ - مغفرة الذنوب.

٥ - الأجر العظيم الذي هو الجنة ونعيمها.^(١)

فالتقوى هي الزاد الدائم للإنسان في الحياة، وهي قمة المكارم الأخلاقية التي يتصف بها الإنسان؛ لأنه من خلالها تنتشعب جميع الصفات المحمودة، فهذه الفضيلة أراد بها الله تعالى في القرآن أن تحكم علاقة الإنسان بهذا الوجود وما فيه، وبين الإنسان وخالقه، فالتقوى هي جعل النفس في وقاية، أي أن يجدهك الله في مواضع الطاعة له، ويفتقدك في كل مواضع المعصية. فالمتقون هم أهل الفضائل، وقد اعتنى القرآن الكريم بالتقوى عناية كبرى، وأكثر من توجيه النفوس إليها، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأعراف ٢٦) وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة ١٩٤) فالتقوى هي سبب السعادة والنجاة وتفريج الكروب.

ثانياً: الفوز بالجنة:

قال تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ (آل عمران ١٩٨) قد تضمنت هذه الآية استدراكاً حسناً، وهو: لما ذكر في الآيتين التي قبلها مآل الكافرين،^(٢) وهو شر مآل، جهنم وبئس المهاد، ذكر في هذه الآية مآل المؤمنين، وهو خير مآل: ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، وما عند الله تعالى من النعيم المقيم في دار السلام خير لأهل الإيمان والتقوى من الدنيا وما فيها، فلا يضرهم أن يكونوا فقراء، وأهل الكفر أغنياء موسرين.^(٣)

فنعيم الدنيا منقطع زائل، ونعيم الآخرة دائم. عن النبي ﷺ قال: [ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليمِّ، فلينظر بم يرجع].^(٤) فأى فوز أكبر من الفوز بالجنة، وأي

1 - انظر أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج ٢ ص ٣٠٠.

2 - الآيات التي قبلها هي قوله تعالى: ﴿لَا يَغْرَتُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ وَيَبْسُ الْمَهَادُ﴾ (آل عمران ١٩٦-١٩٧).

3 - انظر تفسير الطبري ج ٦ ص ٣٢٥، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج ١ ص ٤٣٠.

4 - صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب، فناء الدنيا وبيان الحشر والجنة يدخلها الضعفاء ح ٢٨٥٨.

نعيم أكبر من نعيمها، فهي أعظم ثمرة من ثمرات الإيمان، الإيمان الذي بمجرد الالتزام به، يكون المؤمن مستمسكاً بالعروة الوثقى، التي من تمسك بها فقد نجا، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ (البقرة ٢٥٦)، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ (لقمان ٢٢) ويكفي من الإيمان بالله وتوحيده، أن فيه النجاة من العذاب الأليم، قال رسول الله ﷺ: [يصاح برجل من أمّتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فينشر له تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل مد البصر، ثم يقول الله عز وجل: هل تتكر من هذا شيئاً؟ فيقول لا يارب، فيقول: أظلمت كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا، ثم يقول: ألك عذر؟ ألك حسنة؟ فيهاب الرجل، فيقول لا، فيقول الله تعالى: بلى، إن لك عندنا حسنات، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة فيها، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، قال: فيقول: يا رب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات، فيقول إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وتقلت البطاقة^(١) فالإيمان وكلمة التوحيد، من أعظم حصون النجاة، عن أبي ذر أن النبي ﷺ قال: [ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك، إلا دخل الجنة. قال أبو ذر قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق رغم أنف أبي ذر].^(٢)

فإن كانت المعاصي مع الإيمان وكلمة التوحيد تذوب، ويدخل صاحبها في رحمة الله والجنة، فكيف إذا تزين الإيمان بالتقوى، ففي أي الجنان سيكون؟ قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ (الرعد ٣٥) وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (محمد ١٥) هذه الآية الكريمة تضمنت شروحا وافية لأنهار الجنة، وشراب أهل النار، كما اشتملت على مقارنة بين حال أهل الإيمان والتقوى، وما وعدوا به من مغفرة ذنوبهم وإدخالهم الجنة، وبين حال أهل النار وهم خالدون فيها، وما وعدوا فيها من ألوان العذاب الشديد، فقوله تعالى ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ أي صفتها الممثلة لها الشارحة لحالها التي وعد المتقون، وهم أولياؤه الذين عبدوه ووحده فأتاعوه في الأمر والنهي.^(٣) فكان أن وعدهم الله الفوز بالجنة.

1- سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة ح ٤٣٠٠ صححه الألباني.

2- صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب الثياب البيض ح ٥٨٢٧ .

3- انظر أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج ٥ ص ٧٨.

المطلب الثاني النية

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ (الشورى ٢٠)

قال الإمام الطبري: "يقول تعالى ذكره: من كان يريد بعمله الآخرة، {نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ}. يقول: نَزِدْ لَهُ فِي عَمَلِهِ الْحَسَنِ، فَجَعَلَ لَهُ بِالْوَحْدَةِ عَشْرًا، إِلَى مَا شَاءَ رَبُّنَا مِنَ الزِّيَادَةِ {وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا} يقول: وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا وَلَهَا يَسْعَى لِلاَّخِرَةِ، نُؤْتِهِ مِنْهَا مَا قَسَمْنَا لَهُ مِنْهَا".^(١)

من هنا يتبين مدى أهمية النية في النجاة، فالنية كما قال ابن حزم: "هي سر العبودية، وهي من الأعمال بمنزلة الروح من الجسد، ومُحال أن يكون في العبودية عمل لا روح فيه، إذ هو بمنزلة الجسد الذي لا روح فيه، فهو جسد خراب".^(٢) والنية تشكل عصب هذا الدين، فعليها مدار القبول والرد، وبسببها يكون القبول والرد، وكذلك الخلود في الجنة وفي النار.

أولاً: النية سبب في القبول

عن النبي ﷺ قال: [كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، ثم عرضت له التوبة، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب فأتاه، فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل له من توبة؟ فقال: لا. فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم، فقال: إنه قد قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا انتصف الطريق أتاه ملك الموت، فقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجلوه بينهم، فقال قيسوا ما بين الأرضين، فألوا أيهما كان أدنى، فهو له، ففاسوا، فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة]^(٣) وبالتأمل في صفحة هذا الرجل، نجد أنه لم يحو في صحيفته من الأعمال سوى العمل الفاسد، وعلى رأس هذه الأعمال، قتل مئة نفس، فأى عمل ينجيه، لقد توعد الله القاتل بقوله، ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء ٩٣) ومع ذلك تأتي النية لتنجي هذا العبد، فهو عندما خرج من بلده، كان قاصداً التوبة والعبادة والاستقامة، فكان هذا القصد كافياً لنجاته، مع ما كان منه من إسراف على نفسه.

1- تفسير الطبري لابن جرير الطبري ج ٢٠ ص ٤٩١.

2- أعمال القلوب للمنجد ص ٧.

3- صحيح البخاري، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ح ٢٧٦٦.

ثانيا : الخلود في الجنة أو النار بالنيات

قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَرْبًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ (التوبة ٩٢) ورد في السيرة أن رسول الله ﷺ حَضَّ أهل الغنى على النفقة والحُمْلان في سبيل الله، وقد أنفق عثمان بن عفان ﷺ ألف دينار ذهباً على جيش غزوة تبوك، وحَمَلَ كثيرٌ من أهل الغنى. فالذين انكمشوا عن النفقة هم الذين عنتهم الآية^(١) وقد رجع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، فدنا من المدينة، فقال: [إن بالمدينة أقواما ما سرتهم مسيرا، ولا قطعتم واديا، إلا كانوا معكم. قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: وهم بالمدينة، حسبهم العذر].^(٢) ولنتصور كيف أخذ هؤلاء البكاؤون الأجر، ورضا الله تعالى، مما كان سبب في أن ينزل فيهم قرآنا، فما وصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا بالنية الصادقة، مع أن المشقة قد أوشكت أن تهلك جيش المسلمين في هذه الغزوة، فقد جاء عن عبد الله بن عباس ﷺ أنه قال: [قيل لعمر بن الخطاب ﷺ: حدثنا عن شأن ساعة العسرة، فقال عمر: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش، حتى ظننا أن رقابنا ستقطع، حتى أن الرجل لينحر بغيره فيعصر فرثه فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده. فقال أبو بكر الصديق ﷺ: يا رسول الله، إن الله قد عودك في الدعاء خيرا، فادع لنا. فقال: أتحب ذلك؟ قال: نعم. فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فأظلت، ثم سكبت، فملؤوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر، فلم نجد لها جازت العسكر]^(٣) والعجب أن كل ما لاقاه المؤمنون من مشقة من أجل رضا الله ورسوله، يأتي أناس ليأخذوا هذا الأجر وهم يجلسون في بيوتهم، مع نسائهم، يأكلون أطيب الطعام.

إن هذه الحادثة وأمثالها، تلفت نظرنا إلى شيء مهم، وهو أن النية عمل قلبي يسبب السعادة والشقاء، فلما كانت نية المؤمن أن يظل عابدا لله حتى ولو عاش أبا الأبدية، كان ذلك سببا لتخليده في الجنة. ولما كانت نية الكافر أن يبق على ما هو عليه، حتى ولو عاش أبا الأبدية، كان ذلك سببا لتخليده في النار. فالنية مفتاح سحري، يستطيع أن يقلب حياتنا المؤقتة، إلى حياة خالدة، ملؤها السعادة، أو إلى حياة خالدة ملؤها الشقاء والعذاب.

1- انظر السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٢٤.

2- صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب نزول النبي الحجر ح ٤٤٢٣.

3- المستدرک على الصحيحين للحاكم، كتاب الطهارة ح ٥٦٦، ج ١ ص ٢٦٣، قال الذهبي على شرط الشيخين.

المطلب الثالث: الخوف من الله وخشيته

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (النور ٥٢)
وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ*
وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ* وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ
رَاجِعُونَ* أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (المؤمنون ٥٧-٦١) أي من عذابه،
خائفون من الوقوف بين يديه، فهذه صفة لهم. وأخرى {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ
إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ}، أي يؤتون الزكاة، وسائر الحقوق والواجبات، وقلوبهم خائفة من ربهم أن
يكونوا قد قصرُوا فيما أوجب عليهم، وخائفة أن لا يقبل منهم عملهم، وذلك ناجم لهم من قوة
إيمانهم، برجعهم إلى ربهم، ووقوفهم بين يديه، ومساءلته لهم، لم قدمت؟ لم أخرت؟^(١) وقال
تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ (الرحمن ٤٦) وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ، وَنَهَى
النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (النار ٤٠-٤١) والمراد بقوله: {مَقَامَ رَبِّهِ}، أي قيامه
بين يدي ربه، وإنما أضيف المقام إلى الرب لوقوعه بين يديه^(٢) وقد أخبر تعالى أن مواعظه
البالغة، وحكمه النافعة، ونذره القاطعة، لا تظهر ثمرتها، ولا تبدو بركتها، إلا للخائفين من ربهم،
والمشفقين من معبودهم، قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ
مَنْ دُونَهُ وَوَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الأنعام ٥١) وهذا يدل على أن الخوف له مكانة عظيمة
في ديننا مما يدعونا أن نتناول الخوف من بعض جوانبه.

أولاً: تعريف الخوف

الخوف توقع مكروه لعلامة مظنونة، أو معلومة، وهو ضد الأمن، ويستعمل في الأمور
الدنيوية، أو الأخروية، فهو توقع حلول مكروه، أو فوات محبوب، مع اضطراب القلب وحركته،
أو فزعه من مكروه يناله، أو محبوب يفوته.^(٣)

ثانياً: منزلة الخوف وحكمه

الخوف سبب في الكف عن المحرمات، وعمل الطاعات، وعلى قدر خوف العبد تكون
منزلته عند الله عز وجل، قال ابن القيم: "الخوف من أجل المنازل وأنفعها للعبد، ومنزلته فرض
على كل مسلم"^(٤) لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران ١٧٥) وقال تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ

1- انظر تفسير الطبري ج ١٦ ص ٦٦، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج ٣ ص ٥٢٥.

2- انظر أضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي ج ٧ ص ٧٥٦.

3- انظر أعمال القلوب ص ٣٦.

4- تهذيب مدارج السالكين لابن القيم الجوزية ص ٢٦٩.

فَأَيَّيَ فَرَاهِبُونَ﴾ (النحل ٥١) قال ابن القيم: "إن نقصان الخوف من الله إنما هو لنقصان معرفة العبد به، فأعرف الناس أخشاهم لله، ومن عرف الله اشتد حياؤه منه، وخوفه له، وحبه له".^(١)

وإن من أعمال القلوب الخوف من الله، لا من غيره، فإذا نزلت الشدائد وادلهمت الخطوب، فإن كثيراً من الناس يخافون، فقد يخافون من قعقة السلاح، وقد يخافون من خطر يوشك أن يُحْدق بهم، وقد يخافون من عدو، أو مرض، ونحو ذلك من أنواع المصائب، ولكن القلوب تختلف، قال الغزالي: "علامة الخوف من الله، أن يُؤْمِنَهُ خَوْفَهُ مِنْ اللَّهِ كُلَّ خَوْفٍ غَيْرِ خَوْفِ اللَّهِ".^(٢) فمن الناس مَنْ قلوبهم موصولةً بالله، فإذا نزلت المصيبة، ثبت وكان راسخاً كالجبال، لأنه يعلم قول الله عز وجل: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران ١٧٥)

ثالثاً: أنواع الخوف

أ- الخوف المحمود الصادق :

فالخوف المحمود هو ما حال بين الخائف وبين محارم الله عز و جلّ، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط. وصِدِّقَ الخوف هو الورع عن الآثام ظاهراً وباطناً، والخوف المحمود هو الذي يحجز صاحبه عن محارم الله.^(٣)

ب- الخوف الواجب:

وهو ما حمل على فعل الواجبات و ترك المحرمات^(٤). وهذا القدر لا يمكن أن ينزل العبد عنه، فلو نزل عنه هلك.

ج - الخوف المستحب

هو ما حمل على فعل المستحبات و ترك المكروهات.^(٥) وهذا الخوف محمود بحيث لا يقعد صاحبه عن أمور المعاش، ولا أن يتعطل عن أمور الحياة.

رابعاً: الخوف للعامة والخشية للعلماء

قال ابن القيم: "الخوف والخشية والوجل والرهبة ألفاظ متقاربة غير مترادفة، فالخشية أخص من الخوف ، فالخشية للعلماء والخوف للعوام، والخشية مقرونة بمعرفة الله عز وجل"^(٦)

1- طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم الجوزية ص ٢٧٣.

2- إحياء علوم الدين للغزالي ج ٢ ص ٣٠٠.

3- انظر تهذيب مدارج السالكين ص ٢٧٠.

4- انظر أعمال القلوب ص ٤٠.

5- انظر المرجع السابق ص ٤٠.

6- تهذيب مدارج السالكين ص ٢٦٩.

قال تعالى: ﴿...إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر ٢٨) فتصوير الخوف: كأن يرى شخصا سيلا، أو وحشا، فيدرك خطره فيخاف، وتصوير الخشية: أنها ليست ساعة رؤية ما هو خطر، إنما أن يحتاط العبد من كل ما يقرب إلى الخطر، فالأول: ربما ينظر ويتمنى، فإذا قرب من الزنا خاف من الله فترجع وتاب. والثاني: ترك النظر، وكل ما يقرب إلى الزنا خشية أن يقع فيه. وبالطبع كلما زاد العلم وزادت المعرفة، زادت الخشية من الله، قالت عائشة إن النبي ﷺ قال: [... فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية].^(١)

خامسا: ثمرات الخوف

إنّ للخوف من الله ثمرات عظيمة في الدنيا والآخرة

أ- ثمرات الخوف في الدنيا

١ - التمكين في الأرض

فالخوف من الله، سبب من أسباب التمكين في الأرض، وزيادة الإيمان والطمأنينة، لأنك إذا حصل لك الموعد وتقت أكثر، قال عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ نَتَّعِدَنَّ فِي مَلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ*وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٌ﴾ (إبراهيم ١٤)، فالخوف من الله سبب للتمكين في الأرض.

٢ - يبعث على العمل الصالح

الخوف يبعث على العمل الصالح، والإخلاص فيه، وعدم طلب المقابل في الدنيا، فلا ينقص الأجر في الآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لُوجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا*إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ (الإنسان ٩-١٠)

ب- ثمرات الخوف في الآخرة

١ - المغفرة

فمن أفضل أعمال القلوب الخوف من الله، فإنه يؤدي إلى مغفرة الله وعفوه يوم القيامة، فقد ثبت أن رجلا غفر الله له بسبب خوفه، عن النبي ﷺ قال: [كان رجل يسرف على نفسه، فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فاحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر عليّ ربي ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا، فلما مات، فُعل به ذلك، فأمر الله الأرض، فقال: اجمعي ما فيك منه. ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت ؟ قال: يا رب مخافتك فغفر له]^(٢)

¹ صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب من لم يواجه الناس بالعتاب ح ٦١٠١ .

² المرجع السابق ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب حديث الغار ح ٣٤٨١ .

٢ - الأمان في الآخرة

وخوف الله يضمن أمان الآخرة، فمن رحمة الله تعالى، أنه لا يخوف عبده مرتين في الدنيا والآخرة، قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: [وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين، إذا خافني في الدنيا، أمنت يوم القيامة، وإذا أمني في الدنيا، أخفته في الآخرة]^(١)

٣ - دخول الجنة

وأعظم ثمرات الخوف، هو رضى الله، ودخول الجنة، قال رسول الله ﷺ: [من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة]^(٢)

٤ - النجاة من كل سوء

والخوف من الله نجاة من كل سوء، قال النبي ﷺ: [ثلاث منجيات، وثلاث مهلكات ... وأما المنجيات، فالعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله في السر والعلانية. وأما المهلكات فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه]^(٣)

والخوف من الله ليس كالخوف من غيره، فالعبد إذا خاف غير الله فإنه يفر منه، أما مخافة الله فتقتضي الفرار إليه، قال تعالى: ﴿فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (الذاريات ٥٠) ولا يخيب من فر إلى الله، فإن الله لن يضيع أحداً استجار به، ومن اعتقد أنه سيهتدي بغير هدى الله، فهو ضال مضل، قد صرفه الله عن الهداية.^(٤)

المطلب الرابع: المحاسبة والإتابة

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الحشر ١٨)

أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم عرضكم على ربكم، واعلموا أنه عالم بجميع أعمالكم، وأحوالكم، لا تخفى عليه منكم خافية، ولا يغيب عنه من أموركم كبير ولا صغير^(٥)

1- صحيح الترغيب والترهيب للألباني ج ٣ ص ٣١٨.

2- سنن الترمذي، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في صفة أواني الحوض، ح ٢٤٥٠ صححه الألباني.

3- صحيح الترغيب والترهيب ج ١ ص ٣١٢.

4- انظر سياط القلوب لعائض القرني ص ١٧٤.

5- انظر تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٤١.

ومحاسبة النفس تقتضي أن يعقبها التوبة والإنابة، فلا توبة دون محاسبة، فالمحاسبة هي: التمييز بين ما للإنسان وما عليه، فيأخذ ما له، ويؤدي ما عليه^(١) وبعد أن يعرف ما عليه من الحق، فالواجب أن يتصل من كل شيء، ويُقبل على الله بسرعة دون تأخير، وهي الإنابة، فالإنابة هي: الرجوع إلى الله بسرعة والتوبة المستمرة دون تأخير، والإنابة لها معنى سلبي، ومعنى إيجابي، فالمعنى السلبي: ترك المعاصي، والمعنى الإيجابي: الإقبال على الطاعات. فأَنَابَ إلى الله رَجَعَ إليه تائباً، وَأَنَابَ إليه رَجَعَ إليه مُحْسِناً، ففي الأولى ترك للذنب، وفي الثانية عمل للصالحات.^(٢) والتوبة تكون بين المحاسبة والإنابة، فالتوبة هي: " الندم بالقلب، وترك المعصية في الحال، والعزم على ألا يعود إلى مثلها، وأن يكون ذلك حياءً من الله".^(٣) وكما أن المحاسبة تكون قبل العمل، فإنها تكون بعد العمل أيضاً، قال ابن القيم: "والتحقيق أن التوبة بين محاسبتين، محاسبة قبلها تقتضي وجوبها، ومحاسبة بعدها تقتضي حفظها، فالتوبة محفوفة بمحاسبتين، وقد دل على المحاسبة قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَانْتَظِرُوا نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ﴾ (الحشر ١٨) والمقصود من هذا النظر: هل يصلح ما قدمه أن يلقي الله به أو لا يصلح"^(٤) ومحاسبة النفس أنواع، منها: محاسبة النفس على ما مضى، ومحاسبة النفس قبل العمل، ومحاسبة النفس بعد العمل.

فالعبد واجب عليه أن يعلم عدل الله عز وجل، وأنه برحمته خلقه، وبرحمته رزقه، وبرحمته أعانه، وبدون رحمته لن يقدر على شيء. فيجلس بعد العمل ينظر أكان على أكمل وجه؟ أم اعتراه القصور، قال الحسن البصري: [المؤمن يفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول: ما أردت إلى هذا، ما لي ولهذا؟ والله لا أعود إلى هذا أبداً إن شاء الله]^(٥) فالمؤمن الحق، يحاسب نفسه، هل أخلص العبادة لله؟ هل أتم عبادته بخشوع؟ هل كان في عبادته متبعاً الرسول ﷺ؟ فإن كانت فهنئاً له، وإن لم تكن يعزم على إصلاحها.

فإذا حاسب العبد نفسه وقام بالمحاسبة حق القيام، فلا يبق أمامه إلا أن ينطلق كالسهم مسرعاً إلى الله عز وجل، منيباً إليه، قال تعالى: ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (الزمر ٥٤) وحتى يكون العبد منيباً لا بد أن تتوفر فيه أربعة أشياء:

1- انظر تهذيب مدارج السالكين ص ١١٥.

2- انظر موقع محمد راتب النابلسي www.nabulsi.com شرح مدارج السالكين (الإنابة).

3- تفسير القرطبي للإمام القرطبي ج ٥ ص ٢٦٢.

4- تهذيب مدارج السالكين ص ١١٥.

5- مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي ص ٤٦٢.

الأول: أن يكون محبا لله

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (البقرة ١٦٥) عن النبي ﷺ قال: [ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله، كما يكره أن يُقذف في النار].^(١) فلا يمكن أن يكون العبد مدفوعا إلى العمل دون أن يكون قلبه مليء بحب الله عز وجل، وإذا كنا قد كلفنا أن نحب رسول الله ﷺ أكثر من كل شيء، فما بالنا بحب خالق رسوله، وخالفنا، قال النبي ﷺ [لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده، وولده، والناس أجمعين].^(٢)

الثاني: الخضوع لله تعالى

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ* وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (النور ٥١-٥٢) ونص الآية " ليس على طريق الخبر، ولكنه تعليم أدب الشرع، بمعنى أن المؤمنين ينبغي أن يكونوا هكذا، {أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} أي: سمعنا الدعاء وأطعنا بالإجابة، {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ* وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} قال ابن عباس: " فيما ساءه وسره {وَيَخْشَى اللَّهَ} فيما صدر عنه من الذنوب في الماضي {وَيَتَّقْهِ} فيما بقي من عمره، فأولئك هم الفائزون الناجون"،^(٣) فالخضوع لله قضية حتمية لا فكاك للإنسان منها بحال، فالإنسان بين حالين لا ثالث لهما، إما أن يتوجه بعبادته وخضوعه وانكساره لله الواحد القهار، فيكون موحدًا مطيعًا مطمئنًا سعيدًا، وإما أن يكون خاضعًا أسيرًا ذليلًا لمعبودات جاهلية باطلة، من أصنام، وأوثان، وهوى، وشهوة، ومال، وملذات، وقوانين، وأعراف، وهنا يكون حاله كمن قال الله فيه: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الجنات ٢٣). والشرف كله والرفعة، في الخضوع لله القوي الجبار، فهو الذي خلق ورزق، وأعطى ومنع، وأحيا وأمات، وأضحك وأبكى، وهو ربّ الأرباب وخالق من في السماء والأرض، سبحانه وبحمده، لا إله غيره، فكيف يشرك به غيره، أو يُعبد معه سواه! قال تعالى: ﴿أَرَبَابٌ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (يوسف ٣٩).

1- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان ح ١٦.

2- المرجع السابق، باب حب الرسول من الإيمان ح ١٥.

3- اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص الحنبلي ج ١٤ ص ٤٣٠.

والخضوع الحق هو المحرك الفعال لهذه النفس، لتنتقل في كل الدروب بتقّة، وطمأنينة، فبمقدار الخضوع لله تكون الرفعة، وإذا ما أحسن المرء الخضوع لله ترقّى في درجات الكمال الإنساني، وأصبح لحياته قيمة، وصار لعمله لذة، ولئن كان الغنى غنى النفس، فإن الحرية حرية القلب. كما أن الرق رق القلب، والقلب إذا ذاق طعم الخضوع والإخلاص، لم يكن عنده شيء قطّ أحلى من ذلك، ولا أذ، ولا أمتع، قال رسول الله ﷺ: [إذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً رسولاً] (١) وكمال الخضوع يكمن في ركنين عظيمين "أولهما: محبة الله تعالى، وثانيهما: الذل له سبحانه، فكلما امتلأ قلب العبد لله تعالى حباً، وله سبحانه ذلاً وتعظيماً، ولأوامره وشرعه انقياداً، وعملاً، كمل عنده الخضوع لله." (٢)

الثالث: الإقبال على الله تعالى

قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ* فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ (المؤمنون ١١٦-١١٧) وهذا توبيخ لهم وتأييب على إنكارهم للبعث، حيث أنكر الله تعالى عليهم حساباتهم، وظنهم أنهم لم يخلقوا للعبادة، وإنما خلقوا للأكل، والشرب، والنكاح، كما هو ظن كل الكافرين، وأنهم لا يبعثون، ولا يحاسبون، ولا يجزون بأعمالهم. والأولى تنزيه الله عن العبث وعن كل ما لا يليق بجلاله وكمالته، والإقبال عليه بالطاعات، (٣) مثل:

١ - قراءة القرآن بتدبر

قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص ٢٩) وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا﴾ (محمد ٢٤) فالاستفادة الحقة تكون بدوام الصلة بهذا الكتاب الكريم، علماً، وعملاً، وتلاوةً، وتدبراً، ومن سبل ذلك التدبر والفهم: النظر فيما كتب أهل العلم في تفسير القرآن العظيم، فإن من كمال حفظ الله عز وجل لهذا الذكر الحكيم، أن قبض له جهابذة فهموا مراد الله عن الله، وعن رسوله ﷺ فألفوا في ذلك كتباً. (٤)

1- صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب: الدليل على أن من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا فهو مؤمن ح ٣٤.

2- إغاثة المستفيد بشرح كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب، شرح صالح بن فوزان ص ٤٤.

3- انظر تفسير الطبري، ج ١٧ ص ١٣٢ ، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج ٣ ص ٥٤٤.

4- انظر تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ج ١ ص ١٣.

٢ - التقرب إلى الله بالنوافل

ورد في الحديث القدسي [... ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، وقدمه التي يمشي بها ...]^(١).

٣ - دوام ذكر الله سبحانه وتعالى

فمن أعظم ما تستجلب به المحبة، كثرة ذكر الله تعالى بالقلب، واللسان، فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره، وبذكر الله تطمئن القلوب، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد ٢٨) ومن علامة المحبة لله دوام الذكر بالقلب، واللسان. قال الإمام الغزالي: "ولأن الأعمال الفعلية قريبة وأقفاها بل أعلاها المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان"^(٢) وسنتناول هذا الموضوع في المبحث الثاني من هذا الفصل.^(٣)

في النهاية هناك في الكون حقيقة واحدة وهي الله، فأى شيء يُقربك إليه، تُبادر إليه، وأي شيء يُبعدك عنه، تبتعد عنه، فلا يشغلك عمل، ولا صداقة، ولا أهل، عن القرب من الله، فإن أبعدتك عن الله عز وجل أعرضت عنها، وإن قربتك إلى الله أقبلت عليها، فالحب في القلب، والخضوع في الجوارح والأعضاء.

المطلب الخامس: الوفاء بالعهد وحفظ الأمانة

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ* وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ* وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ* جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ* سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد ٢٠-٢٤)

قال السعدي: "الذين لا ينقضون عهد الله الذي عهد إليهم، والذي عاهدهم عليه من القيام بحقوقه كاملة موفرة، فالوفاء بها: توفيتها حقها من التتميم لها، والنصح فيها، ومن تمام الوفاء بها: أنهم {لا ينقضون الميثاق} أي: العهد الذي عاهدوا عليه الله، فدخل في ذلك جميع المواثيق، والعهود، والأيمان، والنذور، التي يعقدها العباد. فلا يكون العبد من أولي الألباب الذين لهم الثواب العظيم، إلا بأدائها كاملة، وعدم نقضها وبخسها".^(٤)

1- صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع ح ٦٥٠٢.

2- إحياء علوم الدين ج ١ ص ٧٧.

٣- انظر ص ٤٠.

4- تفسير السعدي ج ١ ص ٤١٦.

والوفاء بالعهد خصلة من خصال الأوفياء الصالحين، ومنقبة من مناقب الدعوة المخلصين، وهو أدب رباني حميد، وخلق نبوي كريم، وسلوك إسلامي نبيل، فالوفاء بالعهد من شعب الإيمان، وخصاله الحميدة، وهو من أهم واجبات الدين، وخصال المتقين الراغبين في فضل رب العالمين. فمن أبرم عقداً وجب أن يحترمه، ومن أعطى عهداً وجب أن يلتزمه، لأنه أساس كرامة الإنسان في دنياه، وسعادته في أخراه.

أقسام الوفاء:

الوفاء بالعهد على قسمين، فمنه ما هو وفاء بما أخذه الله على العبد من عهود ومواثيق، ومنه ما هو وفاء بما أوجبه الله على العباد فيما بينهم.

القسم الأول: الوفاء بعهد الله

الوفاء بالعهد من صفات الله جل وعلا فهو أحق أن يُتصف به. قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور ٥٥) لذلك فواجب المسلم أن يتصف بهذه الصفة، فيوفي بما عاهد عليه الله، قال تعالى: ﴿... وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح ١٠) ومن العهود التي بين الله وبين الخلق:

أولاً: عهد التقرير والاعتراف

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف ١٧٢) إن الله أخرج جميع ذرية آدم من ظهور الآباء في صورة الذر، وأشهدهم على أنفسهم بلسان المقال: {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ}، ثم أرسل بعد ذلك الرسل مذكرة بذلك الميثاق الذي نسيه الكل، ولم يولد أحد منهم، وهو ذاكر له، وإخبار الرسل به يحصل به اليقين بوجوده. (١) عن أبي ابن كعب في قول الله عز وجل {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ}، قال: [جمعهم، فجعلهم أرواحاً، ثم صورهم، فاستنطقهم، فتكلموا، ثم أخذ عليهم العهد والميثاق، وأشهدهم على أنفسهم، ألسنت بربكم. قال: فإني أشهد عليكم السموات السبع، والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم عليه السلام، أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا، اعلموا أنه لا إله غيري، ولا رب غيري، فلا تشركوا بي شيئاً، وإني سأرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتبتي. قالوا: شهدنا بأنك ربنا، وإلهنا، لا رب لنا غيرك، فأقروا بذلك، ورفع عليهم آدم ينظر

1- انظر أضواء البيان ج ٢ ص ٣٣٦.

إليهم، فرأى الغني والفقير، وحسن الصورة، ودون ذلك، فقال: رب لولا سويت بين عبادك؟ قال: إني أحببت أن أشكر، ورأى الأنبياء فيهم مثل السرج عليهم النور، خصوا بميثاق آخر في الرسالة والنبوة، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ (الأحزاب ٧) وحدث أبي أن عيسى كان في تلك الأرواح فأرسله إلى مريم، وأنه دخل من فيها. (١)

وهذا العهد نسيه الناس، لذلك يبعث الله الرسل ليذكر به، وحتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَاسٍ لِيَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (النساء ١٦٥) فمن استجاب وأطاع واعترف بألوهية الله فقد نجا، ومن خالف وعصا وأشرك بالله فقد هلك والعياذ بالله.

ثانيا: عهد العبودية دون إشراك

قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ* وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (يس ٦٠-٦١)

قال ابن كثير: "هذا تفرغ من الله للكفرة من بني آدم، الذين أطاعوا الشيطان وهو عدو لهم مبين، وعصوا الرحمن وهو الذي خلقهم ورزقهم؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي: قد أمرتكم في دار الدنيا بعصيان الشيطان، وأمرتكم بعبادتي، وهذا هو الصراط المستقيم، فسلكتم غير ذلك واتبعتم الشيطان فيما أمركم به" (٢)

والعهد بعبادة الله وحده قد أخذه الله علينا في كتابه، كما أخذه على جميع الأمم من قبل، فمجرد دخول العبد هذا الدين واعتناقه، يصبح قد عقد مع الله عهدا، وما عليه إلا أن يستقبل أوامر الله، فينفذها على الفور، لذلك نرى أن جميع التكاليف في القرآن تأتي بعد قوله يا أيها الذين آمنوا، جاء رجل لابن مسعود: فقال: اعهد إلي فقال: إذا سمعت الله يقول: يا أيها الذين آمنوا فأرعها سمعك، فإنه خير يأمرك الله به، أو شر ينهك الله عنه. (٣) ثم إن من صفات المؤمنين أن يتلقوا أوامر الله فيقولوا سمعنا وأطعنا، قال تعالى: ﴿أَمَّا الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا

1 مسند الإمام أحمد، مسند الأنصار، حديث أبي العالية الرياحي عن أبي بن كعب ح ٢٠٧٢٦ حسنه الألباني، انظر مشكاة المصابيح للتبريزي بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني، باب الأيمان والنذور الفصل الثالث ح ١٢١، ج ١ ص ٢٦.

2 تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧٣٦.

3 انظر تفسير ابن أبي حاتم لابن أبي حاتم الرازي ج ١ ص ١٩٦.

وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة ٢٨٥) وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (النور ٥١).

وهذا يعني أن هناك عهدا بين الله وعباده. حيث عهد الله لنا بعبادته وحده دون أن نشرك به فقال: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا﴾ (النساء ٣٦) وقد أكد الله هذا العهد على الأمم من قبلنا، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا﴾ (البقرة ٨٣) ، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ قال: [ميثاق أخذه الله على بني إسرائيل وكان ميثاق القوم لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا].^(١) وهذا يدل أنه عندما أوصل الله تعالى لبني إسرائيل العقيدة، والشرائع، وأخذوها، كان ذلك عهدا وميثاقا. والعبادة تشمل الانقياد والخضوع لله تعالى، فلا أمر إلا ما أمر، ولا نهى إلا ما نهى، ولا طاعة إلا له، قال عدي بن حاتم الطائي: [أتيت رسول الله، وفي عنقي الصليب فقال لي يا عدي: ألق هذا الوثن من عنقك، فانتهيت إليه وهو يقرأ سورة براءة، حتى أتى على هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة ٣١) قال: قلت يا رسول الله: إنا لم نتخذهم أربابا. قال: بلى أليس يحلون لكم ما حرم عليكم فتحلونه، ويحرمون عليكم ما أحل الله لكم فتحرمونه؟ فقلت بلى. فقال: تلك عبادتهم]^(٢) والعبادة هي حق الله على العباد، وقد وعد أنهم إذا عبدوه ولم يشركوا به شيئا فلن يعذبهم، قال النبي ﷺ [يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم! قال: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا. أتدري ما حقهم عليه؟ قال الله ورسوله أعلم قال: أن لا يعذبهم].^(٣)

ثالثا: العهد ببيع النفس لله

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة ١١١)

الآية تدل على أن هناك صفقة عملية، شراء وبيع، وإن كان هذا ملكاً لله ، فالله هو المشتري، والله هو البائع، والثمن {بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ} وهو ثمن لا يفنى، ولا يبلى ، ونعيمك فيها لا نهاية له، أما نعيمك في حياتك فهو محدود، وهكذا يكون الثمن غالياً. وحينما جاء الأنصار في بيعة العقبة لرسول الله ﷺ قال له عبد الله بن رواحة: اشترط لربك ولنفسك ما شئت. قال: اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، واشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم

1- الدر المنثور للسيوطي ج ١ ص ٢١٠.

2- سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ، باب سورة التوبة ح ٣٠٩٥ صححه الألباني.

3- صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب من جاهد نفسه في طاعة الله ح ٦٥٠٠.

وأموالكم. قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: الجنة. - لأن كل شيء في الدنيا تافه بالنسبة لهذا الثمن - قالوا: ربح البيع لا نقيلا ولا نستقيل {وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ} وبذلك يطمئننا سبحانه على أن وعده محقق؛ لأن العهد ارتباط بين مَعَاهِدَ وَمُعَاهِدٍ. (١)

ويقول سيد قطب: "إنه نص رهيب! إنه يكشف عن حقيقة العلاقة التي تربط المؤمنين بالله، وعن حقيقة البيعة التي أعطوها - بإسلامهم - طوال الحياة، فمن بايع هذه البيعة ووفى بها فهو المؤمن الحق الذي ينطبق عليه وصف المؤمن ... وحقيقة هذه البيعة أن الله سبحانه قد استخلص لنفسه أنفس المؤمنين وأموالهم، فلم يعد لهم منها شيء.. لم يعد لهم أن يستبقوا منها بقية لا ينفقونها في سبيله.. لم يعد لهم خيار في أن يبذلوا أو يمسكوا.. كلا.. إنها صفقة مشتركة، لشاربيها أن يتصرف بها كما يشاء، وفق ما يفرض ووفق ما يحدد، وليس للبائع فيها من شيء سوى أن يمضي في الطريق المرسوم، لا يتلفت ولا يتخير، ولا يناقش ولا يجادل ولا يقول إلا الطاعة والعمل والاستسلام.. والثمن: هو الجنة". (٢)

وهذه البيعة تتطلب إيمان عميق لتتم ويصدق الإنسان مع ربه، ليكون بعدها الفوز والجزاء الأوفى من الله، قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾. (الأحزاب ٢٣).

رابعاً: عهد البيعة

قال تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (النحل ٩١) قال سيد قطب: " والوفاء بعهد الله يشمل بيعة المسلمين للرسول ﷺ ويشمل كل عهد على معروف يأمر به الله . والوفاء بالعهود هو الضمان لبقاء عنصر الثقة في التعامل بين الناس ، وبدون هذه الثقة لا يقوم مجتمع ، ولا تقوم إنسانية . والنص يخجل المتعاهدين أن ينقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلوا الله كفيلاً عليهم ، وأشهدوه عهدهم ، وجعلوه كافلاً للوفاء بها . ثم يهددهم خفياً { إن الله يعلم ما تفعلون }". (٣)

وبيعة الرسول ﷺ تعتبر بيعة مع الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح ١٠) وبيعة الأمراء وأولي الأمر تكون أسوة ببيعة الرسول ﷺ، ولا يجوز نكثها ونقضها، قال النبي ﷺ: [من خلع يداً من طاعة، لقي الله يوم القيامة، لا حجة له، ومن مات

1- انظر تفسير الشعراوي لمحمد متولي شعراوي ج ٩ ٥٥٠٦ - ٥٥١٥.

2- في ظلال القرآن لسيد قطب ج ٣ ص ١٧١٦.

3- المرجع السابق ج ٤ ص ٢١٩١.

وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية] ^(١) لذلك كان جزاء من وفى ببيعته أن يعطيه الله الأجر العظيم، ومن نكث فلا يلومن إلا نفسه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح، ١٠)

القسم الثاني: الوفاء بعهد الناس:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء، ٣٤) قال الزمخشري: "أي مطلوباً يطلب من المعاهد أن لا يضيعه ويفي به". ^(٢) وقال أبو السعود: "وأوفوا بالعهد سواء جرى بينكم وبين ربكم أو بينكم وبين غيركم من الناس والوفاء بالعهد هو القيام بمقتضاه والمحافظة عليه" ^(٣) والعهد بين الناس أنواع: منها عهد الأمانة، وعهود النكاح، والعهد بين الناس.

أولاً: عهد الأمانة

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون، ٨) فالأمانة والعهد تجمعان كل ما يحمله الإنسان من أمر دينه ودنياه قولاً وفعلاً، وهذا يعم معاشرته الناس، والمواعيد، فلا ينبغي النقص ولا الإخلاف". قال الشنقيطي: "قد ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن من صفات المؤمنين المفلحين الوارثين الفردوس، أنهم راعون لأماناتهم وعهدهم. أي محافظون على الأمانات، والعهد. والأمانة تشمل كل ما استودعك الله، وأمرك بحفظه، فيدخل فيها حفظ جوارحك من كل ما لا يرضي الله، وحفظ ما ائتمنت عليه من حقوق الناس، والعهد أيضاً تشمل كل ما أخذ عليك العهد بحفظه، من حقوق الله، وحقوق الناس." ^(٥)

والأمانة بمعناها الواسع تعم جميع وظائف الدين، فهي تجمع كل ما يحمله الإنسان من أمر دينه ودنياه قولاً وفعلاً، فحين تختفي الأمانة من حياة الناس، تفسد حياتهم، وتسوء معاملاتهم، ويعيشون حياة الغدر، والغش، والخيانة، وحين يعم التعامل بالأمانة حياة الأمة، ويؤدي الذي أؤتمن أمانته، سواء أؤتمن على قنطار، أو دينار، فإن حياة الناس تصبح في رغد، وطمأنينة، وسعادة.

1- صحيح مسلم، كتاب: الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ح ١٨٥١.

2- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ج ٢ ص ٦٢٢.

3- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) ج ٥ ص ١٧١.

4- تفسير القرطبي ج ١٣ ص ١٤٩.

5- أضواء البيان ج ٥ ص ٧٥٧.

والله عز وجل أمر بأداء الأمانات إلى أهلها، ونهى عن خيانة الله والرسول فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء: ٥٨) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنفال: ٢٧).

والنفوس البشرية بفطرتها تميل إلى الناصح الأمين، وتثق بالقوي الأمين، حتى غير المسلمين يؤثرون الأمين، ويحبونه، فنصارى أهل نجران حين تفاوضوا مع رسول الله ﷺ واتفقوا معه على دفع الجزية، قالوا: [إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً، فقال لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين. وأرسل معهم أبا عبيدة].^(١)

وإذا تمكنت الأمانة من صاحبها، تعامل بها مع القريب والبعيد، والمسلم والكافر، فالمؤمن لا يتعامل بالغدر حتى مع من عرف بالخيانة، واشتهر بالغدر، قال رسول الله ﷺ: [أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك]^(٢) وذلك لأن خطورة السقوط في الخيانة، وفساد الفطرة بنقض العهد أشد من مجرد مقابلة الخائن بمثل فعله، ولأن السقوط مرة يقود إلى منحدر الخيانة وتستمرى النفس الغدر والخيانة.

ثانياً: عهود النكاح

قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (النساء: ٢١) والمعنى: "أي عهداً شديداً مؤكداً، وهو عقد النكاح الذي ربط الزوجين برباط شرعي مقدس".^(٣) فعقد النكاح عهد من أوثق العهود، وقد حث النبي ﷺ على الوفاء به، فقال: [إن أحق الشروط أن يوفى به ما استحللتم به الفروج]^(٤) فلا بد للمسلم أن يؤدي ما التزم من الشروط على عقد الزواج؛ لأنه استحل بها الفرج؛ فأیما رجل تزوج امرأة على ما قل من المهر أو أكثر، ليس في نفسه أن يؤديها حقها؛ فقد خدعها، ووقع تحت طائلة العقاب، فقد عد الله من يخون زوجته ويعتدي على حقها من الظالمين فقال: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة: ٢٢٩) وعاقبة الظلم معروفة قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَظْلِمِ مِّنْكُمْ نُدْفَعْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان: ١٩) وعد من أخذ مهر زوجته عدواناً، بأنه بهتان عظيم فقال: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ

1- صحيح البخاري، كتاب، المغازي، باب قصة أهل نجران ح ٤١٢٠ .

2- سنن أبي داود ، كتاب البيوع ، باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده ح ٣٥٣٤ صححه الألباني.

3- تفسير آيات الأحكام للصابوني ج ١ ص ٢٠٢ .

4- صحيح مسلم ، كتاب النكاح ، باب الوفاء بالعقود في النكاح ح ١٤١٨ .

شَيْئًا أَتَاخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (النساء: ٢٠) هذا ناهيك عن خيانة الزوجية بالزنا، فحرمة الزنى مما هو معلوم من الدين بالضرورة، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٣٢) ولعل تغليظ عقوبة المحصن بالرجم من أسبابها الخيانة الزوجية، وليس هناك أنجى من الوفاء، وليس هناك أحق بالوفاء من هذا العقد، ومعالم الوفاء بين الأزواج رسمها النبي ﷺ، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: [ما غرتُ على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرتُ على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبي ﷺ يُكثر من ذكْرِها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعُها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق - أي: صديقات - خديجة. فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة! فيقول: إنها كانت، وكانت، وكان لي منها ولد].^(١)

ومن موجبات الوفاء بعقد النكاح، أداء الحقوق بين الزوجين، فالزوج ملزم بذلك والزوجة ملزمة به كذلك، وهذه الحقوق تتنوع بحسب من تنسب إليه، ومن أهمها حقوق الزوج على زوجته، فحق الزوج على الزوجة من أعظم الحقوق، بل إن حقه عليها أعظم من حقها عليه، لقول الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٢٨).

ثالثاً: عهود الناس

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون: ٨).

قال ابن كثير: "إذا عاهدوا أو عاهدوا أو عاهدوا بذلك".^(٢) والعهد: التزام بين طرفين أو أكثر، على شيء يعامل كل واحد من الجانبين الآخر.^(٣) وهذا النوع من العهود ذم النبي ﷺ من ينقضه وعده من المنافقين فقال: [أربع من كن فيه كان منافقاً، أو كانت فيه خصلة من أربعة، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر] ^٤ لذلك فالإنسان مكلف أن يفي بعهده، ليس فقط مع المسلمين، وإنما حتى مع الكافرين، عن حذيفة بن اليمان قال: [ما منعتني أن أشهد بدراً؛ إلا أني خرجت أنا وأبي (حسيل)^(٥)، فأخذنا كفار قريش فقالوا: إنكم تريدون محمداً؟ قلنا: ما نريد إلا المدينة. فأخذوا منا عهد الله وميثاقه

1- صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب تزويج النبي خديجة وفضلها ح ٣٨١٨.

2- تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣١٣.

3- انظر التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١٨ ص ١٧.

4- صحيح البخاري، كتاب: المظالم والغصب، باب إذا خاصم فجر ح ٢٤٥٩.

5- هو حسيل بن جابر بن ربيعة العبسي والد حذيفة بن اليمان وسمي اليمان لأن أصله يمني، حليف الأنصار، أسلم وكان شيخاً كبيراً، وفي موقعة أحد، جعله رسول الله ﷺ على النساء، ولما رأى المشركين يجتمعون على رسول الله ﷺ نزل ليلحق برسول الله ويدافع عنه، فقتله المسلمون طناً منهم أنه مشرك، فأراد النبي أن يدفع دينه فرفض حذيفة متصدقاً بها لله، انظر أسد الغابة لابن الأثير ج ١ ص ٢٦٢

لنصرفن إلى المدينة، ولا نقاتل معه. فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر، فقال: انصرفا، نفى بعهدهم، ونستعين الله عليهم].^(١) والعهود التي بين الناس كثيرة أيضاً؛ فإذا اتفق اثنان على أن يقوم كل منهما للآخر بشيء؛ يقال: إنهما تعاهدا، فاليمين، والجوار، والوعد، والاتفاق، كل هذه عهود، حتى حديث الرجل للرجل في السر، يدخل أيضا في العهود، قال النبي ﷺ [إذا حدث الرجل حديثا ثم التفت فهي أمانة].^(٢) وقد أمرنا الله تعالى أن نوفي بالعهود بشتى أنواعها، فقال: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (النحل ٩١) وهذا يشمل جميع ما عاهد العبد عليه ربه، من العبادات، والنذور، والأيمان التي عقدها، ويشمل أيضا ما تعاهد عليه هو وغيره، كالعهود بين المتعاقدين، وكالوعد الذي يعده العبد لغيره، ويؤكد على نفسه، فعليه في جميع ذلك الوفاء وتتميمها مع القدرة، ولهذا نهى الله عن نقضها فقال: { وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا } بعقدها على اسم الله تعالى: { وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ } أيها المتعاقدون { كَفِيلًا } فلا يحل لكم أن تنقضوا ما جعلتم الله فيه عليكم كفيلا، فيكون ذلك ترك تعظيم الله واستهانة به، وقد رضي الآخر منك باليمين والتوكيد الذي جعلت الله فيه كفيلا. فكما ائتمنك وأحسن ظنه فيك فلنظف له بما قلته وأكذته.^(٣)

جزاء الموفون بعهدهم

وردت آيات كثيرة تبين جزاء من وفى بعهده والتزم بميثاقه، وتحدثت عن الوعد بدخول الجنة وتكفير السيئات، منها قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ (البقرة ٤٠) قال الطبري: "وعهده إياهم إذا فعلوا ذلك أدخلهم الجنة".^(٤) وفي سورة المائدة ذكر الله سبحانه أنه أخذ ميثاق بني إسرائيل، ثم بين هذا الميثاق، وذكر الجزاء على الوفاء به فقال تعالى: ﴿لَا كُفْرَانَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَكَادُخَلْنَاكُمْ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (المائدة ١٢)، ولما ذكر صفات أولي الألباب ذكر منها أنهم يوفون بعهد الله، ولا ينقضون الميثاق، ثم بين عاقبتهم فقال: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عِزِّي الدَّارِ جَنَاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد ٢٢-٢٤)، وبعد ذكر صفات المؤمنين في سورة المؤمنون ومنها أنهم: ﴿لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون ٨) ذكر مآلهم فقال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون ١٠-١١)، وهكذا تعرض الآيات صور متعددة مشوقة، تدعو المؤمن وتحثه على السعي جادا للظفر بهذا الجزاء العظيم، والثواب

1- صحيح مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب الوفاء بالعهد ح ١٧٨٧.

2- سنن أبي داود كتاب الأدب، باب في نقل الحديث ح ٤٨٦٨ حسنه الألباني.

3- أنظر تفسير السعدي ج ١ ص ٤٤٧.

4- تفسير الطبري ج ١ ص ٢٥٠.

الجزيل، ويكون أمام عينيه وهو يعرض بنواجذه على ميثاقه، ويحث الخطى موفياً بعهده ليفي له الله بوعده، ولينال عقبى الدار، وارثاً للفرديوس ومكرماً في جنات النعيم.

المطلب السادس: النجاة بالثبات والصبر

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٤)

التثبيت هو منع المثبت أن يتأرجح، لذلك نقول للمتحرك: اثبت. وترك: من ركون الإنسان إلى شيء يعتصم به ويحتمي. والركون أن تذهب إلى حرز يمنعك من جميع جهاتك، والنبى ﷺ كان حريصاً على هداية قومه وتأليف قلوبهم، وقد كان يشقُّ على نفسه، ويحملها ما لا يطيق في سبيل هذه الغاية، ومن ذلك ما حدث من تركه عبد الله بن أم مكتوم الذي جاءه سائلاً، وانصرافه عنه إلى صنابير قريش؛ لذلك عتب عليه ربه تبارك وتعالى لأنه شقَّ على نفسه.^(١) وقد "بين تعالى، أنه لولا تثبيت الله تعالى له؛ لمال إلى طريقة الكفار، ولا شك أن محمداً ﷺ كان أقوى من غيره في قوة الدين، وصفاء اليقين، فلما بين الله تعالى أن بقاءه معصوماً عن الكفر، والضلال، لم يحصل إلا بإعانة الله تعالى، وإغاثته، وهذا المعنى في حق غيره أولى"^(٢)

والنجاة طريقها شاق، يحتاج إلى ثبات حتى الممات، فإن لم يكن الثبات مستمد من عند الله، فلن يثبت أحد على الإطلاق، فالقلوب جبلت على التقلب، عن النبي ﷺ قال: [القلب ابن آدم أشد انقلاباً من القدر إذا اجتمعت غلياً].^(٣) والثبات هو طريق النجاة، ومن لم يثبتته الله فهو هالك، فلا حيلة للعبد أمام الفتن، والمحن، ومغريات الحياة، إلا بسند من الله عز وجل، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (إبراهيم: ٢٧)، لذلك فالمؤمنون الصالحون، على مر العصور يفهمون ذلك، وقد طلب الأنبياء وأتباعهم من الله الثبات: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾ (البقرة: ٢٥٠) وقال تعالى أيضاً واصفاً إياهم: {وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين} (آل عمران: ١٤٧) وهناك مواطن يلزم فيها الثبات لينجو المؤمن بإذن الله.

1- أنظر تفسير الشعراوي ج ١٤ ص ٨٦٩٠.

2- التفسير الكبير للرازي ج ٢١ ص ٢٣.

3- مسند الإمام أحمد، باقي مسند الأنصار، حديث المقداد بن الأسود ح ٢٣٣٠٤، صححه الألباني، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني، الإيمان والتوحيد والدين والقدر ح ١٠٧٥.

١ - الثبات على الدين:

ليس هناك أمر من أمور الدين إلا ويحتاج إلى الصبر والثبات عليه، وعلى أعبائه وتكاليفه، لذلك جاءت تكاليف الدين مقرونة بالصبر، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عِزِّي الدَّارِ﴾ (الرعد ٢٢) وقال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (مريم ٦٥) وعن رسول الله ﷺ قال: [يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر] (١)

وقد ذكر الله عز وجل نتيجة الثبات على الدين في سورة الصافات، فصور لنا صديقين، أحدهما على الضلال في النار، والآخر على الهداية في الجنة، وكيف كان صاحب الضلال يغري صاحب الهداية، ولكن بمنة من الله، كان الثبات حليفه، فدخل الجنة ورأى صاحبه في النار، قال تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ أَنتَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ * أَتَدَّأ مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّا لَمَدِينُونَ * قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللَّهِ إِن كُنتَ لَتُرْدِينِ * وَكُنتَ نِعْمَةَ رَبِّي لَكُنتَ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ (الصافات ٥١-٥٧) فهذا الدين لا يمكن أن ينال صاحبه المنزلة عند الله إلا بالثبات.

٢ - الثبات في الفتن:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة ١٥٣) والتقلبات التي تصيب القلوب سببها الفتن، فإذا تعرض القلب لفتن السراء والضراء، فلا يثبت إلا أصحاب البصيرة؛ الذين عمّر الإيمان قلوبهم، قال رسول الله ﷺ [تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير، عوداً عوداً، فأیما قلب أشربها، نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها، نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره الفتنة مادامت السموات والأرض، والآخر مرباداً كالكوز مجخياً^(٢)، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب هواه].^(٣) والفتن قدرها الله على عباده، قال تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَقَدْ فتنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت ٢-٣) والفتن أنواع منها: فتنة المال، فتنة الجاه، فتنة الزوجة والأولاد،

١- سنن الترمذي، كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب منه ح ٢٢٦٠ صححه الالباني.

٢- المرید: من الرُبْدَة وهو لون الرماد، أي: الأسود. والمُجْحَى: المائل المُحْرَف فلا يثبت فيه شيء فشبه به القلب الذي لا يعي خيراً. انظر غريب الحديث لابن الجوزي ج ١ ص ١٤٠.

٣- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وأنه يآرز بين المسجدين ح ٤٤ ص ٨٢.

فتنة الاضطهاد والطغيان والظلم، فتنة الدجال. ولا يمكن أن ينجو الإنسان من الانحراف والضلال إلا بثباته في كل تلك المحن.

٣ - الثبات في الجهاد:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَآخِشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران ١٧٣-١٧٥). وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾ (الأنفال ٤٥) والثبات هو ملاك كل العبادات، بل كل أمور هذا الدين، لذلك كان الأمر من الله والحث عليه، ليثبت المؤمنون ويفوزوا بخيري الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران ٢٠٠).

إن أعمال القلوب كثيرة، منها: الوجل، والخشوع، والمحبة، والإخبات، والتسليم، والتوكل، والصبر، وكلها مهمة لكي ينجو الإنسان من عذاب الله، وإنما رأيت أن أذكر بعض هذه الأعمال لأهميتها، فالصحابة -رضوان الله تعالى عليهم- فهموا كتاب الله تبارك وتعالى، وأقاموه علماً وعملاً، وعلموا أهمية النية، والخوف والخشية، والإجابة، والعهد، والثبات، وغير ذلك من أعمال القلوب، فتحققت فيهم العبودية الكاملة لله عز وجل، وعلموا أن لا إله إلا الله ليست كلمة تقال باللسان، وعلموا أن الإنسان إذا انقاد بقلبه وخضع، وخشع، فلا بد أن يعمل، وأن تتفاد جوارحه؛ ولذلك كانت حياتهم واقعاً وترجمةً وتجسيداً لهذه الحقائق الإيمانية التي تعيشها قلوبهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

المبحث الثاني

النجاة بأعمال الجوارح

وفيه سبعة مطالب:

- المطلب الأول : الإصلاح وعدم الفساد
- المطلب الثاني : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- المطلب الثالث : ذكر الله
- المطلب الرابع : الجهاد في سبيل الله
- المطلب الخامس : الاستغفار
- المطلب السادس : بر الوالدين
- المطلب السابع : غض البصر وحفظ الفرج

المبحث الثاني: النجاة بأعمال الجوارح

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل ٩٧)

إن موضوع أعمال الجوارح في غاية الأهمية، لأن كثيراً من الأدواء والعلل قد تعتري قلوبنا ونحن لا نعلم بها، فتعكس على جوارحنا، والواجب علينا أن نحافظ على هذه الجوارح التي ائتمنا الله تعالى عليها، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب ٧٢) ومما يدخل في الأمانة، حفظ هذه الجوارح التي أعطانا الله تعالى إياها، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل ٧٨)، والله فضلنا بأن جعل لنا سمعاً، وأبصاراً، وأفئدة، وعقولاً، نهتدي بها، ونعرف الحق من الباطل، ونحن مسئولون عن جوارحنا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء ٣٦). والعبد مأمور أن يستخدم ما أعطاه سيده فيما أمره به، لا فيما نهاه عنه، والله تعالى يقول: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر ٩٩) واليقين هو الموت، فلا ينتهي عقد الأمانة الذي ائتمنا الله تعالى عليه إلا بالموت، فحينئذ ينتهي هذا العقد، وحفظ هذه الجوارح يكون بتسخيرها في طاعة الله عز وجل، وقد عقد الباحث عدداً من المطالب في أهم أعمال الجوارح، وهي كالتالي:

المطلب الأول: الإصلاح وعدم الفساد

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةً يَبْهُونَ عَنِ الْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (هود ١١٦) وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود ١١٧). قال القرطبي: "أي فيما بينهم في تعاطي الحقوق، أي لم يكن ليهلكهم بالكفر وحده، حتى ينضاف إليه الفساد، كما أهلك قوم شعيب ببخس المكيال، والميزان، وقوم لوط باللواط؛ ودل هذا على أن المعاصي أقرب إلى عذاب الاستئصال في الدنيا من الشرك، وإن كان عذاب الشرك في الآخرة أصعب".^(١) وقيل: وما كان الله ليهلكهم بذنوبهم وهم مخلصون في الإيمان، فالظلم هنا المعاصي على هذا المعنى،^(٢) وقال تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص ٧٧) وبالطبع من لم يحبه الله، فإنه يبغضه، ومن أبغضه، يعذبه في الدنيا والآخرة.^(٣)

1- تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٤٢٢.

2 انظر فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني ج ٢ ص ٧٢٢.

3 انظر أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج ٤ ص ٩٩.

والواجب على من أراد النجاة أن يجهد نفسه في الإصلاح، قال رسول الله ﷺ: [... إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده].^(١) فالإصلاح وسيلة للبقاء، ولنيل الدرجات والجنة، وهو سبب في النجاة، وأنه يعود بالخير، ليس على فاعله فحسب، بل على الآخرين، وقد أمرنا الله أمراً جامعاً لعل فيه النجاة، فقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أُمَّهَاتُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ (النساء: ٧٥) فالله يحرض عباده المؤمنين على الجهاد في سبيله، وعلى السعي في استنقاذ المستضعفين، من الرجال، والنساء، والصبيان، ولهذا قال تعالى {الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ} فمصير الأمم يتحدد بفعالها، فصمام الأمان للأمم هو الإصلاح وعدم الإفساد.

وإن الله تعالى لا ينزل عذاباً في الدنيا على أمة بسبب الكفر والشرك فقط، وإنما لابد أن تكون الأمة المهلكة أساءت المعاملة فيما بينها، فقوم شعيب أساءوا عندما بخسوا المكيال والميزان، وقوم لوط أساءوا عندما جاءوا الذكران وتركوا النساء بالحلال، وقوم فرعون أساءوا عندما استعبدوا بني إسرائيل، وهكذا، فالله عز وجل يبقي الأمة الكافرة إذا كانت مصلحة، ويهلك الأمة الظالمة ولو كانت مؤمنة، فالملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم.^(٢)

والمجتمع المؤمن هو الذي يعتقد اعتقاداً جازماً بأن بقاءه بصلاحه وتقواه، وأن زواله بفساده وظلمه، والنجاة تكون بالإصلاح وليس بالصلاح، قال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (المائدة: ٦٣) قال القرطبي: "دللت الآية على أن تارك النهي عن المنكر كمرتكب المنكر؛ فالآية توبيخ للعلماء في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عن مسعر^(٣) قال: بلغني أن ملكاً أميراً أن يخسف بقرية فقال: يا رب فيها فلان العابد. فأوحى الله تعالى إليه: أن به فابداً، فإنه لم يتمر وجهه في ساعة قط".^(٤) قال ابن تيمية: "إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة،

1- سنن الترمذي، كتاب الفتن عن رسول الله، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر ح ٢١٦٨، صححه الألباني.

2- انظر تفسير السراج المنير لشمس الدين محمد الشربيني ج ٢ ص ٩٦.

3- مسعر بن كدام بن ظهير الهلالي العامري الرواسي، أبو سلمة، من ثقات أهل الحديث، كوفي، كان يلقب بالمصحف لعظم الثقة بما يرويه، وكان مرجئاً، وعنده نحو ألف حديث، وخرج له الستة. توفي بمكة سنة ١٥٣هـ عن مصعب بن المقدم قال: رأيت النبي ﷺ في المنام وسفيان الثوري أخذ بيده وهما يطوفان، فقال له سفيان: يا رسول الله مات مسعر. قال: نعم ولقد استبشر بموته أهل السماء، انظر تهذيب الكمال للمزي ج ٢٧ ص ٤٦٨.

4- تفسير القرطبي ج ٨ ص ١٥٥ مع تصرف يسير.

ويقال الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام".^(١) وعن النبي ﷺ قال: [ما من ذنب أجد أن يُعجل لصاحبه العقوبة، مع ما يدخر له، من البغي وقطيعة الرحم]^(٢) فالباغي يعذب في الدنيا، وإن كان مغفورا له مرحوما في الآخرة، وذلك أن العدل نظام كل شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل، لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة.^(٣) قالت أم سلمة - رضي الله عنها -: [يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون. فقال رسول الله ﷺ: نعم إذا كثرت الخبث]^(٤) فالمانع والحائل من نزول العذاب هو الإصلاح لا مجرد الصلاح، فيجب أن يكون الإنسان صالحاً في نفسه مصلحاً لغيره، فحقيقة الصلاح وتمامه إنما تكون بالإصلاح.

المطلب الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال تعالى ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ* وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ* فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (الأعراف ١٦٣-١٦٥)

قال الشوكاني: "قال جمهور المفسرين: إن بني إسرائيل افتقرت ثلاث فرق: فرقة عصت وصادت، وكانت نحو سبعين ألفاً، وفرقة اعتزلت، فلم تنته ولم تعص، وفرقة اعتزلت ونهت، ولم تعص، فقالت الطائفة التي لم تنته ولم تعص للفرقة الناهية: {لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا} يريدون الفرقة العاصية، وقالوا ذلك على غلبة الظن لما جرت به عادة الله من إهلاك العصاة، أو تعذيبهم، من دون استئصال بالهلاك، فقالت الناهية: موعظتنا معذرة إلى الله، ولعلمهم يتقون. {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ} أي لما ترك العصاة من أهل القرية ما ذكّرهم به الصالحون الناهون عن المنكر، {أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ} أي الذين فعلوا النهي ولم يتركوه {وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا} وهم العصاة المعتدون في السبت {بِعَذَابٍ بَئِيسٍ} أي شديد من يؤس الشيء بيؤس بأساً إذا اشتد {بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} أي بسبب فسقهم".^(٥) وهنا لا بد أن نتعرض لأهمية

- 1- كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه، ج ٢٨ ص ١٤٦.
- 2- الأدب المفرد للبخاري، باب عقوبة عقوق الوالدين ح ٢٩ ص ٢٤، صححه الألباني، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، الأخلاق والبر والصلة ١٦٧، ص ٤٠.
- 3- أنظر كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه، ج ٢٨ ص ١٤٦.
- 4- الموطأ للإمام مالك، كتاب الكلام، باب ما جاء في عذاب العامة بعمل الخاصة ح ٢٢ ص ٨٥٩ صححه الألباني، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، الفتن وأشرار الساعة والبعث ح ٢٦٨٧، ص ٤٩٢.
- 5- فتح القدير ج ٢ ص ٣٧٤.

الأمر بالمعروف، ونذكر عاقبة تركه، وأنه من واجبا الإنكار ولو بالقلب، وأن النجاة بالتزام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أولا : أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران ١٠٤) قال النبي ﷺ: [مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا، هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم، نجوا، ونجوا جميعا].^(١) يضرب الرسول ﷺ مثلا للمجتمع، ويبين أن مثل القائمين على الأمور، ومثل المرتكبين لما حرم الله، كمثل قوم اقتنعوا للركوب في سفينة فكان قوم أسفلها وقوم أعلاها، فكان الذين أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، أي: إذا أرادوا أن يحققوا أي أمر يأخذونه عن طريق الذين في القمة، وهم من فتح الله عليهم، فعرفوا ربهم وأدركوا ما هو حلال ففعلوه، وما هو حرام فامتنعوا عنه، كذلك أدركوا أن معصية أي فرد من مجتمعهم لا تضر الفرد العاصي وحده، إنما تضر المجتمع كاملا، وهنا لما قال الذين في أسفل السفينة، لماذا نصعد إلى أعلى والماء عندنا هنا قريب، تأتي الطبقة التي هي مسئولة عن الأمن، ومسئولة عن المجتمع ومنهم الأب والأم وكل من له سلطان، فإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعا، وإن تركوهم هلكوا، وهلكوا جميعا. فإذا أردنا الأمن والرخاء لأمتنا ولأنفسنا فلا بد أن نكون يداً واحدة على تقوى الله تعالى، فنحقق الإيمان في قلوبنا، ونحقق ما أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ، فحينئذ يتبدل الحال بعد الذل عزاء، وبعد الفرقة اجتماعاً، وبعد الشدة رخاء، وبعد القحط غيثاً ورحمة.

ثانياً: عاقبة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ* كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المائدة ٧٨ - ٧٩) هذا إعلام بأن بني إسرائيل لعنوا في الكتب الأربعة، وأنهم قد لعنوا على لسان غير موسى ومحمد عليهما السلام، فقد لعنوا على عهد موسى في التوراة، وعلى عهد داود في الزبور، وعلى عهد عيسى في الإنجيل، وعلى عهد محمد ﷺ في القرآن.^(٢) فعلينا أن نتق الله جل وعلا، ونحذر من التهاون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا شك أنه بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سوف يكثر الشر وينتشر، ويكثر الفسقة، فإذا حصل ذلك فلا تسأل عن

1- صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والإستهام فيه ح ٢٤٩٣ .

2- انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ج ٢ ص ٢٢٤ .

أحوال المجتمع وما يحل فيه من النقمات، قال النبي ﷺ: [و الذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم].^(١) ولما ولى أبو بكر ﷺ صعد المنبر فحمد الله ثم قال: إيا أيها الناس إنكم تقرعون هذه الآية ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (المائدة ١٠٥) وإنكم تضعونها على غير مواضعها، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه أوشك الله أن يعمهم بعقابه.^(٢) فالذنوب والمعاصي من أسباب الشقاء، ولذلك جاء التحذير منها في كتاب الله؛ لما فيها من الإضرار بالفرد والمجتمع، فهي سبب يؤدي إلى غضب الله جل وعلا وإلى عقابه لمن ارتكبها، ثم إن العقوبة المترتبة على هذه المعاصي تختلف، فأحيانا تكون بالأنفس، وأحيانا بالأموال، وأحيانا بالأولاد، وأحيانا تكون بالكوارث العامة، مثل: الفيضانات، أو الرياح المدمرة، أو الزلازل، أو بالحروب الطاحنة، أو بالأمراض المستعصية.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له مراتب، فربما يعذر المؤمن في بعض الحالات، قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النحل ١٠٦) عن ابن عباس قال لما أراد النبي ﷺ أن يهاجر إلى المدينة، أخذ المشركون بلالا وخبابا وعمار بن ياسر، فأما عمار فقال لهم كلمة أعجبتهم تقية، فلما رجع إلى رسول الله ﷺ حدثه فقال: كيف كان قلبك عندما قلت، أكنت منشرا بالذي قلت، قال: لا، فأنزل الله {..إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ...}.^(٣)

ومن هنا نستنبط أن الإنكار بالقلب مع الضعف يجوز، لأن الآية تدل على أن الذي يقول كفرا وهو مضطر إلى ذلك فهو ناج لم يؤاخذ، فمن باب أولى من يرى المنكر ولم يستطع تغييره أن يقبل منه الإنكار في القلب، قال رسول الله ﷺ: [من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ومن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان].^(٤) هذا الحديث يدل على أن مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثلاثة: الإنكار باليد، والإنكار باللسان، والإنكار بالقلب، وليس وراء ذلك حبة خردل.

1- مسند الإمام أحمد، باقي مسند المكثرين، حديث حذيفة بن اليمان ح ٢٢٧٩٠، حسنه الألباني، انظر صحيح الترغيب والترهيب لناصر الدين الألباني، كتاب الحدود وغيرها، باب الترغيب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والترهيب من تركهما ح ٢٣١٣، ج ٢ ص ٤٠٥.

2- المرجع السابق، مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند أبي بكر ح ١٧، صححه الألباني، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة، الحدود والمعاملات والأحكام، ح ١٦١٥، ص ٢٩٠.

3- انظر لباب النقول في أسباب النزول لجلال الدين السيوطي ص ١٦٦، قال ابن حجر رحمه ثقات، انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج ١٢ ص ٣١٢.

4- صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ح ٤٩.

المطلب الثالث: ذكر الله عز وجل

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ*... فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أُنتَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ (آل عمران ١٩١ - ١٩٥) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المنافقون ٩) إن ذكر الله نعمة كبرى، ومنحة عظيمة، به تجلب النعم، وتدفع النقم، فهو قوت القلوب، وقرّة العيون، وحياة الأرواح، وما أشد حاجة العباد إليه، لا يستغني عنه المسلم بحال من الأحوال، فبه يدفعون الآفات، ويكشفون الكربات، وتهون عليهم المصائب إذا أظلم البلاء، وبه يصل الذاكر إلى المذكور. وفي كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة، والذكر، عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة، فهي عبادة للمحبوب في كل حال، قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، فكما أن الجنة قيعان وهو غراسها، فكذلك القلوب بور خراب وهو عمارتها وأساسها. زين الله به السنة الذاكرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء، والأذن الصماء واليد الشلاء، وهو باب الله الأعظم بينه وبين عبده، ما لم يغلقه العبد بغفلته، قال الحسن البصري: "تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر، وقراءة القرآن، فإن وجدتم؟ وإلا فاعلموا أن الباب مغلق".^(١)

قراءة القرآن أفضل أنواع الذكر

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر ٢٣) هذا تصريح من الله عز وجل أن القرآن أحسن الحديث، وسبب ذلك يبينه تفسير الآية قال الطاهر بن عاشور "ومعنى كون القرآن أحسن الحديث، أنه أفضل الأخبار، لأنه اشتمل على أفضل ما تشتمل عليه الأخبار من المعاني النافعة والجامعة لأصول الإيمان، والتشريع، والاستدلال، والتنبيه على عظم العوالم والكائنات، وعجائب تكوين الإنسان، والعقل، وبت الآداب، واستدعاء العقول للنظر والاستدلال الحق، ومن فصاحة ألفاظه، وبلاغة معانيه، البالغين حد الإعجاز، ومن كونه مصدقاً لما تقدمه من كتب الله، ومهيماً عليها. وفي إسناد إنزاله إلى الله، استشهاد على حسنه، حيث نزله العليم بنهاية محاسن الأخبار والذكر"^(٢). ومما يدل على أن قراءة القرآن أفضل أنواع الذكر، ما جاء عن أبي سعيد قال: قال

1- مدارج السالكين لابن قيم الجوزية، ج ٢ ص ٤٢٤.

2- التحرير والتنوير ج ٢٣ ص ٣٨٥.

رسول الله ﷺ: - [يقول الرب عز و جل من شغله القرآن وذكرني عن مسألتني أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه]^(١)

الذكر فيه النجاة

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ * الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجَبَ﴾ (الرعد ٢٨-٢٩) فالذين آمنوا إلى الله إيماناً واستقامةً، وهداهم إليه صراطاً مستقيماً، هؤلاء تطمئن قلوبهم، أي تسكن وتستأنس بذكر الله، وذكر وعده، وذكر صالحى عباده، محمد ﷺ وأصحابه، وقوله: {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} أي قلوب المؤمنين، وقوله {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجَبَ} إخبار من الله تعالى بما أعد لأهل الإيمان والعمل الصالح، وهو طوبى حال من الحسن الطيب، يعجز البيان عن وصفها، أو شجرة في الجنة، ولهم حسن منقلب، وهو: الجنة، دار السلام والنعيم المقيم.^(٢) قال رسول الله ﷺ: [يقول الله تبارك وتعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة].^(٣) فإذا كان الله مع العبد، فحتماً أنها النجاة، قال النبي ﷺ: [ما عمل آدمي عملاً قط أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز و جل]^(٤)

المطلب الرابع: الجهاد في سبيل الله

قال تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء ٧٤) معنى الكلام : فليقاتل في سبيل الله المؤمنون حقاً فإنهم يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ولا يفهم أحد من هذا القول أن الأمر بالقتال مختص بفريق دون آخر ، لأن بذل الحياة في الحصول على ثواب الآخرة شيء غير ظاهر حتى يعلق التكليف به ، وإنما هو ضمائر بين العباد وربهم^(٥) وللتعرف على الجهاد لا بد أن نتعرض لمعنييه اللغوي والاصطلاحي.

1- سنن الترمذي ، كتاب فضائل القرآن عن رسول الله ، باب ما جاء كيف كانت قراءة النبي، ح ٢٩٢٦ حسنه الترمذي .

2- انظر تفسير الطبري ج ١٣ ص ٥١٨ ، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، ج ٣ ص ٢٦ .

3- صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى ويحذركم الله نفسه ، ح ٧٤٠٥ .

4- سنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله، باب منه ح ٣٣٧٧ صححه الألباني.

5- التحرير والتنوير ج ٥ ص ١٢٢ .

أولاً: الجهاد لغة: من الجُهد بمعنى الوُسع وهو بذل الجهد والوسع والطاقة، أو من الجُهد بمعنى المشقة. (١)

ثانياً: الجهاد اصطلاحاً: يأتي بمعنى أعم حيث يشمل الدين كله؛ وتتسع مساحته فتشمل الحياة كلها بسائر مجالاتها و نواحيها وله كذلك معنى خاص هو القتال لإعلاء كلمة الله عز وجل. (٢)

حُكم الجهاد في سبيل الله تعالى

الجهاد فرض كفاية، إذا قام به من يكفي من المسلمين؛ سقط الإثم عن الباقيين قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة ١٢٢). (٣)

ويكون الجهاد فرض عين في ثلاث حالات: ٤

١- إذا حضر المسلم القتال والتقى الزحفان وتقابل الصفان، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقَيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُلُوهُمُ الْأُدْبَارَ . وَمَنْ يُولَّهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِنَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (الأنفال ١٣). وذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن التولي يوم الزحف من السبع الموبقات. (٥)

٢- إذا حضر العدو بلدًا من بلدان المسلمين تعين على أهل البلاد قتاله وطرده منها، ويلزم المسلمين أن ينصروا ذلك البلد إذا عجز أهله عن إخراج العدو، ويبدأ الوجوب بالأقرب فالأقرب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة ١٥)

٣- إذا استنفر إمام المسلمين الناس وطلب منهم ذلك.

الجهاد تجارة رابحة وفوز بالجنة :

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ *تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ *يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *وَأُخْرَى تَحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الصف ١٠-١٣) بين الله

1- انظر تاج العروس من جواهر القاموس ج ٧ ص ٥٣٧.

2- انظر المرجع السابق والصفحة.

3- انظر المغني لابن قدامة المقدسي ج ١٠ ص ٣٥٩.

4- المرجع السابق ص ٣٦١.

5- انظر صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ح ٢٧٦٧.

تعالى تلك التجارة التي تتجينا من العذاب الأليم، فقال {تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} محمد ﷺ، وتجاهدون في دين الله، الذي شرعه لكم بأموالكم وأنفسكم {ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ} فإيمانكم بالله ورسوله، وجهادكم في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم {خَيْرٌ لَكُمْ} من تضييع ذلك والتفريط {إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (١) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: [تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانًا بِي، وَتَصَدِيقًا بِرَسُولِي، فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أَدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا مِنْ كَلِمٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلَّمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ رِيحُ مِسْكِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا أَنْ يَشُقُّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنْ أَعْزُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَعْزُوَ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَعْزُوَ فَأُقْتَلَ]. (٢)

المطلب الخامس: الإستغفار

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْمِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (النساء ١١٠) وقال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (نوح ١٠-١٢) يعني بذلك أنه من يعمل ذنبًا، وهو السوء، أو يظلم نفسه، بإكسابه إياها ما يستحق به من عقوبة، ثم يتوب إلى الله مما عمل من السوء، وظلم نفسه، وعمله ما يحبه الله من الأعمال التي تمحو ذنبه وتذهب جرمه، يجد ربه ساترًا عليه ذنبه، بصفحه له عن عقوبة جرمه، وهذه الآية لكل من عمل سوءًا أو ظلم نفسه. (٣) والقرآن مليء بالحث على الاستغفار، وللاستغفار ثمرات كما سيبين الباحث:

أولاً: الاستغفار دعوة الأنبياء

قال الله تعالى على لسان نوح: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ (نوح ١١) وقال سبحانه على لسان هود: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ (هود ٥٢)، وقال سبحانه على لسان صالح: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (النمل ٤٦) فالاستغفار منهج الأنبياء الأخيار، ومسلك الرسل الأبرار، عملوا به، وأمروا به أقوامهم، قال رسول الله ﷺ: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ]. (٤) فمن استغفر الله بصدق غفر

1- تفسير الطبري ج ٢٢ ص ٦١٧.

2- صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد في الخروج في سبيل الله ح ١٨٧٦.

3- انظر تفسير الطبري ج ٧ ص ٤٧٤، ٤٧٥.

4- مسند أحمد بن حنبل، مسند الكوفيين، [حديث رجل رضي الله عنه جاء بعد حديث الأغر المزني رضي الله عنه ح ١٧٨٢٩، صححه الألباني، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة، التوبة والمواعظ ح ١٤١٥، ص ٢٥٤.

الله له، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غُفُورًا رَحِيمًا﴾ فالاستغفار أمان للأمة من الهلاك، وعليه فالكيس هو من يكثر من الاستغفار والتوبة قبل فوات الأوان. والله سبحانه لم يُقنط عباده من رحمته، ومد لهم حبال العفو والمغفرة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر ٥٣). ولهذا قال النبي ﷺ: [ما من رجل يذنب ذنبا، ثم يقوم فيطهر، ثم يصلي، ثم يستغفر الله، إلا غفر الله له]^(١) ودعوة الأنبياء أقوامهم للاستغفار جاءت خوفا عليهم، ومعرفة بربهم الذي يغفر حتى كبائر الذنوب والخطايا، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ (آل عمران ١٣٥) فهم يؤمنون أقوامهم بالاستغفار وهذا هو واجب المحب لمن أحب وليس هناك أعظم حبا لأقوامهم من الأنبياء.

ثانيا: الاستغفار وقاية من الهلاك

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال ٣٣) أي لو آمنوا واستغفروا فإن الاستغفار أمان من العذاب، فكفار قريش لو استغفروا لم يعذبهم الله، وهذا تنبيه لهم ليسلموا ويستغفروا ليؤمنوا العذاب.^(٢) وروي أنهم كانوا يقولون في الطواف غفرانك، ومن أجل ذلك ما كان الله معذبهم في حال كونهم يستغفرون. وقيل المعنى: لو كانوا ممن يؤمن بالله ويستغفروه لم يعذبهم. وقيل: وما كان الله معذبهم وفي أصلاهم من يستغفر الله.^(٣) وعن عبد الله بن مسعود قال: [إن يونس كان وعد قومه العذاب وأخبرهم أنه يأتيهم إلى ثلاثة أيام ففرقوا بين كل والدة وولدها ثم خرجوا فجأروا إلى الله واستغفروه فكف الله عنهم...].^(٤) ولذلك فإذا استغفر الكفار، فالغفار بكرمه وعفوه لا يهلكهم هلاكا عاما. قال علي كرم الله وجهه: "العجب ممن يهلك ومعه النجاة، قيل: وما هي؟ قال: الاستغفار وكان يقول: ما ألهم الله سبحانه عبدا الاستغفار وهو يريد أن يعذبه"^(٥)

والإنسان من طبيعته أن يخطئ، قال رسول الله ﷺ: [والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم]^(٦) لكن الشيء المهم، هو أن لا ينقطع حبلك مع الله عز وجل، وأن لا يُصِرَّ الإنسان على الخطأ والذنب، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا

1- سنن الترمذي، كتاب مواقيت الصلاة، باب ما جاء في الصلاة عند التوبة ح ٤٠٦ حسنه الألباني.

2- انظر التفسير الكبير للرازي ج ١٥ ص ١٦٣.

3- انظر فتح القدير ج ٢ ص ٣٠٤.

4- مصنف ابن أبي شيبة، باب ما ذكر فيما فضل به يونس بن متى عليه السلام ح ٣٢٥٢٧، ج ٦ ص ٣٣٨.

5- فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، شرح حديث (من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة) ح ٨٤١٩، ج ٦ ص ٥٧.

6- صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر، ح ٢٧٤٩.

فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ}. والمعاصي ليست كفرة بذاتها إذا كانت من المعاصي العملية كالغيبة، أو النميمة، أو السرقة، أو الزنى أو غيرها، فهذا ليس كفرة بالله عز وجل، ولكن كثرة المعاصي قد تجر الإنسان إلى الكفر بالله، فالظن من يخشى أن تجره الذنوب إلى الانسلاخ من دينه والعياذ بالله ومن ثم إلى القنوط من رحمة الله، ولا شك أن القنوط واليأس من رحمة الله ينقل الإنسان عن الملة، قال تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنُطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِنَّا الضَّالُّونَ﴾ (الحجر ٥٦) وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَبِئْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف ٨٧) فالأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، ينقلان الإنسان عن دين الله عز وجل، ومن ثم لم يبق إلا انتظار الهلاك الذي يمكن رده بالاستغفار والتوبة، قال تعالى ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ (هود ٣١) والاستغفار المطلوب هو الذي يحل عقد الإصرار، ويثبت معناه في القلب، لا التلطف باللسان فحسب، فأما من قال بلسانه استغفر الله، وقلبه مصر على معصية الله، فاستغفاره ذلك يحتاج إلى استغفار، جاء في تفسير القرطبي عن بعض الصالحاء قال: "الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين".^(١)

ثمرات الاستغفار

فالمتمسك بالاستغفار فائز، وعده الله أن يعطيه ثماره، ولا يبخره ومن ثماره:

١ - المتاع الحسن:

قال تعالى: ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ (هود ٣١) فالاستغفار والتوبة إلى الله تعالى من الذنوب سبب لأن يمتع الله من فعل ذلك متاعاً حسناً إلى أجل مسمى، لأنه رتب ذلك على الاستغفار والتوبة ترتيب الجزاء، والظاهر أن المراد بالمتاع الحسن: سعة الرزق، ورغد العيش، والعافية في الدنيا، وأن المراد بالأجل المسمى: الموت^(٢) ويمتلك متاعاً حسناً، في الدنيا بخير وعافية، إلى منتهى آجالكم. والمتاع الحسن كلمة عامة، تصلح لكل ما يمكن أن يكون متاعاً حسناً في الدنيا، فلا يكدره مكر، ولا يشوبه شائبة، فالإمتاع ثمرة الاستغفار والتوبة، وأصله الإطالة، ومنه، أمتع الله بك ومتع^(٣) فإطالة العمر مع توفر مقومات السعادة من الصحة وسعة الرزق، لهو من عظيم عفو الله سبحانه ورضاه، فالله سبحانه أخبر أن

1- تفسير القرطبي ج ٩ ص ٣٣٩.

2- انظر أضواء البيان ج ٣ ص ٨.

3- انظر تفسير القرطبي ج ٣ ص ٣٣٩.

الاستغفار سبب يُستجلب به مغفرة الله ورزقه وخيره. يقول محمد رشيد رضا: "وهذه السنة الربانية مطردة في ذنوب الأمم المقصودة بالقصد الأول من هذا الخطاب، وهي فيها أظهر منها في ذنوب الأفراد، فالأمم التي تصير على الظلم، والفساد، والفسوق، والعصيان، يهلكها الله تعالى في الدنيا بالضعف، والشقاق، وخراب العمران، حتى تزول منفعتها، وتتمزق دولتها، فتتقرض، أو تستولي عليها دولة أخرى، فهذا معروف في تواريخ الأمم من أحوالها العامة في كل عصر، وأما أقوام الرسل عليهم السلام، في عصورهم: فقد أهلك الله المصرين منهم على الكفر والعناد، بعد قيام الحجة عليهم بعذاب الخزي والاستئصال ولذلك قال في آخر الآية: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ (هود ٣)">(١)

٢- نزول الغيث

قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ (نوح ١٠- ١١) والسماء هنا المطر، ومن أسماء المطر السماء. (٢) عن زيد بن خالد الجهني (٣) أنه قال: [صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية، على إثر سماء كانت من الليل]. (٤) والمدرار: هو الكثير الدر، وهو السيلان، يقال درت السماء بالمطر، ومعنى ذلك أن يتبع بعض الأمطار بعضاً (٥) قال الإمام القرطبي: "هذه الآية، والتي في هود، دليل على أن الاستغفار يستنزل به الرزق والأمطار" (٦) ومن المعروف أن المطر لا تقوم الأرض إلا به فإذا حبس عن قوم فهم هالكون لا محالة، إلا إذا تداركتهم رعاية الله سبحانه، قال ابن كثير: "ومن اتصف بهذه الصفة - الاستغفار - يسر الله عليه رزقه، وسهل عليه أمره، وحفظ عليه شأنه وقوته، ولهذا قال: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾" (٧)

1- تفسير القرآن الحكيم ، المشتهر باسم تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ج ١٢ ص ٧ .

2- انظر التحرير والتنوير ج ٢٩ ص ١٩٨ .

3- زيد بن خالد الجهني . يكنى أبا عبد الرحمن وقيل : أبو زرعة ، سكن المدينة، وشهد الحديبية مع رسول الله ﷺ وكان معه لواء جهينة يوم الفتح وتوفي بالمدينة وقيل : بمصر، وكانت وفاته سنة ثمان وسبعين وهو ابن

خمس وثمانين، انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ج ٢ ص ٦٠٣ .

4- صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم ج ٨٤٦ .

5- أنظر التحرير والتنوير ج ٢٩ ص ١٩٨ .

6- تفسير القرطبي ج ١٩ ص ١٦٩ .

7- تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٧٣ .

٣ - الإمداد بالمال

قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (نوح-١٠، ١٢)، ذكر الله المال في القرآن ثمانين مرة، ومن المعروف أن حب المال يسري من ابن آدم مسرى الدم في العروق بدليل قوله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (الفجر-٢٠) والإسلام لا يرفض المال، وموقفه من المال إيجابي، والإسلام يريد من المسلم أن يجمع بين الدنيا والآخرة، فالأمة التي تملك المال، هي التي تملك كل شيء، وتقهّر عدوها، ودائمًا يكون الأعداء أكثر جمعًا للمال، وهم من يتحكمون في لقمة العيش، وغالب الناس يطول به الزمن وهو ينتظر الفرج، وأظنه سيموت وهو ينتظر الفرج ولن يدركه، ولو علم المسكين أن طريق الفرج بين يديه، لما تأخر عنه، ولكن هيهات هيهات لبصيرته أن تفتح، فهو قد عود نفسه على التعلق بالمخلوق، معجبا بأفكار الغرب وحضارته، ونسي أن ربه هو الرزاق ذو القوة المتين ﴿..... إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات ٥٦).

والاستغفار بصريح القرآن يعالج كل ضائقة تحيط بالإنسان، لكن الناس يستعجلون، فيسلكون طرقا محرمة لجمع المال، والأصل أن نكسب المال من حله، وقد حذر النبي ﷺ من ذلك فقال: [ليأتين على الناس زمان، لا يبالي المرء بما أخذ من المال، أمن حلال أم من حرام]^(١) لكن الذين اتقوا عرفوا الطريق فسلكوه، فلم يتعبوا أنفسهم فيما قدره الله لهم، وهم شغلوا أنفسهم بالاستغفار والتوبة، ليقينهم أن المتاع في الدنيا، بهما ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (هود-٣)

٤ - الإمداد بالولد

قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (نوح-١٠، ١٢)، والأولاد نعمة تتعلق بها قلوب البشر وترجوها، فقد دعا إبراهيم عليه السلام ربه قائلاً: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الصافات-١٠٠) وقال تعالى عن زكريا عليه السلام: ﴿... فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ (مريم-٥-٦) وأثنى الله تعالى على عباده الصالحين بمحامد كثيرة منها قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾﴾ (الفرقان-٧٤) والناس تحترق قلوبها عند عدم الإنجاب، والله سبحانه قد دلنا على الطريق، قال الفخر الرازي: "إعلم أن الاشتغال بالطاعة سبب لانفتاح أبواب الخيرات، وذلك أن

١- صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا ح ٢٠٨٣ .

الكفر سبب لخراب العالم على ما قال في كفر النصارى ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَكَدًّا﴾ (مريم ٩٠-٩١) فلما كان الكفر سبباً لخراب العالم، وجب أن يكون الإيمان سبباً لعمارة العالم. فإذا اشتغلوا بتحصيل المقصود حصل ما يحتاج إليه في الدنيا على سبيل التبعية^(١). فمن كان لا ينجب، فما عليه إلا أن يصلح من نفسه، ويتقرب إلى الله بالنوافل، ويكثر من الاستغفار، ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾. (النساء ١٢٢) وفد الحسن بن عليٍّ على معاوية، فلما خرج تبعه بعض حُجَّاب معاوية فقال: إني رجل ذو مال ولا يولد لي، فعلمني شيئاً لعل الله يرزقني ولداً، فقال: عليك بالاستغفار، فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة، فولد له عشرة بنين، فبلغ ذلك معاوية فقال: هلا سألته مم قال ذلك؟ فوفد وفدة أخرى، فسأله الرجل فقال: ألم تسمع قول نوح -عليه السلام- ﴿وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (نوح ١٢)»^(٢)

٥ - قبول التوبة ودخول الجنة

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيَعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (آل عمران ١٣٥-١٣٦) فمن صفات أهل الجنة أنهم إذا صدر عنهم فعل قبيح يتعدى أثره إلى غيرهم، كخبية إنسان، أو صدر عنهم ذنب يكون مقتصرًا عليهم، كشرب خمر ونحوه، ذكروا الله تعالى ووعيده، وعظمته، وجلاله، فرجعوا إلى الله تائبين، طالبين مغفرته، ولم يقيموا على القبيح من غير استغفار، لعلمهم أن الله هو الذي يغفر الذنوب جميعاً، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه قال: إيا بن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان ولا أبالي، يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا بن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة^(٣). فأى نعمة أعظم من أن يرضى الله عن العبد، ويقبل توبته، وهل يبتغي العبد اللبيب سوى قبول التوبة منه، لذلك أخبر سبحانه عن أمره لنبيه بالاستغفار فقال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (النصر ٣) رغم أن النبي ﷺ لم يصدر عنه ما يغضب الله فهو المعصوم، قال ﷺ: [إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مئة مرة]^(٤). وكيف لا والله سبحانه تعالى في الحديث القدسي يقول: [.... إنكم تذنوبون بالليل والنهار

1- التفسير الكبير للرازي ج ٣٠ ص ١٣٧.

2- الكشاف للزمخشري، ج ٢ ص ٣٨١.

3- سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب: فضل التوبة ح ٣٥٤٠ صححه الألباني.

4- صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار والإكثار منه ح ٢٧٠٢.

وأنا أغفر الذنوب ولا أبالي، فاستغفروني أغفر لكم...^(١) فالاستغفار وسيلة من أقوى وسائل النجاة.

المطلب السادس: النجاة ببر الوالدين

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبِيتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ* أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (الأحقاف ١٥-١٦). المعنى ووصينا الإنسان أن يحسن في صحبته لوالديه برًّا بهما في حياتهما وبعد مماتهما، فقد حملته أمه جنينًا في بطنها على مشقة وتعب، وولده على مشقة وتعب أيضًا، ومدة حملها وطفامه ثلاثون شهرًا. وفي ذكر هذه المشاق التي تتحملها الأم دون الأب، دليل على أن حقها على ولدها أعظم من حق الأب. حتى إذا بلغ هذا الإنسان نهاية قوته البدنية والعقلية، وبلغ أربعين سنة دعا ربه قائلاً: ربي ألهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمتها عليّ وعلى والديّ، واجلني أعمالًا صالحًا ترضاه، وأصلح لي في ذريتي، إني تبت إليك من ذنوبي، وإني من الخاضعين لك بالطاعة والمستسلمين لأمرك ونهيك، المنقادين لحكمك، أولئك الذين نتقبل منهم أحسن ما عملوا من صالحات الأعمال، ونصفح عن سيئاتهم، في جملة أصحاب الجنة، هذا الوعد الذي وعدناهم به هو وعد الصدق الحق الذي لا شك فيه ^(٢) وقال رسول الله ﷺ: [ثلاثة لا ينظر الله - عز وجل - إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة، والديوث. وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن على الخمر، والمنان بما أعطى] ^(٣) قال النبي ﷺ: [رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه، قيل من يا رسول الله: قال: من أدرك والديه عند الكبر، أحدهما، أو كليهما، فلم يدخل الجنة] ^(٤) فبر الوالدين طريق قريب إلى الجنة؛ لأن من بر والديه فقد عبد الله عز وجل والوالدان سبب في مجيء العبد إلى الدنيا بعد الله جل في علاه، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (النساء ٣٦). وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا*وَاخْفِضْ

1- صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم ح ٢٠٧٧.

2- انظر أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج ٥ ص ٥٤.

3- سنن النسائي، كتاب الزكاة، باب المنان بما أعطى ح ٢٥٦٢ قال الألباني حسن صحيح.

4- صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر ولم يدخل الجنة ح ٢٥٥١.

لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿١٠٤﴾ (الإسراء ٢٤، ٢٣)، أمر الله تعالى في هذه الآية الكريمة بإخلاص العبادة له وحده، وقرن بذلك الأمر بالإحسان إلى الوالدين. وجعل عز وجل بر الوالدين مقروناً بتوحيده في عبادته، وهذا يدل على شدة تأكيد وجوب بر الوالدين.^(١) ولأجل ذلك تكررت الوصايا في كتاب الله تعالى، على الإلزام ببرهما والإحسان إليهما، والتحذير من عقوقهما، أو الإساءة إليهما، بأي أسلوب كان، قال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ (العنكبوت ٨). وقد ضمَّ الله لزوم شكرهما إلى وجوب شكره في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَذَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان ١٤) فأوضحت هذه الآيات ما للوالدين من جميل عظيم، وفضل كبير على أولادهما، وذلك واضح في دلالاته على كبير حقهما. ولا يقتصر بر الوالدين على حياتهما، قال النبي ﷺ: [إن من أبر البر صلة الرجل أهل وُدَّ أبيه بعد أن يولى]^(٢)

بر الوالدين وإن كانا مشركين

والقرآن جعل للوالدين المشركين حقاً، قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (لقمان ١٥) حتى مع محاولة التكفير والصد عن طريق الله، وعن الإيمان، مع هذا يقول " لا تطعهما، ولكن صاحبهما في الدنيا معروفاً. قالت أسماء بنت أبي بكر للنبي ﷺ: [إن أمي زارتني وهي مشركة، أفصلها؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم صلي أمك]^(٣) وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (المتحنة ٨)

بر الوالدين سبب في سعة الرزق وإطالة العمر

فمن فضائل بر الوالدين، سعة الرزق وطول العمر، قال رسول الله ﷺ: [من سره أن يبسط له رزقه، ويُنسأ في أثره، فليصل رحمه].^(٤) ومن المعلوم أن أصحاب الرحم لا يربطهم بالمرء إلا والداه، فإذا كان الله جل وعلا جعل صلة الرحم من أسباب سعة الرزق، فكيف ببر الوالدين. فبر الوالدين سبب في سعة الرزق، وعقوق الوالدين سبب في ضيق الرزق، وبر الوالدين سبب في طول العمر، وعقوق الوالدين سبب في قصر العمر، فإذا رأى الإنسان النكد في حياته، من ضيق

1- أضواء البيان ج ٣ ص ٤٥٢.

2- صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما ح ٢٥٥٢.

3- صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب إثم من عاهد ثم غدر ح ٣١٨٣.

4- المرجع السابق، كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق ح ٢٠٦٧.

الرزق، وتكاثر الأعداء، وتضاعف الهموم، فينبغي أن ينظر في صلته لواليه، ورحمه، قال رسول الله ﷺ: [لا يزيد في العمر إلا البر، ولا يرد القدر إلا الدعاء، وإن الرجل ليحرم الرزق بخطيئة يعملها].^(١)

بر الوالدين ينجي من الكربات

ومن فضائل بر الوالدين تفريج الكربات، وإجابة الدعوات، قال النبي ﷺ: [انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم، حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فاندحرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيك من هذه الصخرة؛ إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أعقب قبلهما أهلاً، ولا مالاً، فنأى بي في طلب شيء يوماً، فلم أُرْحْ عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين، وكرهت أن أعقب قبلهما أهلاً، أو مالاً، فلبثت والقدر على يدي أنتظر استيفاطهما حتى برق الفجر، فاستيقظا، فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفجرت شيئاً....] ^(٢)

المطلب السابع: غض البصر وحفظ الفرج

قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾* وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ (المؤمنون ٣٠-٣١) ربط الله تعالى بين غض البصر و حفظ الفروج، و كأن من يغض بصره أقر من غيره على حفظ فرجه، أما من أطلق بصره، فقد فتح باباً عظيماً يأتيه منه الخطر، و ذلك لأن النظرة تحرك مكامن الشهوة فيخضع لهواه، ونزواته، "وقد جعل الله العين مرآة القلب فإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته وإرادته وإذا أطلق بصره أطلق القلب شهوته".^(٣) ومسألة غَضُّ البصر هي صمام الأمان الذي يحمينا من الانزلاق في هذه الجرائم، ويسد الطريق دونها؛ لذلك قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾، وإن أفتن شيء يصيب الإنسان من ناحية الجنس هي حاسة البصر؛ لذلك أمر الله المؤمنين بغضُّ أبصارهم، وأمر المؤمنات بعدم إبداء الزينة، وهكذا جعل المناعة في كلا الطرفين، وكما أمر الرجل بغضُّ بصره، كذلك أمرت المرأة بغضُّ بصرها، لأن اللَّفْتَةَ قد تكون أيضاً للرجل ذي الوسامة، فإن كان حظ المرأة في رجل تحتقره العين، فلربما نظرت إلى غيره، فهذا الاحتياط، وهذه الحدود التي وضعها الله - عز وجل -

1- سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب العقوبات ح ٤٠٢٢ حسنه الألباني دون وإن الرجل ...

2- صحيح البخاري، كتاب الإجارة، باب من استأجر أجيراً فترك الأجر أجره فعمل فيه المستأجر ح ٢٢٧٢.

3- غذاء الأبواب، شرح منظومة الآداب للسفاريني ص ٧٨.

وألزمتنا بها، إنما هي لمنع هذه الجريمة البشعة؛ لأن النظر أول وسائل الزنا، وهو البريد لما بعده، ألا ترى شوقي رحمه الله حين تكلم عن مراحل الغزل يقول: نَظْرَةٌ فابْتِسَامَةٌ فَسَلَامٌ ، فَكَلَامٌ فمَوْعِدٌ فَلِقَاءٌ، فالأمر بغضّ البصر، ليسد منافذ فساد الأعراض ، ومنع أسباب تلوث النسل؛ ليأتي الخليفة لله في الأرض طاهراً، في مجتمع طاهر نظيف شريف، لا يتعالى فيه أحد على أحد، بأن له نسباً وشرفاً، والآخر لا نسب له.^(١)

النظر سهم يفسد على المسلم دنياه وآخرته

إن من خطورة النظر، بل من أعظمها، أنه لا يقتصر على شيء معين، ولا يقف عند حد ، فمثلاً: إذا نظر الرجل إلى امرأة، فإنه يسترسل بصره إلى مطالعة الصور الواحدة بعد الأخرى، والصورة بعد الصورة، دون أن يشفي غليله، أو يطفئ لهيبه، بل هو في ازدياد وانحدار مخيف، ومن أعظم الحبائل التي يستدرج الشيطان بها بني آدم، أن يفتح عليهم أبواب النظر إلى ما حرم الله، قال النبي ﷺ: [النظرة سهم من سهام إبليس مسمومة، فمن تركها من خوف الله، أثابه جل و عز إيماناً يجد حلاوته في قلبه]^(٢) وللنظر إلى ما حرم الله آثار قبيحة، مدمومة، مضرة بالقلب، والبدن، في الدنيا، والآخرة، وهي كثيرة منها:

١ - حرمان العلم

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النساء ٢٨٢) وقال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (الشورى ٣٠) قال الضحاك^(٣): [ما من أحد تعلم القرآن، ثم نسيه، إلا بذنب أحدثه، لأن الله يقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ فنسيان القرآن من أعظم المصائب].^(٤) ولاشك أن الإنسان كلما ازداد علماً، ازداد معرفة، وفرقانا بين الحق والباطل، والضرار والنافع، واقترب من الله، والعكس كذلك، فالعلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفى ذلك النور.

1- انظر تفسير الشعراوي ج ١٦ ص ١٠٢٤٨.

2- المستدرک علی الصحیحین للحاکم، کتاب الرقاق ٧٨٧٥ ، ج ٤ ص ٣٤٩ قال الحاکم: صحیح الإسناد.

3- الضحاك بن مزاحم الهلالي من بني هلال، بن عامر بن صعصعة، كنيته أبو القاسم، وأصله من بلخ، حملت به أمه سنتين، وولد له أسنان، أقام ببلخ، وبسمرقند، وبيخارى ، لقي جماعة من التابعين ولم يشافه أحدا من الصحابة، ومن زعم أنه لقي ابن عباس فقد وهم، فإنما لقي سعيد بن جببر بالري، وأخذ عنه التفسير، وكان معلما كاتباً يعلم الصبيان ولا يأخذ منهم شيئاً، مات سنة اثنتين ومائة وقد قيل سنة خمس ومائة ، انظر الثقات لابن حبان ج ٦ ص ٤٨٠.

4- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج ٨ ص ٩٥٨.

٢ - جفاء الناس له

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (مريم ٩٦) ، أي محبة في قلوب الخلق ، قال النبي ﷺ: [إذا أحب الله العبد، نادى جبريل، إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء، إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض] ^(١) فالوحشة التي تحصل بين العبد وبين الناس، ولاسيما أهل الخير منهم؛ سببها الوحشة التي بين العبد وبين الله، وكلما قويت تلك الوحشة مع الله، بعد بعد عن أهل الخير ومجالستهم، وحرّم بركة الانتفاع بهم، وقرب من حزب الشيطان، بقدر ما بعد من حزب الرحمن، وتقوى هذه الوحشة حتى تستحكم؛ فتقع بينه وبين امرأته وولده وأقاربه، وبينه وبين نفسه، فتراه مستوحشا من نفسه. ^(٢) وقال بعض السلف: "إني لأعصي الله، فأرى ذلك في خلق دابتي وامرأتي" ^(٣)

٣ - وهن القلب والبدن :

فلا تزال المعاصي توهن القلوب حتى تزيل حياة القلب بالكلية، وهذا الوهن يظهر أثره على القلب والبدن، فإن المؤمن قوته من قلبه، وكلما قوى قلبه؛ قوى بدنه، قال ابن عباس: [إن للحسنة ضياءً في الوجه، ونوراً في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق. وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القبر، والقلب، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق] ^(٤) ومن الطبيعي أن ينتج عن كل ذلك القلق الذي لا يستقر معه حال، فبدلاً من أن يطمئن المرء بحضور الله وذكره، يظل متعلقاً بالصور، لا ينالها فيستريح، ولا يتخلص منها قلبه، فالقلب وعاء يطمئن بذكر الله، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد ٢٨) وبمفهوم المخالفة فإنه يقلق ويضطرب بغير ذكر الله، ومن ثم يدب الوهن في البدن. فالفاجر وإن كان قوي البدن؛ فهو أضعف شيء عند الحاجة، فتخونه قوته عند أحوج ما يكون إلى نفسه. قال ابن القيم: "وتأمل قوة أبدان فارس والروم كيف خانتهن عند أحوج ما كانوا إليها، وقهرهم أهل الإيمان بقوة أبدانهم وقلوبهم". ^(٥)

1- صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ح ٣٢٠٩.

2- انظر الداء والدواء، أو الجواب الكافي، لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم الجوزية ص ٧٦.

3- ففروا إلى الله لأبي ذر القلموني ص ٣١.

4- الداء والدواء ص ٧٦ ، فقه الأدعية والأذكار لعبد الرزاق البدر ج ٢ ص ٢٦٢.

5- المرجع السابق ص ٧٧.

قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا...﴾ (البقرة: ١٠٠) وقال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (البروج: ١٤) قال النبي ﷺ [إن العبد إذا أخطأ خطيئة، نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإن هو نزعها واستغفر الله وتاب، صقل قلبه، فإن عاد، زيد فيها، حتى تعلق على قلبه. وهو الران الذي ذكر الله تعالى في كتابه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (البروج: ١٤)].^(١) فالمعاصي تزرع أمثالها، وتولد بعضها بعضاً، حتى يعز على العبد مفارقتها، والخروج منها، وإن من عقوبة السيئة، السيئة بعدها، وإن من ثواب الحسنة، الحسنة بعدها، ولو لم يكن للذنوب عقوبة إلا أنه يصد عن طاعة الله لكفى، فإنه يقطع بالذنوب طاعات، كل واحدة منها خير من الدنيا وما عليها. ويا حسرة على من أكل أكلة مرض منها مرضاً، كان سبباً في منعه من عدة أكالات أطيب منها، والله المستعان، قال رسول الله ﷺ [إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه، وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلاً كمثل قوم نزلوا أرض فلاة، فحضر صنيع القوم، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا سواداً، فأججوا ناراً، وأنضجوا ما قذفوا فيها]^(٢) قال ابن القيم: "إن القلب يصدأ من المعصية؛ فإذا زادت، غلب الصدأ، حتى يصير راناً، ثم يغلب، حتى يصير طبعاً، وختماً، فيصير القلب في غشاوة، فإذا حصل له ذلك بعد الهدى والبصيرة؛ انتكس، فصار أعلاه أسفله، فحينئذ يتولاه عدوه ويسوقه حيث أراد".^(٣)

الخلاصة

إن المرء إذا سخر قلبه وجوارحه في طاعة الله، وانطلق بهمته إلى ما يحبه الله ويرضاه، حينها يكون قد أشرق في قلبه نور الإيمان، وامتألت روحه بمحبة الرحمن، وهذا بعكس من يخالف منهج الله؛ فإنه يلاقي من العقوبات في الدنيا قبل الآخرة ما لا تستطع حمله الجبال، ومن العقوبات التي يلاقيها في الدنيا: حرمان التيسير والتوفيق، وحرمان الراحة والطمأنينة والاستقرار، وحرمان الأمن وحلول العقوبة، وحرمان العزة وتفشي الذلة، وحرمان النصر ونزول الهزيمة، وحرمان الرزق وزوال النعم، وحرمان محبة الناس، ونهاية كل ذلك حرمان الجنة، وهو أعظم أنواع الحرمان، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٥)، والطاعة طريق الجنة، وتركها طريق جهنم، قال الله تعالى: ﴿... وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ

1- سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ويل للمطففين ح ٣٣٣٤ حسنه الألباني.

2- مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن مسعود ح ٣٨٠٨، صححه الألباني، انظر صحيح الترغيب والترهيب، كتاب الحدود وغيرها، باب الترهيب من ارتكاب الصغائر والمحقرات من الذنوب والإصرار على شيء منها ح ٢٤٦٩، ج ٢ ص ٦٤٣.

3- الداء والدواء ص ٨٢.

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ* وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿النساء ١٣-١٤﴾

إن أعمال القلوب والجوارح لها ثمار، ومن أعلى هذه الثمار، هو نور الإيمان، قال تعالى: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (النور ٣٥) فالله هو الهادي، وهو المرسل لهذا النور في قلوب أوليائه، وهذا النور مقتبس من الوحي، فالقرآن نور، والسنة نور، قال تعالى: ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (التغابن ٨)

وإذا كان الله قد سمى الدين والوحي نور؛ فلنعلم أن نصيبنا من هذا النور على قدر التزامنا بهذا الوحي، ونور الإيمان الذي سكن في قلوب المؤمنين متفاوت على قدر تفاوتهم في قربهم من الرحمن، فهذا قد ملئ نوراً وإيماناً، وبجانبه من هو أضعف منه نوراً، قال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (فصلت ٤١) ولا يزال هذا النور يُتحف صاحبه بالهداية، فيأتيه في قبره، فيضيئ له كالقمر ليلة البدر، وفي يوم القيامة، حيث الأهوال والمصائب، إذا بك تلتفت فترى هناك فئة وعلى وجوههم نوراً عجبياً، وصفهم الرسول ﷺ بقوله: [أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر].^(١)

وبعد بيان بعض المنجيات، والتعرض إلى ما يميزها، لا يبقى إلا أن نشدز الهمم، ونتعظ مما مر بنا في كتاب ربنا، لنفوز في الدنيا والآخرة، ولا يعرف ذلك إلا من أثار الله بصيرته، وهده إلى العمل إليه، وهذا يتطلب إخلاص من العبد لله، فانه لن يضيع عمل عامل أخلص له، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد ٣٥).

1- صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ح ٣٢٤٥.

الفصل الثاني

أنواع النجاة في القرآن الكريم

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول : النجاة في الدنيا
- المبحث الثاني : النجاة في الآخرة

الفصل الثاني

أنواع النجاة في القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (يونس ٦٤)

أكثر الناس من جعل همه الدنيا، فلا يفكر إلا فيها، فإذا عرض عليه أمر من أمور الآخرة، أعرض، واشمأز، مؤثرا العاجلة على الباقية، وقد صرح القرآن بذلك، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ (القيامة ٢٠-٢١) فهو ينفق كل ما يملك ليتخلص من مكروه أصابه، فلا ييخل بشيء بحثا عن النجاة، وربما أهلك نفسه بوقوعه فيما يغضب الله، في سبيل الخلاص من مكروهه، أو تحصيل أمر محبوب.

والقرآن جاء لينبه على أن النجاة والخلاص المرجوان، واللذان يستحقان الإنفاق وبذل الجهد، والغالي والنفيس، إنما هي نجاة الآخرة، قال تعالى: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمئذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ (المعارج ١٢-١٤) والعاقل من يعي أن البحث عن نجاة الآخرة، يبسر له النجاة في الدنيا، ويخفف عنه المكروه مهما كان شديدا، لذلك سيتناول الباحث أنواع النجاة في مبحثين.

المبحث الأول

النجاة في الدنيا

وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول : النجاة من الكرب
- المطلب الثاني : النجاة من الفقر
- المطلب الثالث : النجاة من زوال النعمة
- المطلب الرابع : النجاة من الضلال
- المطلب الخامس : النجاة من سكرات الموت

المبحث الأول: النجاة في الدنيا

قال تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأنبياء: ٩).

بيّن سبحانه أنه أرسل الرسل إلى الأمم فكذبوهم، وبين أنه وعدهم بالنصر والعاقبة، وأنه صدقهم الوعد فأنجاهم، وأنجى معهم ما شاء أن ينجيه من أممهم، وأهلك المكذبين لهم. وقد بين ذلك فقال ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (يوسف: ١١٠) (١)

والنجاة في الدنيا مطلوب كل إنسان؛ لكنها مطلوب ليس على حساب نجاة الآخرة، والمؤمن يطلب كلتا النجاتين؛ إلا أن اهتمامه في نجاة الآخرة ينبغي أن يكون أكبر، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ (النحل: ٣٠) وقال تعالى: ﴿فَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٨).

ولا شك أن النفس تحب الراحة وعدم الوقوع في المهالك؛ لذلك فإن الإنسان دائماً يبحث عن الراحة، والسعادة في الدنيا أمل منشود يطلبه كل عاقل، والنبى ﷺ يقول: [من أصبح منكم معافى في جسده، أمنا في سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا] (٢) والقرآن تناول كثيراً من الأزمات التي يمر بها المؤمن في الدنيا، وبين كيفية النجاة منها.

المطلب الأول: النجاة من الكرب

قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (الصافات: ١١٥)

والكرب: هو الحزن والغم الذي يأخذ بالنفس، ومنه اشتقت الكربة (٣) "والمعنى: أنه نجى موسى وهارون وقومهما من الكرب العظيم، وهو ما كان يسومهم فرعون وقومه من العذاب، كذبح الذكور من أبنائهم، وإهانة الإناث، وكيفية إنجائهم لهم مبيّنة في انفلاق البحر لهم، حتى خاضوه سالمين، وإغراق فرعون وقومه وهم ينظرون". (٤)

والحقيقة أنه مهما بلغ الكرب فلن يصل إلى أعلى من القتل؛ ولكن هناك كرب أعظم من القتل، فلربما يكون في القتل راحة، ولكن أن يبتلعك حيوان فتجد نفسك في بطنه دون أن تموت، فمعنى ذلك أنك ستنتظر الموت، وهذا ما حدث لنبينا يونس في بطن الحوت، ومع ذلك فقد نجاه الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي

1- انظر أضواء البيان ج ٤ ص ٦٠٨ .

2- سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب القناعة ح ٤١٤١ حسنه الألباني.

3- أنظر تاج العروس من جواهر القاموس ج ٤ ص ١٣١ .

4- أضواء البيان ج ٦ ص ٦٩٤ .

الظُّلْمَاتِ أَنْ نَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجِّنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧-٨٨﴾ قوله: {فَطَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ} أي: فظن أن لن نعاقبه بالتضييق عليه، فلا يجوز أن ينسب إلى الكفر و قد اختاره الله لنبوته. وقوله {فَنَادَى فِي الظُّلْمَاتِ} ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت، وقوله: {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ} نادى يونس بهذا القول معترفا بذنبه تائباً من خطيئته. {إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} في معصيتي. وقوله: {فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجِّنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ} أي: فاستجبنا استغاثته ودعاه وأخرجناه من بطن الحوت وتلك الظلمات، وكذلك إذا كان المؤمنون في الشدائد ودعوا الله منيبين إليه نجاهم منها. ^(١) والحقيقة أنه لا يمكن التغلب على الكروب والأزمات إلا إذا كان هناك عون للعبد من الله؛ لأن الكروب تنزل على الإنسان كالصاعقة، فتشل تفكيره، والعامل من يفيء إلى ربه ليبعد عنه كل مشقة.

عظم الكرب على الإنسان:

ما أصاب الكرب أحداً إلا ملك ذهنه، وجعله يعيش فلا يرى إلا الظلام، فكم في الصدور من ضيق، وكم في القلوب من هموم وغموم، وكم في الحياة من مشكلات ومعضلات، وكم في العلاقات من سوء وانقطاع، وكم في الأبناء من عقوق وتمرد، كم في الحياة من صور مختلفة من الابتلاءات، يفضي المرء بها إلى شقاء عظيم، وإلى بلاء كبير، فالكرب يقهر كل قوي، فلا قوي إلا من قوي بقوة الله، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (يونس ٩٨)

فما أكثر أسباب الهم والغم، فهذا حزين كاسف البال؛ لأنه لم يجد ما يريد، وذلك حزين متألم لما وجد من خصومة زوجته، وعقوق أبنائه، وهذا متذمر من سوء جيرانه وأذاهم، والأخير مكوي بنار في قلبه من ظلم الطغاة وأخذهم لحقه، فأى شيء يُسرِّي عن تلك النفوس وما فيها من الأحزان والآلام، إن الدنيا وما فيها من متع وشهوات لا يمكن أن تحل هذه المشكلات، ولا أن تزيل تلك الهموم، إلا بالاعتماد على الله، والاعتقاد بأن الفرج مع الكرب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح ٦) قال الشوكاني: "إن مع الضيقة سعة ومع الشدة رخاء ومع الكرب فرج وفي هذا وعد منه سبحانه بأن كل عسير يتيسر وكل شديد يهون وكل صعب يلين" ^(٢) وقال النبي ﷺ: [ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره]. قال قلت أو يضحك ربنا؟ قال: نعم. قلت: لن نعدم من رب يضحك خيراً] ^(٣) ولكن العباد يستعجلون، والله سبحانه وتعالى يعجب ويضحك

1- انظر تفسير الطبري ج ١٦ ص ٣٨١ - ٣٨٥.

2- فتح القدير ج ٥ ص ٤٦٢.

3- سنن ابن ماجه كتاب الإيمان، باب فيما أنكرت الجهمية ح ١٨١ حسنه الألباني.

من قنوطهم ومن قرب فرجه، وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة يقول: مهما ينزل بامرئ من شدة يجعل الله له بعدها فرجاً، وإنه لن يغلب عسر يسرين. (١) قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَنُنْجِيَنَّكُمْ مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿ (الأنعام ٦٣ - ٦٤) وقال علي ابن أبي طالب:

إذا اشتملت على اليأس القلوبُ	***	وَصَاقَ لَمَّا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وأوطنت المكاره وأسقرت	***	وأرست في أماكنها الخُطوبُ
ولم ترَ لأنكشافِ الضرِّ وجهاً	***	ولا أغنى بحيلته الأريبُ
أتاك على قنوطٍ منك غوث	***	يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ
وكلَّ الحادثات إذا تناهت	***	فَمَوْصُولٌ بِهَا فَارِحُ (٢)

وهنا لا بد أن نذكر ما يجب القيام به لإزالة الكرب، وهي كالتالي:

أولاً: العودة إلى الله

إن الله خلق الخلق لعبادته الجامعة، ولمعرفته، والعودة إليه، ومحبته، والإخلاص له، فبذكره تطمئن قلوبهم، وبرؤيته في الآخرة تقر عيونهم. (٣) وإن من أعظم أعمال القلوب إذا حصلت الشدائد، التوبة والرجوع إلى الله عز وجل، فانه سبحانه وتعالى، مدح نبيه داود عليه السلام فقال: ﴿فَاسْتَغْفِرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ (ص ٢٤) وقال تعالى: ﴿وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ* هَذَا مَا تُوَعَّدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ* مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ (ق ٣١ - ٣٣). فإذا رجعت القلوب إلى الله في وقت الشدة حصل الخير وثبت الناس. والقلوب على ثلاثة أنواع:

فالأول: القلب الميت وهذا لا يرى شيئاً مثل الأعمى.

والثاني: قلب حي ينظر إلى جهة لا تنفعه وهذا الذي لم يستمع إلى آيات الله.

والثالث: قلبه حي عرف أين يوجه بصره استمع لآيات الله وانتفع. فمن أراد أن يتغلب على الكروب والغموم فليرجع إلى الله في الرخاء ليعرفه في الشدة. (٤) وقال النبي ﷺ: [احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة ...] (٥)

1 انظر الموطأ، كتاب الجهاد ح ٦ ص ٣٩٣ ، وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٨ ص ٧١٢.

2 ديوان الإمام علي جمع الدكتور أحمد شتيوي ص ٣٦.

3 انظر مجموع الفتاوى، قاعدة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له، خلق الله الخلق لعبادته ج ١ ص ٢٣

4 إغاثة اللفهان لابن قيم الجوزية ص ٩.

5 سنن الترمذي ، كتاب صفة القيامة والرفائق والورع عن رسول الله، باب منه ح ٢٥١٦ صححه الألباني.

ثانياً: التوكل على الله

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَآخَشَوْهُمْ فَرَّادَهُمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ* فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ (آل عمران ١٧٣-١٧٤) وقال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (المائدة ٢٣) وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق ٣) هذه عاقبة الذين يتوكلون على الله، فقد كفاهم الله الشر والعذاب، وكفاهم بأس عدوهم غانمين سالمين، وأرجعهم يعبدون الله ويتبعون رضوانه. وكان ﷺ يقول في دعائه وذكره لربه: [... اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت ..]^(١) وكان يفوض أمره إلى ربه حتى عند النوم فيقول: [... اللهم إنني أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، ...]^(٢) وهذا تفويض الأمر إلى الله، والتعلق بالله في كل حال، وقطع كل علاقة بغير الله، والاعتماد على الله في حصول المطلوب وزوال المكروب مع الأخذ بالأسباب. قال ابن القيم: "التوكل عمل قلبي ليس بقول اللسان، ولا عمل الجوارح، ولا هو من باب العلوم والإدراكات"^(٣)

ثالثاً: التضرع إلى الله

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام ٤٣) فهلا إذ جاء بأسنا هؤلاء الذين كذبوا رسلهم، الذين لم يتضرعوا عندما أخذناهم بالبأساء والضراء، فهلا تضرعوا لله، وخضعوا لطاعته، حتى يصرّف عنهم عذابه.^(٤) والتضرع إلى الله في أوقات الشدة يخفف عن المكروب ويزيل الكرب، فقد علمنا رسول الله ﷺ أدعية ندعو بها عند الكرب، عن النبي ﷺ كان يقول عند الكرب: [لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم]^(٥) وقال رسول الله ﷺ: [دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له]^٦ والله سبحانه حث على الدعاء وحذر من تركه، وعدّه من العبادة فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر ٦٠) وأخبر عن

1- صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب التهجد بالليل ح ١١٢٠ .

2- المرجع السابق، كتاب الوضوء ، باب فضل من بات على وضوء ح ٢٤٧ .

3- مدارج السالكين ج٢ ص ١١٤ .

4- انظر تفسير الطبري ج ٩ ص ٢٤٣ .

5- صحيح البخاري كتاب الدعوات ، باب الدعاء عند الكرب ح ٦٣٤٦ .

6- سنن الترمذي كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ ، باب ح ٣٥٠٥ صححه الألباني .

نفسه أنه يقبل الدعاء ويستجيبه فقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦) فإذا استجاب الله الدعاء فقد تغلب الإنسان على كل شدائده، ولو لم يكن للمكروب إلا أن يكون الله معه لكفاه، قال النبي ﷺ: [يقول الله جل وعلا للعبد يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني. فيقول: يا رب وكيف أعودك وأنت رب العالمين؟ فيقول: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ...] ^(١) فصاحب الشدة يكون الله عنده فهل يرضى بهذا القرب بديلا!

المطلب الثاني: النجاة من الفقر

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق ٢-٣)

والمخرج في الدنيا، وقيل في الآخرة وقيل في الدنيا والآخرة، والصحيح أن هذا عام فإن الله تعالى يجعل للتقي مخرجا من كل ما يضيق عليه ومن لا يتقي يقع في كل شدة. ^(٢) ويرزقه من حيث لا يحتسب، بحيث يرزقه من وجه لا يخطر بباله ولا يكون في حسابه. ^(٣) وقال تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور ٣٢) والفقير أشد حاجة من المسكين خلافا لمن قال: المسكين من لا شيء له، فالله تبارك وتعالى قال: ﴿أَمَّا السَّقِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ (الكهف ٧٩) وقد كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الفقر ويقول [اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر ...] ^(٤) وكان يدعو: [اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا...] ^(٥) وهذا يدل على أن الفقر أشد وأعظم وأنه مذموم. ^(٦)

وليس معنى تقوى الله أن ينقطع الإنسان عن العمل، ويعيش عائلة على غيره، رغم أنه قوي الجسم مفتول الذراعين، فهذا لم يتق الله، ولم يؤدِّ حق جسمه، فتقوى الله معناها أن يأخذ الإنسان بالأسباب وبالمسببات، ويراعي سنن الله في الكون، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف ٩٦) ومن الإيمان والتقوى أن يراعي الإنسان سنن الله الكونية، فالمسلمون الأوائل من الصحابة لم يجلسوا في البيوت وينتظروا

1- صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب في فضل الحب في الله ح ٢٥٦٧ .

2- انظر زاد المسير في علم التفسير ج٨ ص ٢٩١ .

3- انظر فتح القدير: ج ٥ ص ٣٣٩ .

4- سنن النسائي، كتاب السهو، باب التعوذ في دبر الصلاة ح ١٣٤٧ صححه الألباني .

5- المرجع السابق، كتاب الزهد ، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم ح ٢٣٥٢ صححه الألباني .

6- انظر الوسيط لأبي حامد الغزالي ج ٤ ص ٥٥٥ .

أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ الرِّزْقَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ (تبارك ١٥) وهذا بخلاف فهم الكثير في أن تقوى الله هي الانقطاع للعبادة، ولبس القصير، وعدم الإكترات بما يحدث. قال ابن القيم: "الزهد فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليدين".^(١) وإنما كان فهم السلف، في أن الفقر ليس هو الزهد وترك الدنيا؛ لما له من خطورة على العقيدة وعلى الأخلاق، والمؤمن الكامل من عرف كيف يتغلب على هذه البلية وينجو منها، وخاصة أنه ورد في شرعنا طرقا للنجاة من الفقر منها:

أ- الإعتقاد الصحيح

قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (الحجر ٢١) قال الشوكاني: "الخرائن جمع خزانة، وهي المكان الذي يحفظ فيه نفائس الأمور، وذكر الخرائن تمثيل لاقتداره على كل مقدور، والمعنى: أن كل الممكنات مقدورة ومملوكة يخرجها من العدم إلى الوجود بمقدار كيف شاء. وقال جمهور المفسرين: إن المراد بما في هذه الآية هو المطر؛ لأنه سبب الأرزاق والمعاش، وقيل: الخرائن، المفاتيح، أي ما من شيء إلا عندنا في السماء مفاتيحه".^(٢) فتعليم الناس الاعتقاد الصحيح بأن الرزق من الله تعالى، وأنه هو الرزاق، وأن كل ما يقدره الله تعالى من المصائب، فلحكم بالغة، وعلى المسلم الفقير الصبر على مصيبتة، وبذل الجهد في رفع الفقر عن نفسه، وأهله، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (هود ٦٠)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات ٥٨) وقال تعالى: ﴿أَمَنْ هَذَا الَّذِي يَرِزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ (الملك ٢١)

ومن شأن هذه الاعتقادات، أن تصير الإنسان على ما يصيبه من فقر، وأن يلجأ إلى الله تعالى وحده في طلب الرزق، وأن يرضى بقضاء الله، قال رسول الله ﷺ: [عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له]^(٣) فالمسلم يجب أن يتعلق بالله، ويعتقد أن الأرض هي مكان توزيع الأرزاق، وليس مكان خزينة الأرزاق، فخزينة الأرزاق بيد الله، وهو الذي يمسكها ويوزعها كما قال: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ}.

1- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم ص ٢٢٦.

2- فتح القدير ج ٣ ص ١٢٦.

3- صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير ح ٢٩٩٩.

ب- تقوى الله

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق ٢-٣) يقول ابن كثير: "أي ومن يتق الله فيما أمره به، ويترك ما نهاه عنه، يجعل له من أمره مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب، أي من جهة لا تخطر بباله"^(١) فتقوى الله سبب في الفرج ومن ثم الرزق من طريق لم يكن يتوقعه الإنسان، وسوف يجد الإنسان في لحظة من لحظات الكرب أن الفرج قد جاء من حيث لا يحتسب؛ فمن بذل جهده في الأخذ بالأسباب؛ وجد الفرج من أي كرب مما هو فوق الأسباب.^(٢)

وتقوى الله سبب في تفریح الكروب، وفي قصة الثلاثة الذين دخلوا الغار، وأغلقت الصخرة بابها، فدعوا الله بصالح الأعمال ليفرج عنهم فانزاحت الصخرة، أكبر دليل على ذلك، قال النبي ﷺ: [..] وقال الثاني: اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحبها، كأشد ما يحب الرجال النساء، فطلبت إليها نفسها، فأبت حتى آتيتها بمائة دينار، فسعيت حتى جمعت مائة دينار، فلقيتها بها، فلما قعدت بين رجلها، قالت: يا عبد الله؟ اتق الله ولا تقض الخاتم إلا بحقه. فقمت عنها، اللهم فإن كنت تعلم أنني قد فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج لنا منها . ففرج لهم فرجة].^(٣)

ج - الاستغفار^(٤)

وقال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (نوح ١٠-١٢) قال ابن كثير: "أي إذا تبتم إلى الله، واستغفرتموه، وأطعتموه، كثر الرزق عليكم، وأسفاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأدر لكم الضرع، وأمدمكم بأموال وبنين، وأعطاكم الأموال، والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار"^(٥) قال النبي ﷺ: [من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل فرجا، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب].^(٦)

1- تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٩١.

2- انظر تفسير الشعراوي ج ١١ ص ٧٠٥٦.

3- صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب إذا اشترى شيئاً لغيره بغير إننه فرضي ح ٢٢١٥ .

4- سبق الحديث عن الإستغفار في الفصل السابق في مبحث أعمال الجوارح بشيء من التفصيل ص ٤٨

5- تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٤٨.

6- المستدرک على الصحيحين للحاكم، كتاب التوبة والإنابة ح ٧٦٧٧ قال الحاكم صحيح الإسناد.

د - الاستعاذة بالله تعالى من الفقر

كان النبي ﷺ يعلم أمته الاستعاذة بالله تعالى من الفقر، لما له من أثر على النفس، والأسرة، والمجتمع عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يدعو بهؤلاء الدعوات [اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار، وعذاب النار، وفتنة القبر، وعذاب القبر، ومن شر فتنة الغنى، ومن شر فتنة الفقر، ..].^(١)

هـ - الحث على الكسب.

قال تعالى: ﴿إِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة ١٠). وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك ١٥) قال النبي ﷺ: [ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده]^(٢) وعن النبي ﷺ قال: [لأن يأخذ أحدكم حبله، فيأتي بحزمة الحطب على ظهره، فيبيعهها، فيكف الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه].^(٣)

و - إيتاء الزكاة

وقد جعل الله تعالى للفقراء نصيباً في الزكاة، ويُعطى الفقير تمليكاً، ويُعطى حتى يغتني، ويزول فقره . قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة ٦٠)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلنَّسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (المعارج ٢٤ - ٢٥)، فالمال فيه للفقير حقان، حق معلوم وهو الزكاة، وفيه حق آخر وهو الصدقة، فإذا أدى الغني هذين الحقين، فلا شك أنه لن يبق فقير واحد.

ز - الحث على الصدقات

قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سورة سبأ ٣٩) وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِنَفْسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة التغابن ١٦)، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَقَدَّمُوا لِنَفْسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ (سورة المزمل ٢٠). وقد ذكر النبي ﷺ يوماً النار، فأشاح بوجهه وتعوذ

1- صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر ح ٥٨٩ .

2- صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده ح ٢٠٧٢ .

3- المرجع السابق، كتاب الزكاة، باب الاستغفار عن المسألة ح ١٤٧١ .

منها، ثم ذكر النار فأشاح بوجهه وتعوذ منها ثم قال: [فليتق أحدكم النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة].^(١)

والمسلم يعلم أن الفقر والغنى بتقدير الله، فيصبر على الضراء متى نزلت، ويشكر على السراء إن أدركته، وعليه أن يحسن اعتقاده بالله، وأن يكثر من التوبة والاستغفار، والاستعاذة من الفقر، وأن يطلب العمل والتكسب، لرفع الفقر عن نفسه وأهله، ومن عجز لظرف بدنه، أو بلده، فإن الإسلام يرفع فقره بزكاة الأغنياء، وصدقاتهم، وبهذا ينجو المسلم من الفقر.

المطلب الثالث: النجاة من زوال النعمة

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال ٥٣)

إذا أنعم الله على قوم نعمة، لم يسلبها منهم حتى يغيروا حالهم الطيبة إلى حال سيئة، فالله سميع لأقوال خلقه، عليم بأحوالهم، فيجري عليهم ما اقتضاه علمه ومشيتته، قال القرطبي: "أي هذا العقاب، لأنهم غيروا وبدلوا، ونعمة الله على قريش الخصب والسعة، والأمن والعافية."^(٢)

والنعمة تشمل كل نعيم أنعمه الله على الإنسان، فالإنسان مفطور على حب الغنى، قال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَأَبِ﴾ (آل عمران ١٤) والغنى يكون بالمال وغيره من القوة، والمعونة، وكل ما ينافي الحاجة.^(٣) وسنتناول بعض أسباب زوال النعمة:

أولاً: البطر

قال تعالى ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص ٥٨) بطرت معيشتها: أي في معيشتها، ولم تحفظ حق الله تعالى.^(٤) والبطر بمعنى الأشر، والغرور، واستعمال نعم الله في غير ما خلقت له.^(٥) قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ

1- صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل الرد ح ١٤١٣.

2- تفسير القرطبي ج ٩ ص ٥٩.

3- انظر الفروق اللغوية ص ١٧٥.

4- انظر التبيان تفسير غريب القرآن ج ١ ص ٣٢٩.

5- انظر اللباب في علوم الكتاب ج ١٥ ص ٢٧٦.

بَدَّةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ عَفُورٌ* فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلِ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿سبأه١-١٧﴾

وسبأ قبيلة من العرب سميت باسم أبيها الذي تناسلت منه، وكانت مساكنهم بين الشام واليمن، فأعرضوا عن شكر الله، فأرسل الله على السد فأرا خربته، فلما خرب السد، حمل السيل الجنتين وكثيراً من الناس. ولقد أنعم الله على سبأ نعيماً يدرك من خلال القرآن، حتى قيل: إنه لم يكن في قريتهم بعوضة قط، ولا ذبابة، ولا برغوث، ولا حية، ولا عقرب، وإن الركب ليأتون في ثيابهم القمل والدواب، فتموت تلك الدواب.^(١) يقول سيد قطب: "وسبأ ما تزال منها بقية إلى اليوم، وقد ارتقوا في سلم الحضارة حتى تحكوا في مياه الأمطار الغزيرة التي تأتيهم من البحر في الجنوب والشرق، فأقاموا خزاناً طبيعياً يتألف جانبا من جبلين، وجعلوا على فم الوادي بينهما سداً به عيون تفتح وتغلق، وخننوا الماء بكميات عظيمة وراء السد، وتحكموا فيها وفق حاجتهم، فكان لهم من هذا مورد مائي عظيم، وقد عرف باسم سد مأرب، فلما أعرضوا عن شكر الله، وعن العمل الصالح، والتصرف الحميد فيما أنعم الله عليهم، سلبهم سبب هذا الرخاء الجميل؛ الذي يعيشون فيه، وأرسل السيل الجارف؛ الذي يحمل العرم في طريقه، وهي الحجارة لشدة تدفقه، فحطم السد، وانساحت المياه، فطغت وأغرقت؛ ثم لم يعد الماء يخزن بعد ذلك، فجفت واحترقت"^(٢) وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (النحل ١١٢-١١٣) وقد طلب منا الشارع أن نشكر الله على ما ينعم به علينا، حتى تدوم تلك النعمة، ومن علامات شكر النعمة: أن تظهر على العبد، وأن يعترف أنها من عند الله ويستعملها في طاعته، وأن لا يتناول بها على خلق الله.

ثانياً: الطغيان

قال تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلُّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ (طه ٨١) أي: ولا تطغوا فيه بالإسراف فيه، وعدم شكر الله تعالى عليه^(٣) وإن أعظم ما يطغي الإنسان من النعيم هو المال، لذلك، قال النبي ﷺ: [ما ذئبان جائعان أرسلتا في غنم، بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف، لدينه]^(٤) فالمال هو الذي يدعو إلى البطر، ولا يصبر أمام المال إلا من ربط الله على قلبه، فأدى شكره، وإن شكره إنفاقه في سبيل

1- انظر النكت والعيون للماوردي ج ٤ ص ٤٤٣.

2- في ظلال القرآن ج ٦ ص ١١٦.

3- انظر أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج ٣ ص ٣٦٥.

4- سنن الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في أخذ المال ح ٢٣٧٦ صححه الألباني .

الله، فكان ذلك نجاة له يوم القيامة، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: [انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة، فلما رأني قال: هم الأخسرون ورب الكعبة، قال: فجننت، حتى جلست، فقلت: يا رسول الله، فذاك أبي وأمي، من هم، قال: هم الأكثرون أموالاً، إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا، من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، وقليل ما هم] ^(١) ومعنى هذا أن الفقر أنجى من الغنى إذا ما تدبر المسلم هذا الحال، فالمال يعصى به، والفقر لا يعصى به، قال تعالى في معرض حديثه عن قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (القصص ٧٨) قال السعدي: "أي: إنما أدركت هذه الأموال بكسبي ومعرفتي بوجوه المكاسب، وحثقي" ^(٢) وهكذا إذا اغتر المرء بنفسه وظن أنه يُحصَل ما يُحصَل، بقدرته ولباقته وفطنته، ولا يُسند الأمر إلى مسبب الأسباب، فإنه يكون قد سلك طريق المخاطر، التي حتما ستكون نهايتها الهلاك، إلا أن يرحم الله العبد فيصرفه فيهديه إلى طريقه.

المطلب الرابع: النجاة من الضلال

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةً يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (هود ١١٦)

والمعنى: فلو كان منهم أولو مراقبة وخشية من انتقام الله، كأنهم ينتظرون إيقاعه بهم لإشفاقهم، ولكن قليلاً ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد، وسائرهم تاركون للنهي. (ومن) في قوله: {مِمَّنْ أَنْجَيْنَا}، حقها أن تكون للبيان لا للتبويض؛ لأن النجاة إنما هي للناهين وحدهم، بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ...﴾ (الأعراف ١٦٥) وقوله: ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾ أراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات، أي: لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعقدوا همهم بالشهوات، واتبعوا ما عرفوا فيه التمتع والترف، من حب الرياسة والثروة، وطلب أسباب العيش الهنيء. ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم. ^(٣) وهذا هو دين الناس أن ينسوا فلا يعملوا بأوامر الله، ولا يهتموا بالأجيال، فالغالب يهتم بامتاع نفسه، واتباع هواه، وهو المهلكة، وينسى أن فساد المجتمع عائد عليه بالهلاك، وأن عدم العمل على تنشئة الجيل القادم فيه اندثار له قبل الجيل القادم؛ لأنه بفساد الجيل يفسد هو؛ لأنه لم يأمر بالقسط وبطاعة الله وهذا فساد، قال تعالى: ﴿قُلْ أَمْرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ

1- صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة ح ٩٩٠.

2- تفسير السعدي ج ١ ص ٦٢٣.

3- أنظر الكشاف للزمخشري ج ٢ ص ٤١٢.

عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿الأعراف ٣٠﴾

القسط هو العدل وهو الإيمان بالله ورسوله وتوحيد الله تعالى في عبادته، وليس هو الشرك بالله وفعل الفواحش، والكذب على الله تعالى، فإن من آمن بالحياة بعد الموت والجزاء على كسبه خيراً أو شراً، أمكنه أن يستقيم على العدل والخير طوال الحياة وقوله {فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ} بيان لعدله وحكمته ومظاهر قدرته، هدى فريقاً من عباده فاهتدوا، وأضل آخرين فضلوا ولكن بسبب رغبتهم عن الهداية، وموالاتهم لأهل الغواية، {إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} فضلوا ضلالاً بعيداً.^(١) فالعباد فريقان: فريق وفقهم الله للهداية إلى الصراط المستقيم، وفريق وجبت عليهم الضلالة عن الطريق المستقيم، بسبب اتخاذهم الشياطين أولياء من دون الله، فأطاعوهم جهلاً منهم، وظناً بأنهم قد سلكوا سبيل الهداية. والمؤمن يصبح ويمسي كل يوم يخاطب ربه متضرعاً، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة ٦)، معترفاً أن حياته ومماته لله ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام ١٦٢)، ورغم ذلك فإنه لا يسلم من الوقوع في الضلال؛ إلا من عصمه الله سبحانه، لذلك كان دعاء النبي ﷺ: [اللهم إني أعوذ بك أن أضلَّ أو أضلَّ، أو أزلَّ أو أزلَّ، أو أجهلَّ أو يُجهلَّ عليَّ، أو أظلمَّ أو أظلمَّ].^(٢)

فالضلال، لم يصبح عبادة صنم، أو زنى، أو شرب خمر، كما كان معهوداً في بداية دعوة الإسلام، إنما أليسَ بالحق، فأصبح لا يعرفه إلا من فتح الله على قلبه، وأثار بصيرته، فأكثر أنواع الضلال الذي أُدخل في الإسلام هو من قبيل لبس الحق بالباطل، فقد قال الذين ارتدوا من العرب ومنعوا الزكاة، إننا كنا نعطي الزكاة للرسول ﷺ ونطيعه، فليس علينا طاعة لأحدٍ بعده، وقد فعل ذلك الناقمون على عثمان ﷺ فلَبَّسُوا بأمور زينوها للامة كقولهم رَقَى إلى مجلس النبي ﷺ في المنبر، وذلك استخفافاً؛ لأن الخليفين قبله نزل كل منهما عن الدرجة التي كان يجلس عليها سلفه، فقال علي رضي الله عنه: كلمة حق أريد بها باطل.^(٣) لذلك فالمؤمن الحق، هو الذي يعلم أن الضلال هلاك في حقيقته، فالضلال يحيط بالإسلام من كل جانب، ولا يمكن أن ينجو من الوقوع فيه، إلا مؤمن علم خطره وعلم طريقه، فإذا عرف طريقه وخطره، أمكنه تجنبه، والحقيقة أن هناك أسباباً للوقوع في الضلال^(٤) وسأكتفي بذكر الإنحراف الفكري وأسبابه:

1- انظر أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج ٢ ص ١٦٤.

2- سنن النسائي، كتاب الإستعاذة، باب الإستعاذة من الضلال ح ٥٤٨٦ صححه الألباني.

3- انظر التحرير والتوير ج ١ ص ٤٧١.

4- هناك أسباب عديدة للوقوع في الضلال منها: عدم لزوم الجماعة، الكبر والعناد، وضعف الشخصية، والتقليد الأعمى، وغير ذلك واكتفى الباحث بذكر هذه الأسباب.

الانحراف الفكري

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ (الفرقان ٢٧-٢٩)، ويوم يعضّ الظالم نفسه على يديه ندماً وأسفاً على ما فرط في جنب الله، وأوبق نفسه بالكفر به في طاعة خليله الذي صدّه عن سبيل ربه، يومها يقول: يا ليتها اتخذت في الدنيا مع الرسول طريقاً إلى النجاة من عذاب الله. وقد قيل: عنى بالظالم عقبة بن أبي معيط. ^(١) "فالعبارة بعموم الألفاظ، لا بخصوص الأسباب، فكل ظالم أطاع خليله في الكفر، حتى مات على ذلك يجري له مثل ما جرى لابن أبي معيط". ^(٢) وإن أخطر شيء في حياة المسلم المعتقدات الضالة، فالعقيدة أخطر شيء في حياة الإنسان، فإن صحت صح عمله، وإن فسدت فسد عمله، والانحراف الفكري لا يأتي من فراغ، وإنما يأتي نتيجة أسباب عديدة، منها:

أ - عدم الالتزام بالكتاب والسنة

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ (الأحزاب ٣٦) فعقيدة أهل السنة، هي التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فهما الحارس بإذن الله من كل انحراف؛ لأنهما الصراط المستقيم، والمنهج القويم، وأساس هذه العقيدة، ومن حقق اتباعهما حقاً، سلم هو من عذاب الله، وسلم المسلمون من لسانه ويده، لذلك جاءت وصية الله لهذه الأمة، باتباع صراطه المستقيم وأن ما عداه سيؤدي إلى الفرقة فقال: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام ١٥٣) وقال النبي ﷺ [... وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله وسنتي...] ^(٣) وأمرنا رسول الله ﷺ بلزوم السنة والعض عليها بالنواجذ، فقال: [... إياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ]. ^(٤) وقد حذرنا الله من الانحراف، وترك طريق رسوله، وبين أن مصير المنحرف جهنم والعياذ بالله، فقال تعالى ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء ١١٥) وقال رسول الله ﷺ: [إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا

1- انظر تفسير الطبري ج ١٧ ص ٤٣٩.

2- أضواء البيان ج ٦ ص ٣١٣.

3- صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ ح ١٢١٨.

4- سنن الترمذي، كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ح ٢٦٧٦ صححه

الألباني .

تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال].^(١) قال ابن تيمية: "وهذه الثلاث تجمع أصول الدين وقواعده وتجمع الحقوق التي لله ولعباده وتنظم مصالح الدنيا والآخرة".^(٢)

ب- ترك العلم .

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٠١) فترك العلم أدى بالمجتمعات إلى الانحلال، والغرق في الشهوات، فأصبح هم الناس، إشباع غريزة الجسد، وأهملوا غذاء الروح، وغذاء الروح لا يكون إلا بالعلم، لذلك فإن الله مدح العلماء بأنهم يخشون الله تعالى، فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر: ٢٨)، والمراد بالعلماء: العلماء بالله وبالشرعية، وعلى حسب مقدار العلم في ذلك تقوى الخشية؛ فأما العلماء بعلوم لا تتعلق بمعرفة الله، فليست علومهم بمقربة لهم من خشية الله، ذلك لأن العالم بالشرعية لا تلتبس عليه حقائق الأسماء الشرعية، فهو يفهم مواقعها حق الفهم، ويرعاها في مواقعها، ويعلم عواقبها من خير أو شر. وغير العالم إن اهتدى بالعلماء فسعيه مثل سعي العلماء وخشيته متولدة عن خشية العلماء. والعلم دليل على الخيرات وقائد إليها، وأقرب العلماء إلى الله أو لاهم به وأكثرهم له خشية وفيما عنده رغبة.^(٣)

والله سبحانه وتعالى فرق بين صاحب العلم وغيره، ولم يساو بينهم، فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ٩) ووصف الجاهل بالعلوم الشرعية، بالعمي، فقال: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الرعد: ١٩) وطلب العلم طريق إلى الجنة، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (القصص: ١٤) وقد جعل الله تعالى إيتاء العلم والحكمة مجازاة على الإحسان لأنهما يؤديان إلى الجنة التي هي جزاء المحسنين، والعالم الحكيم من يعمل بعلمه^(٤) قال رسول الله ﷺ: [من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة]^(٥) وصاحب العلم يجنب نفسه اللعن، قال النبي ﷺ يقول: [الدنيا ملعونة ملعون ما فيها

1- صحيح مسلم ، كتاب الأقضية ، باب النهي عن كثرة المسائل ح ١٧١٥ .

2- مجموع الفتاوى لابن تيمية، قاعدة في الجماعة والفرقة وسبب ذلك، فصل: في حديث (ثلاث لا يغل عليهن

قلب مسلم) ج ١ ص ١٨ .

3- انظر التحرير والتنوير ج ٢٢ ص ٣٠٥ .

4- انظر تفسير النسفي لأبي البركات عبد الله النسفي ج ٣ ص ٣٣٢ .

5- صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الاجتماع على قراءة القرآن والذكر ح ٢٦٩٩ .

إلا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم].^(١) وقد ضرب الله لنا مثلاً في كتابه، بين فيه أن العبادة دون علم هلاك على صاحبها، وأن من عبد الله على جهل فكأنما عصاه، وبين أن الجهل يؤدي إلى النار والعياذ بالله، قال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلنَّاسِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ (الحشر ١٦-١٧) والإنسان الذي قال له الشيطان اكفر، راهب تركت عنده امرأة أصابها لم ليدعو لها، فزين له الشيطان، فوطئها فحملت، ثم قتلها خوفاً أن يفتضح، فدل الشيطان قومها على موضعها، فجاؤوا فاستنزلوا الراهب ليقتلوه، فجاء الشيطان فوعده أنه إن سجد له أنجاه منهم، فسجد له فتبرأ منه فأسلمه.^(٢)

ج - عدم القيام بالمسئولية تجاه الشباب

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحریم ٦) فالشباب إن لم يجدوا من يوجههم، ويأخذ بأيديهم، فإنهم، سيغرقون في وحل الشهوات، وسيكون عاقبتهم الضلال، إلا من رحمه الله تعالى، فدل على الصراط المستقيم، ومن رحمة الله بالشباب، أن يسخر له من يأخذ بيده ويحمه على فعل الخيرات، والقرآن علمنا كيف نوجه الشباب ونؤدبهم، فإن من أهم ما يواجه المسلمين كأفراد وكأمة مسألة تنشئة أفرادها على دين الله سبحانه وتعالى، وتهيئتهم علماء وعملاً، ودعوتهم للالتزام بهذا الدين، فقضية التربية قضية عظيمة الأهمية في حياة الفرد والأمة، وهي واجب شرعي، ولأهميتها ذكر الله لنا في كتابه وصية لقمان لابنه، وخلد اسمه في كتابه، ليبين لنا أن ميزان الناس عند الله، لا بصورهم ولا بأجسامهم، إنما بتقواهم ورجاحة عقولهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * ... يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (لقمان ١٣-١٩) ذكر الله لنا موعظة لقمان لابنه، لتكون لنا منهاجاً في تربية أبنائنا وشبابنا، ولنكتب هذه الوصايا بماء الذهب، لأن لقمان لم يغفل عن أولويات التربية فأوصى بها وهي:

1- سنن الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب منه ح ٢٣٢٢ حسنه الألباني.

2- انظر تفسير القرطبي ج ١٨ ص ٥٣٤.

١ - التذكير بقضية التوحيد:

قال تعالى: ﴿يَا بَنِيَّ لِمَا تَشْرِكُ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان ١٣) بدأ لقمان بقضية التوحيد التي هي الأساس، وبين الظلم الحقيقي وهو الإشراك كما جاء في حديث النبي ﷺ عندما سئل [أي الذنب أعظم فقال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك ...].^(١) وقضية التوحيد تدخل الإنسان الجنة أو النار، والأعمال تورث الإنسان درجات في الجنة، فلا قيمة للعمل مع الشرك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الزمر ٦٥) قال النبي ﷺ: [... وحق العباد على الله أن لا يعذب من جاء لا يشرك به شيئاً]^(٢) أما أن نرضى بشرع غير شرع الله، ونتبع أفكارا شرقية وغربية، ومناهج وضعها العلمانيون والشيوعيون وغيرهم، ممن لا همَّ لهم إلا هدم الإسلام، فهذا هو الضياع بعينه. والمصيبة! يوم ترك الشباب فريسة سهلة لذئاب البشر، فسيطروا عليهم، وتحكموا فيهم، حتى ضاع من بيننا مفهوم الولاء والبراء، ونسينا أن موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين من الأمور التي تجدد الإيمان في القلب، وذلك أن القلب إذا تعلق بأعداء الله يضعف وتتزوي معاني العقيدة فيه، فإذا جرد الولاء لله فوالى العبد عباد الله المؤمنين وناصرهم، وعادى أعداء الله ومقتهم فإنه يحيى بالإيمان، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة ٧١) وما دخل الشر على المسلمين إلا بعد تقريطهم في هذا الأصل العظيم وانفتاحهم على الغرب، وإعجابهم بأفكار الغرب.

٢ - التذكير بيوم القيامة:

قال تعالى: ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان ١٦) ثم ذكر لقمان ولده بيوم القيامة وبلقاء الله، لأنها من أهم الأسباب التي ترقق القلب، والآخرة هي التي تدفع إلى الصدق، وإلى الرفق، والوفاء والصبر على مخالطة الناس، والإحسان إليهم، وهي التي تدفع إلى العمل الصالح، ومحاسبة النفس، وهي التي تدفع إلى بر الوالدين، والإحسان للجوار، وبر الأصدقاء، ومشاركة أهل البلد أفراحهم وأتراحهم، والإهتمام بأمر المسلمين. قال رسول الله ﷺ [من كانت الدنيا همه، فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته، جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة]^(٣)

١- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله فلا تجعلوا لله اندادا وأنتم تعلمون ح ٤٤٧٧ .

٢- المرجع السابق، كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار ح ٢٨٥٦ .

٣- سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب الهم بالدنيا ح ٤١٠٥ صححه الألباني .

٣ - القيام بالعبادات

قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان ١٧) خلق الله الإنسان لتحقيق غاية عظيمة ، ولحكمة بالغة، ألا وهي تحقيق العبودية لله، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات ٥٦) وقد جعل الله تعالى دار الحياة الدنيا، دار ابتلاء وامتحان، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (المائدة ٤٨) وقال عز وجل: ﴿... الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (الملك ٢).

وقد جعل الله تعالى إقامة الإنسان في هذه الدنيا محدودة، ، وجعل سعادته وشقاوته مبنية على ما يعمل في هذه الدار، والعامل الذي يعلم أنه في دار العمل والابتلاء والامتحان، وأنه سوف ينتقل إلى دار الجزاء والحساب، ويعلم أن سعادته أو شقاوته مبنية على ما يقدمه لنفسه في هذه الدنيا، ليبادر باستغلال ساعات عمره في هذه الدار، فيما يحقق له سعادته في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل ٩٧) فالعاقل هو الذي يرى أين تكون مصلحته، فالذي يتدبر أحوال الأخيار والأشرار، يرى أن سبب صلاح الأخيار النظر والتفكير، وسبب فساد الأشرار إهمال النظر والتفكير، وذلك أن العاقل ينظر فيعلم أنه لا بد له من صانع، وأن طاعته لازمة، فيسلم قياده إلى الشرع، ثم ينظر فيما يقربه إليه. (١)

٤ - التحلي بالأخلاق الحميدة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان ١٩) ها نحن نرى كيف يوجه لقمان ولده، فبعد أن زرع فيه عقيدة التوحيد، وحثه على الطاعة والعبادات، يوجهه لأمر عظيم، لا يستقيم حال العبد إلا به، ألا وهو الأخلاق، والأخلاق مبنية على القيام بحقوق الله تعالى، والقيام بحقوق العباد ابتغاء وجه الله تعالى، فيقدر استقامة الخلق بقدر ما تكون استقامة الدين، وقد جعل النبي ﷺ حسن الخلق من دلائل كمال الإيمان فقال: [أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً]. (٢) فحسن الخلق صفة من صفات الأنبياء والصديقين

1- انظر صيد الخاطر لابن الجوزي ص ١٧٩.

2- مسند الإمام أحمد ، مسند الأنصار، حديث السيدة عائشة ح ٢٣٦٨٤ صححه الألباني، انظر صحيح الترغيب والترهيب، كتاب النكاح وغيره، باب ترغيب الزوج في الوفاء بحق زوجته وحسن عشرتها، والمرأة بحق زوجها وطاعته، وترهيبها من إسقاطه ومخالفته ح ١٩٢٣ ، ج ٢ ص ٤٠٩.

والصالحين، بها تتال الدرجات، وترفع المقامات، وقد أمر به النبي ﷺ فقال: [اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن]^(١) ولحسن الخلق فضائل عديدة في الكتاب والسنة، فمن فضائل حسن الخلق أن الله تعالى أمر به في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف ١٩٩) فإن هذه الآية أجمع آية لمكارم الأخلاق، وأصول الفضائل. ومن فضائل حسن الخلق أن المؤمن يبلغ به درجة الصائم القائم، قال ﷺ: [إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم].^(٢) ومن فضائل حسن الخلق أنه يتقل ميزان العبد يوم القيامة، قال النبي ﷺ: [ما من شيء أثقل في الميزان يوم القيامة من حسن الخلق].^(٣) ووصايا لقمان لم تذكر في كتاب الله، إلا لتكون منهاجاً للأباء والأمهات، والمعلمين، ولكل من ولاه الله عز وجل أمر غيره من المسلمين في التهيئة والإعداد.

والمؤمن ينجو من الضلال ولا يقع فيه؛ إن بقي بعيداً عن الأفكار الضالة، وظل متمسكاً بالفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنِ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم ٣٠) الفطرة هي الحق، ومن ابتعد عن الحق وقع في الضلال، قال تعالى: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ (يونس ٣٢). والتقوى هي الكفيل الوحيد، لينجو الإنسان ولا يغرق في مستنقع الدنيا، التي يحاط الإنسان بشهواتها، ومغرياتها، وملذاتها، من كل جانب وصدق الله إذ يقول: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الزمر ٦١).

المطلب الخامس: النجاة من سكرات الموت

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الأنعام ٩٣)

للموت سكرات، يلاقيها كل إنسان حين الاحتضار، والسكر: "حالة تعرض بين المرء وعقله".^(٤) قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (ق ١٩) "أي غمرة الموت وشدته بالحق من أمر الآخرة حتى يراه المنكر لها عياناً. قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ

1- سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرته الناس ح ١٩٨٧ حسنه الألباني .

2- سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب في حسن الخلق ح ٤٧٩٨ صححه الألباني.

3- المرجع السابق، باب في حسن الخلق ح ٤٨٩٩ صححه الألباني.

4- القيامة الصغرى من سلسلة العقيدة في ضوء الكتاب والسنة " اليوم الآخر" لعمر الأشقر ص ٢٤.

الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد} أي ذلك الموت الذي كنت تهرب منه وتفزع".^(١) فالموت أشد من ضرب بالسيوف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض.^(٢) قال سيد قطب: "والموت أشد ما يحاول المخلوق البشري أن يروغ منه، أو يبعد شبحه عن خاطره؛ ولكن أنى له ذلك. والموت طالب لا يمل الطلب، ولا يبطن الخطى، ولا يخلف المعياذ، وذكر سكرة الموت كفيل برجفة تدب في الأوصال! وبينما المشهد معروض يسمع الإنسان {ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ}، وإنه ليرجف لصداها وهو بعد في عالم الحياة! فكيف به حين تقال له وهو يعاني السكرات! ويلفت النظر في التعبير ذكر كلمة الحق، وهي توحى بأن النفس البشرية ترى الحق كاملاً وهي في سكرات الموت، تراه بلا حجاب، وتدرك منه ما كانت تجهل وما كانت تجحد؛ ولكن بعد فوات الأوان حين لا تنفع رؤية، ولا يجدي إدراك، ولا تقبل توبة، ولا يحسب إيمان".^(٣) إنها لحظات لم ينج منها الأنبياء قالت السيدة عائشة -رضي الله عنها-: [.... كان رسول الله ﷺ يدخل يديه في الماء، فيمسح بهما وجهه، ويقول: لا إله إلا الله، إن للموت سكرات ...]^(٤) إنها لحظات لا تقاس بالزمن بل إن المعايين لها لعله يعيش فيها مدة تزيد عن المئات من السنين وهي في الحقيقة لا تتجاوز ساعة أو ساعات، والله اعلم، فهي لحظات عصيبة. قيل: "كان عمرو بن العاص ﷺ يقول: عجباً لمن نزل به الموت وعقله معه كيف لا يصفه، فلما نزل به الموت، قال له ابنه عبد الله: فصف لنا الموت وعقلك معك، فقال: يا بني الموت أجل من أن يوصف، ولكني سأصف لك منه شيئاً، أجدني كأن على عنقي جبال، وأجدني كأن في جوفي شوك، وأجدني كأن نفسي تخرج من ثقب إبرة".^(٥)

وشدة الموت وآلامه لا تدل على نقص في المرتبة بل هي للمؤمن إما زيادة في حسناته وإما تكفير لسيئاته، ولا شك أن الكافر والفاجر يعانين أكثر مما يعاني منه المؤمن، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (الأنفال: ٥٠) وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الأنعام: ٩٣) قال الطاهر بن عاشور: "وغمرات الموت تمثيل لحالهم يوم الحشر في منازعة الشدائد، وأهوال القيامة، بحال من هم في غمرات الموت، وشدائد النزاع، فالموت

1- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج ٥ ص ١٤٣.

2- انظر تفسير القرطبي ج ١٨ ص ٢٨٢.

3- في ظلال القرآن ج ٦ ص ٣٣٦٤ بتصرف يسير.

4- صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت ج ٤ ص ٢٩٠.

5- المستدرک علی الصحیحین للحاکم، کتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، ذكر مناقب عمرو بن العاص ج ٣ ص ٥١٤.

تمثيل وليس بحقيقة. والمقصود من التمثيل تقريب الحالة وإلا فإن أهوالهم يومئذٍ أشد من غمرات الموت ولكن لا يوجد في المتعارف ما هو أقصى من هذا التمثيل دلالة على هول الألم".^(١) وبعد أن عرفنا هول وشدة هذه السكرات، أحببت أن أعرض لأمرين لنبين كيفية النجاة من سكرات الموت، والتي يرى الباحث أنها تكون بتثبيت العبد حتى يختم له على الإيمان، وبعدم الشعور بألم هذه السكرات:

أولاً: النجاة بالتثبيت عند الممات

قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (إبراهيم ٢٧) فالمسلم عند الاحتضار بحاجة إلى التثبيت، فهو في حينها يكون في أرحح اللحظات، وقد روي: "أن الشيطان أشد ما يكون على ابن آدم حين الموت، يقول لأعوانه: دونكم هذا فإنه إن فاتكم لن تظفروا به أبدا"^(٢) وذكر القرطبي: "أن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حضرت وفاة أبي أحمد، وببيدي الخرقة لأشد لحبيبه، فكان يغرق ثم يفيق ويقول بيده، لا بعد ، لا بعد، فعل هذا مرارا، فقلت له: يا أبت أي شيء ما يبدو منك، فقال: إن الشيطان قائم بحذائي، عاض على أنامله يقول: فُتني، وأنا أقول: لا، بعد لا، حتى أموت".^(٣) وفي هذه اللحظات، إن لم يكن التثبيت من الله، فلن تقدر قوة على وجه الأرض على ذلك، فمن تثبه الله ، فكفاه أن الله معه، ومهما كان ألم الموت، فإنه سيهون بمعونة الله سبحانه، ومن حرم من ذلك، فقد خسر خسرانا مبينا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَمَّا تَحَرَّتُمْ وَأَبْشَرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ* نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ (فصلت ٣٠-٣١) قال ابن القيم: "ليس هناك شيء أنفع للعبد من صحبة الملك له، وهو وليه في يقظته، ومنامه، وحياته، وعند موته، وفي قبره، وإذا اشتد قرب الملك من العبد، تكلم على لسانه وألقى على لسانه القول السديد".^(٤) والآية تبين أن الذي يخفف سكرات الموت وينجي منها، معرفة الله بحق، والاستقامة، فهذان الأمران لا بد من اجتماعهما ليهون الله على الميت سكرات موته وينجو منها، فالمؤمن يبدأ بمعرفة الله، ثم يستقيم حاله بهذه المعرفة.

1- التحرير والتنوير ج ٧ ص ٣٧٨.

2- مجموع الفتاوى، في سؤاله عن الروح، وهل هي قديمة، أو مخلوقة، سئل عن عرض الأديان عند الموت، هل لذلك أصل في الكتاب والسنة، وما المراد بالفتنة في قوله تعالى: {ولكنكم فتنتم أنفسكم} ج ٤ ص ٢٥٦، والقيامة الصغرى من سلسلة العقيدة في ضوء الكتاب والسنة لعمر الأشقر ص ٣٠ .

3- التذكرة في أحوال الموتى والآخرة للإمام القرطبي ص ٣٣.

4- الداء والدواء ص ١٣٩ بتصرف يسير .

معرفة الله عز وجل

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (المائدة ٨٣) ما خلق الله الخلق إلا ليعرفوه، وما أوجد هذا الكون، وهذا النعيم إلا ليدل على ذاته، فمن عرف أن الله هو الخالق، وهو الرازق، وهو الضار، وهو النافع، وهو المحيي، وهو المميت، واستيقن بذلك، فقد استقام حاله، واطمأنت نفسه، لأنه يعلم، أنه لن يظلم أبداً، وأنه لو ظلم في الدنيا، فإن الديان سيقنص من ظالميه، وعندها سيعيش في جنة قبل جنة الآخرة، قال ابن تيمية: "إن في الدنيا جنة من دخلها لم يشق إلى جنة الآخرة ألا وهي معرفة الله".^(١)

الاستقامة

قال تعالى: ﴿... فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ (فصلت ٦) الاستقامة كلمة جامعة تتحقق بها معالي الأمور، وبها يكمل الإيمان، ويضمن العبد الأمن عند الموت والنشور. وقد سئل أبو بكر الصديق عن الاستقامة، فقال: أن لا تشرك بالله شيئاً. وقال عمر: أن تستقيم على الأمر والنهي ولا تروغ روغان الثعلب.^(٢) وقال ابن تيمية: "أعظم الكرامة، لزوم الاستقامة".^(٣) ومدار الاستقامة على القلب واللسان، فالمرء بأصغريه، قلبه ولسانه^(٤)، فعلى المرء أن يصلح قلبه ويحفظ لسانه، ويثبت عليهما حتى الممات قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران ١٠٢) وقال تعالى: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (إبراهيم ٢٧) هذا وعد من الله تعالى للمؤمنين الصادقين بأنه سيثبتهم على الإيمان وقت الفتن والمحن حتى يموتوا على ذلك.^(٥)

ثانياً: النجاة بعدم الشعور بالموت

قال تعالى: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ (الحديد ١٩) لم يرد أن هناك أحد لم يعان من سكرات الموت، إلا الشهيد في سبيل الله، فإنه ثبت أنه لا يشعر بألم الموت، فقد قال النبي ﷺ: [ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة].^(٦) وعرف السلف

1- الوايل الصيب من الكلم الطيب لمحمد بن أبي بكر الزرعي ص ٦٧.

2- انظر تهذيب مدارج السالكين ص ٣٣١.

3- تهذيب مدارج السالكين ص ٣٣٢.

4- انظر غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ج ١ ص ٥٧.

5- انظر أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج ٣ ص ٥٦.

6- سنن الترمذي، كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل المرابط ح ١٦٦٨ صححه

الألباني.

هذا فأخذوا يتواصون، ويحث بعضهم بعضا على الاستشهاد، فقد ورد أن علي ابن أبي طالب كان يقول: [إن لم تقتلوا تموتوا ، والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش]؛^(١) ولكن ليس كل من قتل شهيداً، فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: [الرجل يقاتل حمية، ويقاقل شجاعة، ويقاقل رياء، فأى ذلك في سبيل الله ؟ قال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله].^(٢)

1- العاقبة في ذكر الموت للإسبيلي ص ١١٢ .

2- صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ح ٧٤٥٨ .

المبحث الثاني

النجاة في الآخرة

وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول : النجاة من عذاب القبر
- المطلب الثاني : النجاة من الفرع الأكبر
- المطلب الثالث : النجاة من الحساب والصراف
- المطلب الرابع : النجاة من النار

المبحث الثاني: النجاة في الآخرة

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران ١٨٥) وقال تعالى: ﴿يُبْصِرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنَبِيِّهِ * وَسَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ (المعارج ١١- ١٤)

الموت قدر محتوم، ولا بد للخلائق من الرجوع إلى ربها ليحاسبها، فيوفيهم أعمالهم يوم القيامة، فمن نجاه الله من العذاب، ونعمه في الجنان، فقد نال المراد، وأي فوز أكبر من النجاة من العذاب والدخول في دار السلام.^(١) فلو لم يحصل من النعيم إلا الخلاص من النار لكفى، قال النبي ﷺ: [يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها].^(٢) إنه مشهد يخلع القلوب، وإن جهنم إذا رأت الخلائق زفرت وزمجرت غضباً؛ لغضب القهار الجبار جل وعلا، قال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّطًا وَزَفِيرًا﴾ (الفرقان ١٢)، فعجبا لمن نام ولم يطلب الخلاص، وهنيئاً لمن اصطفاه الله ونجاه من النار، قال رسول الله ﷺ: [موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها، اقرؤوا إن شئتم {فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ}].^(٣)

ومن أراد الفوز فليلزم التوحيد فهو خير منج من عذاب الله يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ [من سره أن يزحرح عن النار، وأن يدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويأتي إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه...].^(٤) والنجاة في الآخرة تبدأ بالنجاة من عذاب القبر وتنتهي بالنجاة بالشفاعة، على النحو التالي:

المطلب الأول: النجاة من عذاب القبر

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (طه ١٢٤) والمعيشة الضنكا هي عذاب القبر بدليل قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ (طه ١٢٦)^٥ والمعيشة الضنكا هي المعيشة الضيقة وإن اتسع فيها الرزق،^(٦) ولا يكون ذلك إلا عذاباً، وذلك جزاءً لإعراض العبد عن ذكر ربه، وهذه الآية تدل على عذاب القبر^(٧)

1- انظر أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج ٢ ص ٤٣.

2- صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب في شدة حر جهنم وبعدها، وما تأخذ من المعذبين ح ٢٨٤٢.

3- صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، وأنها مخلوقة ح ٣٢٥٠.

4- صحيح مسلم، كتاب الإمامة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء ح ١٤٨٨.

5- انظر تفسير الطبري ج ١٦ ص ١٩٨، وانظر أضواء البيان ج ٤ ص ٥٩٦.

6- انظر أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج ٣ ص ٣٨٨.

7- انظر تفسير السعدي ج ١ ص ٥١٥.

قال النبي ﷺ: [إن المؤمن في قبره لفي روضة خضراء، فيرحب له قبره سبعون ذراعاً، وينور له كالقمر ليلة البدر، أتدرون فيما أنزلت هذه الآية {فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}؟ أتدرون ما المعيشة الضنك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم! قال: عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده، إنه يسלט عليه تسعة وتسعون تتيماً، أتدرون ما التتين؟ سبعون حية، لكل حية سبع رؤوس يلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة].^(١) وقد وردت أسباب لعذاب القبر إن تجنبها الإنسان نجا بإذن الله، كذلك هناك أعمال ينجي الله صاحبها من عذاب القبر.

أولاً: أسباب عذاب القبر

إن أكثر ما يُعذَّب الناس بسببه في النار هو جهل الناس بالله، وإضاعتهم لأمره، وارتكابهم معاصيه، فلا يعذب الله روحاً عرفته، وأحبته، وامتثلت أمره، واجتنبت نهيه، ولا بدناً كانت فيه أبدأً، فإن عذاب القبر، وعذاب الآخرة، بسبب غضب الله وسخطه، فمن أغضب الله وأسخطه في هذه الدار، ثم لم يتب، ومات على ذلك، كان له من عذاب القبر بقدر غضب الله وسخطه عليه.^(٢) ومن أهم الأسباب التي يعذب بها العبد في قبره:

١ - النسيمة وعدم التستر من البول

عن ابن عباس قال: [مر النبي ﷺ بحائط من حيطان المدينة، أو مكة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال النبي ﷺ: إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، ثم قال: بلى كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنسيمة، ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين، فوضع على كل قبر منهما كسرة، فقيل له يا رسول الله لم فعلت هذا؟ قال: لعله أن يخفف عنهما ما لم تيبسا، أو إلى أن ييبسا].^(٣) فسبب عذابهما، أن أحدهما ترك الطهارة الواجبة، وهي الطهارة من البول، والآخر كان يوقع العداوة بين الناس.^(٤)

٢ - الصلاة بغير طهور وعدم إغاثة الضعيف

قال النبي ﷺ [مات رجل يرون، أن عنده ورعا، فأتي في قبره، فقيل: إنا جالدوك مئة جلدة من العذاب، قال فيم تجلدوني، فقد كنت أتوقى وأتورع، فقيل: خمسون، فلم يزالوا يناقصونه، حتى صار إلى جلدة، فجلد، فالتهب القبر عليه نارا، وهلك الرجل، ثم أعيد فقال: فيم

1- صحيح الترغيب والترهيب، كتاب الجنائز، باب الترهيب من المرور بقبور الظالمين، وديارهم، ومصارعهم، مع الغفلة عما أصابهم، وبعض ما جاء في عذاب القبر، ونعيمه، وسؤال منكر ونكير عليهما السلام ح ٣٥٥٢،

ج ٣ ص ٣٩٢ .

2- انظر كتاب الروح لابن القيم الجوزية ص ٩٤ .

3- صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله ح ٢١٦ .

4- انظر كتاب الروح ص ٩٤ .

جلدتموني، قالوا: صليت يوم تعلم وأنت على غير وضوء، واستغاثك الضعيف، المسكين فلم تغته].^(١)

٣ - الكذب

جاء في حديث الرؤيا التي قصها النبي ﷺ أن رجلا عذب، بشق شدقه، فلما سأل الملكين قائلاً: [... فأخبراني عما رأيت . قالوا نعم: أما الذي رأيته يشق شدقه فكذاب، يُحَدِّثُ بالكذبة فتُحْمَلُ عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به إلى يوم القيامة]^(٢)

٤ - تعلم القرآن وعدم العمل به

رأى النبي ﷺ رجلاً يُشَدِّخُ رأسه، فسأل عن ذلك فقيل له: [والذي رأيته يُشَدِّخُ رأسه، فرجل، علمه الله القرآن، فنام عنه بالليل، ولم يعمل فيه بالنهار، يفعل به إلى يوم القيامة].^(٣)

٥ - الزنى

وقد رأى ﷺ أناساً يعذبون في ثقب مثل التتور تحته نار، كلما اشتد وهج النار ارتفعوا حتى كادوا أن يخرجوا فإذا خمدت عادوا، فسأل عن ذلك فقيل له: [والذي رأيتهم في الثقب فهم الزناة].^(٤)

٦ - آكل الربا

ورأى ﷺ رجلاً يسبح في نهر من الدم، كلما أراد الخروج أقم حجراً فعاد كما كان، فلما سأل قيل له: [والذي رأيته في النهر آكلوا الربا].^(٥)

ثانياً: الأعمال المنجية من عذاب القبر

لا شك أن ما ينجي من عذاب القبر، هو ترك الأسباب التي تقتضي عذاب القبر، ومن أنفع أسباب تجنب عذاب القبر، أن يجلس الإنسان عندما يريد النوم لله ساعةً، يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه في يومه، ثم يجدد له توبة نصوحاً بينه وبين الله، فينام على تلك التوبة، ويعزم على ألا يعاود الذنب إذا استيقظ، ويفعل هذا كل ليلة، فإن مات من ليلته مات على توبة،

1- مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الزهد، باب زهد الصحابة، كلام علقمة رحمه الله ح ٣٦٠٥١ ج ١٣ ص ٤١٣، وانظر صحيح الترغيب والترهيب للألباني، كتاب القضاء وغيره، باب الترهيب من الظلم ودعاء المظلوم، وخذله، والترغيب في نصرته ح ٢٢٣٤ ، ج ٢ ص ٥٣٧.

2- صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين ح ١٣٨٦.

3- المرجع السابق، باب ما قيل في أولاد المشركين ح ١٣٨٦.

4- المرجع السابق، باب ما قيل في أولاد المشركين ح ١٣٨٦.

5- المرجع السابق، باب ما قيل في أولاد المشركين ح ١٣٨٦.

وإن استيقظ، استيقظ مستقبلاً للعمل مسروراً بتأخير أجله. ^(١) وكما أن لعذاب القبر أسباب، فإن هناك منجيات من عذابه، أهمها:

١ - الرباط في سبيل الله

قال النبي ﷺ: [رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات أجري عليه عمله الذي كان يعمل، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتان]. ^(٢)
وقال ﷺ: [رباط يوم في سبيل الله أفضل، وربما قال خير، من صيام شهر وقيامه، ومن مات فيه وفي فتنة القبر ...]. ^(٣)

٢ - شهيد المعركة

والشهيد ينجو من عذاب القبر، فقد ورد أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: [كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة]. ^(٤)

٣ - قراءة سورة تبارك

قال النبي ﷺ: [سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى غفر له ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ (الملك)]. ^(٥) وهذا يدل على أن من قرأ سورة الملك وداوم عليها فإنها تتجيه في القبر.

٤ - المبطون

فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: [من يفتله بطنه فلن يعذب في قبره]. ^(٦)

٥ - أعمال أخرى تنجي من عذاب القبر

وهناك أعمال تكون حاجبا لصاحبها من عذاب القبر، فعن النبي ﷺ قال: [إن الميت إذا وضع في قبره، إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون مدبرين، فإن كان مؤمناً، كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه، وكانت الزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلاة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه ...]. ^(٧) وبين النبي ﷺ أن هذه العبادات

1- انظر كتاب الروح ص ٩٧.

2- الفتان: بضم الفاء، وهما منكر ونكير، بينه حديث الإمام أحمد، في مسند جابر بن عبد الله ح ١٤٣١٢.

3- صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله ح ١٩١٣.

4- سنن الترمذي، كتاب فضل الجهاد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل المرابط ح ١٦٦٥، صححه الألباني.

5- سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب الشهيد ح ٢٠٥٣ صححه الألباني.

6- سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب في عدد الآي ح ١٤٠٠ حسنه الألباني.

7- سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب من قتله بطنه ح ٢٠٥٢ صححه الألباني.

8- صحيح الترغيب والترهيب، كتاب الجنائز، باب الترهيب من المرور بقبور الظالمين وديارهم ومصارعهم مع الغفلة عما أصابهم وبعض ما جاء في عذاب القبر ونعيمه وسؤال منكر ونكير عليهما السلام، ح ٣٥٦١، ج ٣ ص ٤٠٣.

تدفع العذاب عن صاحبها، ثم قال النبي ﷺ: - فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (إبراهيم ٢٧) (١)

المطلب الثاني : النجاة من الفرع الأكبر والحشر

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ* لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ* لَا يَحْرُزُهُمْ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (الأنبياء ١٠٢-١٠٣) والفرع الأكبر يكون عند النفخة الآخرة، فمن نجا عند الفرع، فهو مما بعده أحرى أن لا يفرع، (٢) فالمؤمنون المتقون يقومون من قبورهم آمنين غير خائفين، (٣) والفرع الأكبر: أهوال يوم القيامة من البعث والحساب والعقاب، وفي هذا اليوم تتلقى الملائكة المؤمنين على أبواب الجنة يهنئونهم، ويقولون لهم: {هَٰذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} به في الدنيا، (٤) وهذا اليوم جاء وصفه في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ* يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج ١-٢)، ففي هذا اليوم ترجف الأرض وترتج رجاً، وتندك الجبال دكاً، وينقسم الناس إلى ثلاثة أصناف، ويكون من الأهوال ما تتصدع له القلوب، وتشيب منه الولدان، ولهذا قال تعالى: {يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ} تذهل رعم عاطفتها، وحنانها، وخاصة في مثل هذه المواقف، وتضع الحوامل من شدة الفرع، والناظر يحسب أن الناس سكارى، وليسوا سكارى. {وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ}، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ* وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ* وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ* لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (عبس ٣٤-٣٧). (٥) في هذا اليوم تقبل الوحوش مُنكسة رؤوسها بعد توحشها، ذليلة ليوم النشور، وتقبل الشياطين بعد عتوها وتمردها، خاشعة لذل العرض على رب العالمين، فسبحان الذي جمعهم بعد طول البلاء، واختلاف خلقهم، وطبائعهم، قد أذلهم البعث، وجمع بينهم النشور. فيا طول حزننا، وغمنا، إن كان الله قد قطع ما بينه وبيننا. (٦) قال النبي ﷺ: [تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق، حتى تكون منهم

1- صحيح الترغيب والترهيب، كتاب الجنائز، باب الترهيب من المرور بقبور الظالمين وديارهم ومصارعهم مع الغفلة عما أصابهم وبعض ما جاء في عذاب القبر ونعيمه وسؤال منكر ونكير عليهما السلام، ح ٣٥٦١، ج ٣ ص ٤٠٣.

2- انظر تفسير الطبري ج ١٦ ص ٤٢٢.

3- انظر أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج ٣ ص ٤٤٤.

4- انظر فتح القدير ج ٣ ص ٤٢٩.

5- انظر تفسير السعدي ج ١ ص ٥٣٢.

6- انظر ترطيب الأفواه بذكر من يظلمهم الله للسيد العفاني ج ١ ص ٣٣.

كمقدار ميل، قال سليم بن عامر^(١): فو الله ما أدري ما عنى بالميل، أمسافة الأرض، أم الميل الذي يكحل به العين؟ قال: فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، و منهم من يكون إلى ركبته، و منهم من يكون إلى حقويه، و منهم من يلجمه إجماماً.^(٢) ففي هذا اليوم يبحث الناس عن النجاة، والنجاة منه، لا تبحث ساعة وقوعه، بل قبل مجيئه، وهناك أعمال تتجي من أهوال هذا اليوم، أهمها:

أ- الرباط في سبيل الله:

قال النبي ﷺ: [رباط شهر، خير من صيام دهر، ومن مات مرابطاً في سبيل الله، أمن من الفزع الأكبر، و غُدِّيَ عليه برزقه، و رِيحَ من الجنة، و يجرى عليه أجر المرابط حتى يبعثه الله].^(٣)
ب- الشهيد في سبيل الله

قال النبي ﷺ: [لشهادة عند الله ست خصال، يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، و يجار من عذاب القبر، و يأمن من الفزع الأكبر، و يوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، و يزوج اثنتين و سبعين زوجة من الحور العين، و يشفع في سبعين من أقاربه].^(٤)

ت- من اتصف بإحدى الصفات التي يستظل صاحبها بظل العرش.

قال النبي ﷺ: [سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل، و شاب نشأ في عبادة الله تعالى، و رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، و رجل كان قلبه معلقاً بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، و رجلان تحابا في الله، اجتمعا على ذلك و تفرقا، و رجل دعت امرأته ذات حسب و جمال فقال: إني أخاف الله، و رجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه].^(٥)

و من هذه الصفات: إمهال المعسر و رفع بعض الدين عنه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة ٢٨٠) و عن النبي ﷺ قال: [من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله].^(٦)

1- هو سليم بن عامر، الكلاعي، أبو يحيى الحمصي: من كبار التابعين، أدرك الجاهلية غير أنه لم ير النبي ﷺ وهاجر في عهد أبي بكر الصديق ﷺ. مات سنة ١٣٠هـ، انظر تهذيب الكمال ج ١١ ص ٢٤٤-٢٤٦.
2- صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب صفة يوم القيامة أعادنا الله من أهوالها ح ٢٨٦.
3- صحيح الترغيب والترهيب للألباني، كتاب الجهاد، باب الترغيب في الرباط في سبيل الله عز وجل، ح ١٢١٩، ج ٢ ص ٦٤.
4- سنن الترمذي، كتاب الجهاد في سبيل الله، باب ما جاء في ثواب الشهيد ح ١٦٦٣ صححه الألباني.
5- صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ح ٦٦٠.
6- صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر ح ٣٠١٤.

وهناك صفات كثيرة تكون سببا في أن يستظل أصحابها في ظل عرش الرحمن منها: من أظل رأس غازٍ ، ومن أعان مجاهدا أو غارما أو مكاتبا، ورجل يحمي انسحاب جيش المسلمين حتى نجوا. (١)

المطلب الثالث : النجاة من الحساب والصراط

قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ*عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الحجر ٩٢-٩٣) وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ (مريم ٧١)

ليس هناك عبد إلا سيعرض على ربه، فيتولى سبحانه حسابه بنفسه، وبدون وساطة، قال النبي ﷺ: [ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر عن يمينه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر عن شماله، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أمامه، فلا يرى إلا النار، فاتقوا النار ولو بشق تمرّة]. (٢) فإن كان من أهل النجاة وهو الذي يؤتى كتابه بيمينه، تجاوز الله عن ذنوبه ولم يناقشه الحساب، ولم يعذبه، وأدخله الجنة، ، وأما من كثرت معاصيه، وأوتى كتابه بشماله، فذلك الذي يناقش الحساب، عن عائشة أن النبي ﷺ قال: [ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك، فقلت يا رسول الله: أليس قد قال الله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ* فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (الانشقاق ٨) ، فقال رسول الله ﷺ: إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب]. (٣)

وبعد الحساب والعرض والميزان ينصرف الناس من الموقف، ليردوا الصراط، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ وهو الجسر المنصوب على جهنم، وكل إنسان سواء كان طريقه إلى الجنة أو إلى النار لا بد وأن يمر عليه، والمرور على الصراط عام لجميع الناس،^٤ لأنبياء والصدّيقين والمؤمنين، ومن يحاسب ومن لا يحاسب. إلا الكفار. والنبي وأمة أول من يجوزون، قال النبي ﷺ: [..ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجوز، ولا يتكلم يومئذٍ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذٍ، اللهم سلم سلم...]. (٥)

1- انظر كتاب ترطيب الأفواه بذكر من يظلمهم الله ج ٢ ص ١٩٩-٢٢٢

2- صحيح البخاري، كتاب التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ح ٧٥١٢

3- المرجع السابق، كتاب الرقائق ، باب من نوقش الحساب عذب ح ٦٥٣٧

4- انظر تفسير الطبري ج ١٥ ص ٦٠١

5- صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب، قول الله تعالى: وجوه يومئذٍ ناضرة ح ٧٤٣٩

أولاً: الحساب

قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف ٤٩) ووضِعَ كتاب أعمال كل واحد في يمينه أو في شماله، فيكون العصاة خائفين مما فيه، بسبب ما قدموه من جرائمهم، ويقولون حين يعاينونه: يا هلاكنا! ما لهذا الكتاب لم يترك صغيرة من أفعالنا، ولا كبيرة إلا أثبتها؟! ووجدوا كل ما عملوه في الدنيا حاضرًا مثبتًا. ولا يظلم ربك أحدًا متقال ذرة، فلا يُنْقَصُ طائع من ثوابه، ولا يُزَادُ عاص في عقابه. (١) وتنتشر صحائف الأعمال قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وِرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصَلَّى سَعِيرًا﴾ (الانشقاق ٨-١٢) ثم بعد ذلك يُعرض الناس على ربهم، وتقام عليهم الحجج بالعرض والحساب ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (الحاقة ١٨).

ثانياً: الصراط

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (الحديد ١٣-١٤)، ففي هذا اليوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا، وهم على الصراط: انتظرونا نستضيء من نوركم، فنقول لهم الملائكة: ارجعوا وراءكم فاطلبوا نوراً، ففُصِّلَ بينهم بسور له باب، باطنه مما يلي المؤمنين فيه الرحمة، وظاهره مما يلي المنافقين من جهته العذاب. (٢)

والممرور على الصراط هو الورد المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ (مريم ٧١) فإنه لا ينجو منه أحد قال النبي ﷺ: [لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد - الذين بايعوا تحتها - فقالت حفصة: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا}، فقال النبي ﷺ: قد قال الله - عز وجل - : ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾ (مريم ٧٢)]^٣ فأشار إلى أن الجميع يمرون على الصراط، وينجي الله المؤمنين، ويذر الظالمين فيها جثياً.

1- انظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١١٥

2- انظر المرجع السابق ج ٤ ص ٣٩٩

3- صحيح مسلم ، كتاب، فضائل الصحابة ، باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان ح ٢٤٩٦

ويجوز الناس يوم القيامة على الصراط على قدر أعمالهم وإيمانهم، عن النبي ﷺ قال: [... ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم. قلنا يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: مدحضة، مزلة، عليه خطاطيف، وكلايب، وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفة تكون بنجد، يقال لها السعدان، المؤمن عليها كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، فجاج مسلم، ونجاج مخدوش، ومكدوس في نار جهنم، حتى يمر آخرهم يسحب سحبا^(١)].^(٢) في هذا الموقف الكل يطلب النجاة [..ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم...].^(٣) فإذا كان الرسل وهم من هم تتعلق قلوبهم بالله قائلين اللهم سلم سلم، فكيف بباقي الناس! وقد حاول المنافقون أن يستعينوا بالمؤمنين لينجوا، فبين المؤمنون أو الملائكة، أن النجاة من هذا الموقف لا تطلب يوم القيامة، إنما تطلب في الدنيا، وبينوا لهم سبب هلاكهم، قال تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَكُنْتُمْ فِتْنَةً أَنْفُسُكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمْ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (الحديد: ١٤) فسبب الهلاك أنهم فتتوا أنفسهم، أي أضلوا بالنفاق الذي هو كفر باطن. والمراد بالتربص هنا هو تربص المنافقين بالمؤمنين الدوائر ونوائب الدهر أن تهلكهم، والأمانى، ما يمتنون به أنفسهم من الباطل، كزعمهم أنهم مصلحون في نفاقهم، وأن المؤمنين حقا سفهاء في صدقهم، أي في إيمانهم، وأمر الله هو الموت لأنه ينقطع به العمل، والغرور هو الشيطان وعبر عنه بصيغة المبالغة، التي هي المفعول لكثرة غروره لبني آدم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (النساء: ١٢٠).^(٤) وبمفهوم المخالفة: **فإن النجاة على الصراط تكون: بالإيمان، ومودة المؤمنين ومحبتهم، ونصرة دين الله، والإخلاص، وعدم الانجرار خلف الأمانى، وإتباع منهج الله.**

- 1- الدحض والمزلة بمعنى واحد. وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام ولا تستقر ومنه دحضت الشمس أي مالت. والحسكة: نبات له ثمر خشن يتعلق بأصواف الغنم وربما اتخذ مثله من حديد وهو من آلات الحرب. ومفلطحة: أي منبسطة عريضة. وعقيفة: أي معوجة ومنحنية كالصنارة، والسعدان: هو اسم للحسكة، وهو نبت ذو شوك يضرب به المثل في طيب مرعاه، وتشبيهه الكلايب بشوك السعدان خاص بسرعة اختطافها. فجاج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم (معناه أنهم ثلاثة أقسام: قسم يسلم فلا يناله شئ أصلا، وقسم يخذش ثم ينجو، وقسم مكدوس: أي ملقى في جهنم مرصوص، وهو مأخوذ من كون الأشياء بعضها على بعض ومنه تكدست الدواب في سيرها إذا ركب بعضها بعضا، انظر فتح الباري ج ١٣ ص ٤٢٩)
- 2- صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب، قول الله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ح ٧٤٤٠
- 3- المرجع السابق، باب، قول الله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ح ٧٤٣٩
- 4- انظر أضواء البيان ج ٧ ص ٨٠٩

أولاً: البراء من الكفر والنفاق

قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ (الحديد ١٤) قال الشنقيطي: " أي أضللتموها بالنفاق الذي هو كفر باطن".^(١) والنجاة من عذاب الله ومن الكفر والنفاق، بينها الله عز وجل، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ (النساء ١٧٥)، وقال: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (آل عمران ١٠١) فسيبل النجاة اعتصام بالله واتباع صراطه، ثم الاستقامة على هذا الطريق المستقيم، وقد كلف الله العبد أن يطلب الهداية منه مراراً، بقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة ٦) والصراط المستقيم هو دين الله الذي لا يقبل من أحد غيره،^(٢) ودين الله ليس كلمة تقال باللسان، إنما قول باللسان، وإقرار بالقلب، وعمل بالجوارح، قال النبي ﷺ: [لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم لسانه، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه].^(٣)

ومن النجاة أن يبحث الإنسان عن خصال المنافقين ويتجنبها، فقد قال النبي ﷺ [أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر]^(٤) فقول النبي ﷺ حتى يدعها، بيان لعلاج من ابتلي بذلك المرض الخطير، ومن كانت فيه خصلة واحدة منها كانت فيه صفة من صفات المنافقين وصار فيه إيمان ونفاق، فإن تاب العبد منها إلى الله عز وجل، واتصف بضعدها من صفات المؤمنين، برئ من النفاق، وتكامل إيمانه. ومن العلاج مجاهدة النفس بكثرة الذكر وقراءة القرآن والعمل به لطرده الشيطان، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف ٣٦).

ثانياً : مودة المؤمنين ومحبتهم

قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ (الحديد ١٤) قال الشنقيطي: "التربص: الانتظار، والأظهر أن المراد به هنا تربص المنافقين بالمؤمنين الدوائر، أي انتظارهم بهم نوائب الدهر أن تهلكهم"^(٥) فحال من تربص بالمؤمنين أن يسقط في جهنم، ولا شك أن محبة المؤمنين ومودتهم تكون سببا في النجاة بإذن الله تعالى. وحبهم يظهر في أشياء ينجي الله بها أصحابها.

1- أضواء البيان ج ٧ ص ٨٠٩.

2- انظر تفسير القرطبي ج ١ ص ١١٨.

3- مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين، مسند أنس بن مالك ح ١٢٦٣٦ حسنه الألباني، انظر الترغيب والترهيب، كتاب البر والصلة، باب الترهيب من أذى الجار وما جاء في تأكيد حقه ح ٤٥٥٢، ج ٢ ص ٦٨٠.

4- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ح ٣٤.

5- أضواء البيان ج ٧ ص ٨٠٩.

١ - الدفاع عن أعراضهم

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النور ١٩) فهذا توعدهم شديد بالعذاب الأليم، لمن يحب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، فما بالنا بمن يسعى ليوجدها ، وبمفهوم المخالفة فإن من يغار على المؤمنين ، ويحامي أعراضهم فإن الله سبحانه سينجيهم، قال النبي ﷺ: [من رد عن عرض أخيه المسلم كان حقا على الله ان يرد عن وجهه النار يوم القيامة].^(١)

٢ - الترغيب في حضور مجالسهم

ومن حبهم ومودتهم الجلوس معهم، فإن الله يغفر لهم ، ويجبرهم من النار، ففي الحديث الذي يذكر فيه النبي ﷺ أن الله يغفر لأهل مجالس الذكر، يقول ملك من الملائكة: [فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة. فيقول الله تعالى: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم].^(٢) فإذا كان جليسهم ناج وهو ليس منهم، فكيف بمن هو منهم.

٣ - عدم مخالفتهم

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء ١١٥) فمن سلك طريقا غير طريق المؤمنين الصالحين فإن الله يتركه وما تولاه من الباطل، والشرك، والضلال، حتى يهلك فيه.^(٣)

ثالثاً: عدم الاتجار خلف الأمانى

قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ كُفْرًا فَتَنَّاكُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبَتُمْ وَعَرَّكْتُمُ الْأَمَانِي﴾ (الحديد: ١) قال الشنقيطي: "الأمانى جمع أمنية، وهي ما يمتنون به أنفسهم من الباطل، كزعمهم أنهم مصلحون في نفاقهم، وأن المؤمنين حقا سفهاء في صدقهم، أي في إيمانهم، كما بين تعالى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ (البقرة: ١١-١٢)"^(٤) والحقيقة أن الكثير منا مبتلى بتضخم الأمانى، ولربما لم يسعفه الزمان على تحقيقها، وينسى العبد أن تدبير الله للمرء خيرٌ من تدبيره لنفسه، والنبي ﷺ يقول: [يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان، الحرص على المال، والحرص على العمر]^(٥) والتمنى مفسد للقلب قال ابن القيم: "من مفسدات القلب ركوبه بحر التمنى، وهو بحر لا ساحل له، وهو البحر الذي يركبه

1- سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الذب عن عرض المسلم ح ١٩٣١ صححه الألباني.

2- انظر صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل مجالس الذكر ح ٢٦٨٩ .

3- انظر أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج ١ ص ٥٤٠.

4- أضواء البيان ج ٧ ص ٨٠٩.

5- صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب كراهة الحرص على الدنيا ح ١٠٤٧ .

مفالييس العالم، كما قيل: إن المنى رأس أموال المفالييس وبضاعة ركابه مواعيد الشيطان".^(١) قال الحسن البصري: "إن قوما ألهتهم الأمانى، حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة، ويقول أحدهم: إني أحسن الظن بالله، وكذب فلو أحسن الظن لأحسن العمل. وتلا قوله تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (فصلت ٢٣) "^(٢)

خامسا: اتباع منهج الله

قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (الحديد ١٣-١٤) قد جعل الله معيار صدق من ادعى الإيمان به، وادعى محبته، ومحبة دينه ونبيه، اتباع ما جاء به نبيه ﷺ، فقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران ٣١) وما جاء به النبي ﷺ هو القرآن الكريم، وما أخذته الأمة عنه من سنته ﷺ، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران ١٠٣). فكان الاعتصام بكتاب الله وقاية من النار، ومن وقاه الله من النار فسيجوز الصراط، وسيفوز بالجنة بإذن الله، قال تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِثْلِ ثَمَرِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الزمر ٦١).

المطلب الرابع: النجاة من النار

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحریم ٦)

النار موصوفة بهذه الأوصاف المخيفة، ووقاية الأنفس منها، بإلزامها أمر الله، والقيام بأمره امتثالاً، ونهيه اجتناباً، والتوبة مما يسخط الله، ويوجب العذاب، ووقاية الأهل والأولاد، بتأديبهم وتعليمهم، وإجبارهم على أمر الله، فلا يسلم العبد إلا إذا قام بما أمر الله به في نفسه، وفيما يدخل تحت ولايته؛ من الزوجات، والأولاد، وغيرهم ممن هو تحت ولايته وتصرفه،^(٣) والنجاة من النار تكون بتجنب أسباب الوقوع فيها في الدنيا، وبالشفاعة يوم القيامة.

1- مدارج السالكين، منزلة التذکر ج ١ ص ٤٥٦.

2- التذكرة في أحوال الموتى والآخرة ص ١١.

3- انظر تفسير السعدي ج ١ ص ٨٧٤.

أولاً: النجاة بتجنب أسباب الوقوع في النار

الأسباب المكفرة التي تخلد صاحبها في النار كثيرة نذكر منها:

١ - الكفر والشرك بالله:

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة ٣٩) وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (المائدة ٧٢) قال النبي ﷺ: [ينادي مناد يوم القيامة، ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبيهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم، حتى يبقى من كان يعبد الله، من بر، أو فاجر، وغُبرَات^(١) من أهل الكتاب]^(٢) فهؤلاء لا يُسألون، وتجنب الوقوع في ما وقعوا فيه، يكون بالإيمان وعدم الشرك، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التغابن ٩). وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ* أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ (المؤمنون ٦١).

٢ - النفاق

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (التوبة ٦٨) وهؤلاء المنافقون، الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا فهم فريق يتردد متحيراً بين المؤمنين والكافرين فهؤلاء توعدهم الله فقال: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ (النساء ١٤٥) ، وذلك لأن كُفْرَهُمْ جامعٌ بين الكفر والخداع، والاستهزاء بالله وآياته ورسوله، فالنجاة من الوقوع مما وقعوا فيه يكون بالإخلاص وطهارة القلب، ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (الكهف ١١٠)

٣ - الكبر

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (الأعراف ٣٦) وهؤلاء يبغضهم الله عز وجل لأنهم اتصفوا بصفة لا تليق إلا بالله عز وجل، قال النبي ﷺ: [لا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء]^(٣) وهؤلاء قطع الله آمالهم

١- وغبرات: بضم الغين المعجمة وتشديد الموحدة، أي بقايا، والمراد من كان يوحد الله منهم، انظر فتح الباري ج ١١ ص ٤٤٩.

٢- صحيح البخاري، كتاب التفسير ، باب إن الله لا يظلم مثقال ذرة ح ٤٥٨١.

٣- صحيح مسلم ، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه ح ٩١ .

أن يفتح لهم باب رحمة، أو أن يدخلهم الجنة فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأعراف ٤٠) والنجاة مما وقع فيه هؤلاء تكون: بتقوية القلوب من الكبر وتواضعها لله قال النبي ﷺ: [ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله رجلاً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله].^(١)

٤ - طاعة رؤساء الضلال في مبادئهم

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا* خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا* يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ* وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا* رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَاهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ (الأحزاب ٦٤-٦٨) هذه شكوى من الكافرين، وكيف تقبل شكواهم، وينفعهم اعتذارهم، وهم قد أطاعوهم فيما كانوا يأمرونهم به من الكفر، حتى أضلوهم، فعاشوا ضالين وماتوا كافرين.^(٢) والنجاة مما وقع فيه هؤلاء تكون بترك طاعة رؤساء الضلال، وطاعة الله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (النساء ١٣) بل يكون مع خير رفقة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء ٦٩).

٥ - الربا

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة ٢٧٥) "الذين يتعاملون بالربا - وهو الزيادة على رأس المال - لا يقومون في الآخرة من قبورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من الجنون؛ ذلك لأنهم قالوا: إن كلا منهما حلال، ويؤدي إلى زيادة المال، فأكذبهم الله، وبيّن أنه أحل البيع وحرم الربا؛ لما في البيع والشراء من نفع للأفراد والجماعات، ولما في الربا من استغلال وضياع وهلاك. فمن ارتدع، فله ما مضى، فإن استمر على توبته فالله لا يضيع أجر المحسنين، ومن عاد إلى الربا ففعله بعد بلوغه نهى الله عنه، فقد استوجب العقوبة، وقامت عليه الحجة، ولهذا قال سبحانه: ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾"^(٣) والربا هو الجريمة الوحيدة التي أعلن الله تعالى الحرب على صاحبها فقال:

1- سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التواضع ج ٢٠٢٩ صححه الألباني.

2- انظر أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج ٤ ص ٢٩٦.

3- انظر تفسير الطبري ج ٥ ص ٣٧.

﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (البقرة ٢٧٩) والنجاة مما وقع فيه هؤلاء تكون:
بالتوبة والكف عن الربا، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْتِمْ فَلَئِمَّ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾
(البقرة ٢٧٩) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران ١٣٠).

وهناك ذنوب كثيرة توعد الله أصحابها بالنار، ولا نجاة إلا بتجنبها، منها:

- الإستهزاء بالله وبدينه

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ
تَسْتَهْزِئُونَ* لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا
مُجْرِمِينَ﴾ (التوبة ٦٥-٦٦)

- أكل أموال الناس بالباطل:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن
تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا* وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ
نُصَلِّيه نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (النساء ٢٩-٣٠)

- عدم دفع الزكاة

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ﴾ (التوبة ٣٤)

- الركون إلى الظلمة

قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ
لَا تُنصَرُونَ﴾ (هود ١١٣)

- استبدال نعمة الله بكفرا

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ* جَهَنَّمَ
يَصَلُّونَهَا وَبَسَّ الْقَرَارُ﴾ (إبراهيم ٢٩)

- إضاعة الصلوات

قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾
(مريم ٥٩).

ثانياً: النجاة بالشفاعة

قال تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (الأعراف ٥٣) إن الكفار، إذا عاينوا الحقيقة يوم القيامة يقرون بأن الرسل جاءت بالحق، ويتمنون أحد أمرين: إما أن يشفع لهم شفعاء فينقذونهم، أو يُردُّوا إلى الدنيا ليُصدِّقوا الرسل، ويعملوا بما يرضي الله، وهذا حلم لن يحققوه، فلن يشفع لهم أحد لقوله تعالى: ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ (المدثر ٤٨)^(١) قال القرطبي: "هذا دليل على صحة الشفاعة للمذنبين؛ وذلك أن قوماً من أهل التوحيد عذبوا بذنوبهم، ثم شفع فيهم، فرحمهم الله بتوحيدهم والشفاعة، فأخرجوا من النار، وليس للكفار شفيع يشفع فيهم." ^(٢)

والشفاعة لا تكون إلا إذا أذن فيها الله عز وجل برحمته، قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ (طه ١٠٩). والآيات التي تصرح بوجود الشفاعة يوم القيامة كثيرة، ولا يختلف المسلمون على أن النبي ﷺ هو الشافع المشفع يوم القيامة، وأن الشفاعة ثابتة بالكتاب والسنة فمن السنة، قال النبي ﷺ: [لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة - إن شاء الله - من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً] ^(٣) ومن خلال آيات القرآن الكريم التي أوردت الشفاعة يتبين أن للشفاعة شروط:

- أ- أنها مقيدة بالإذن من الله سبحانه: قال تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ (البقرة ٢٥٥) وقول النبي ﷺ [ثم أشفع فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة] ^(٤)
- ب- وأن تكون لمن رضي الله أن يشفع له. قال تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ (الأنبياء ٢٨) ولا يرضي الله الشفاعة؛ إلا لمن يستحقون عفوه سبحانه.
- ث- والشفاعة لا تكون إلا لأهل التوحيد، فمن كان ولاؤه لغير الله ورسوله والمؤمنين فهو محروم، ومن كان يسعى في نصرة مذهب هدام فهو محروم، ومن اعتقد أن غير منهج الله هو الأصلح للحياة فهو محروم، ومن سخر أو جحد أو أنكر شيئاً من منهج الله فهو محروم. ^(٥)

1- انظر أضواء البيان ج ٢ ص ٣٠٢.

2- تفسير القرطبي ج ١٩ ص ٢٤٦.

3- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب دعاء النبي ﷺ لأمته ح ١٩٩.

4- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله وعلم آدم الأسماء كلها ح ٤٤٧٦.

5- انظر إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد لصالح الفوزان، باب الشفاعة ج ١ ص ٢٣١.

والشفاعة أنواع: فمنها الشفاعة العظمى التي تكون لخلاص الناس من أرض المحشر، ومنها الشفاعة لفتح باب الجنة، ومنها الشفاعة لأهل الكبائر وغيرها.

أولاً: الشفاعة العظمى

قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ النَّارِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَازِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (غافر ١٨) هذا تحذير للناس من يوم القيامة القريب، وإن استبعدوه، إذ قلوب العباد من مخافة عقاب الله قد ارتفعت من صدورهم، فتعلقت بقلوبهم، وهم ممثلون غماً وحرناً، ما للظالمين من قريب ولا صاحب، ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم، فيستجاب له.^(١)

في ذلك اليوم العظيم، يوم القيامة، يوم الحر الشديد، والهول المديد، يوم يفر المرء من القريب والبعيد، يوم يجتمع الناس جميعهم من لدن آدم ﷺ حتى آخر إنسان على وجه الأرض، يجتمعون في صعيد واحد للفصل بينهم، ولا فرق بين الكبير والصغير، ولا بين الأسود والأبيض، ولا بين الحاكم والمحكوم، الكل سواسية في الموقف الطويل، والعباد ينتظرون الحساب والفصل بينهم، وقد بلغ بهم الجهد والهم والقلق مبلغاً عظيماً، قال النبي ﷺ [تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل قال سليم^(٢) والله ما أدري ما عنى بالميل، مسافة من الأرض، أم الميل الذي يكحل به العين؟ قال فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حنجره، ومنهم من يلجمه العرق إجماماً، وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فيه]^(٣)

في هذا الموقف الكل يريد النجاة والخلص، فيبحثون عن شفيع لهم ليخلصهم من هذا الموقف العصيب، ويطلبون من الأنبياء الشفاعة ببدء الحساب، وهنا تأتي رحمة العزيز الغفار، عندما يأذن لنبيه ﷺ بالشفاعة لأهل الموقف جميعاً، مؤمنهم وكافرهم، بعد اعتذار الأنبياء، قال النبي ﷺ: [فيأتوني، فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، فأنت تطلق، فأنت تحت العرش، فأقع ساجداً لربي عز وجل، ثم يفتح الله علي من محامده، وحسن الثناء عليه، شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع].^(٤) وهذه هي الشفاعة العظمى للنبي ﷺ يوم القيامة، وهي أعظم الشفاعات التي تجري في ذلك اليوم.

1 انظر الكشاف للزمخشري ج ٤ ص ١٦٢.

2 هو سليم بن عامر وقد سبقت ترجمته في هذا المبحث في مطلب النجاة من الحساب والصرط. انظر ص ٩٢.

3 صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة يوم القيامة أعاننا الله على أهوالها ح ٢٨٦٤.

4 المرجع السابق، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة ح ١٩٣.

ثانياً: الشفاعة لدخول الجنة

ثبت أن الجنة لا تفتح إلا بشفاعة النبي ﷺ فهو أول من يدخل الجنة، وأمه أول الأمم دخولاً للجنة، قال النبي ﷺ: [أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة] (١) وقال ﷺ [أتي باب الجنة يوم القيامة، فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك]. (٢)

ثالثاً: الشفاعة لأهل المعاصي والكبائر من أهل التوحيد

الشفاعة لأهل المعاصي تواترت بها الأحاديث وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضاً. وتكرر من النبي ﷺ مراراً (٣) قال النبي ﷺ [... ثم أشفع، فيحد لي حداً، ثم أخرجهم من النار، وأدخلهم الجنة، ثم أعود، فأقع ساجداً مثله، في الثالثة أو الرابعة، حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن]. (٤)

والشفاعة لأهل المعاصي، يشارك فيها الملائكة، والنبيون، والمؤمنون، وتختتم بشفاعة رب العالمين، قال النبي ﷺ [... فيقول الله قد شفعت الملائكة وشفعت النبيون وشفعت المؤمنون فهل بقي إلا أرحم الراحمين؟ فيأخذ قبضة من النار قال: فيخرج قوماً قد عادوا حمماً، لم يعملوا لله عمل خير قط، فيطرحون في نهر الجنة، يقال له نهر الحياة، فينبثون فيه، و الذي نفسي بيده، كما تثبت الحبة في حميل ° السيل]. (٥)

وهناك ثمانية أنواع للشفاعة: وهي الشفاعة العظمى، وشفاعته ﷺ في أقوام تساووت حسناتهم مع سيئاتهم، وأقوام أمر بهم إلى النار، وشفاعته في رفع درجات من يدخل الجنة، وفي أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب، وفي تخفيف العذاب عن يستحق، وفي شفاعته أن يؤذن للمؤمنين بدخول الجنة، وفي أهل الكبائر من أمته. (٦) ومما ينبغي أن يحرص عليه المسلم، تعاطي الأسباب الموجبة لشفاعة النبي ﷺ، منها توحيد الله سبحانه، والدعاء للنبي ﷺ بالمقام المحمود، والصلاة عليه.

1- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً ح ١٩٧.

2- المرجع السابق، باب أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً ح ١٩٧.

3- انظر شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الحنفي ص ٢٠٥.

4- صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار ح ٦٥٦٥.

5- الحميل: ما يحمل السيل من طين أو غثاء. انظر تاج العروس من جواهر القاموس ج ٢ ص ٢٢٢.

6- المستدرک للحاكم، كتاب الأحوال ح ٨٧٣٦، ج ٤ ص ٦٢٦ وقال صحيح الإسناد.

7- انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٠٣.

الخلاصة

لو أدركنا شدة العذاب في الآخرة، فلا شك أننا لن نقيم وزنا لأي عذاب نواجهه في الدنيا، قال النبي ﷺ [يؤتي يوم القيامة بأنعم أهل الدنيا من الكفار، فيقال: اغمسوه في النار غمسة، فيغمس فيها، ثم يقال له: أي فلان، هل أصابك نعيم قط، فيقول: لا، ما أصابني نعيم قط ، ويؤتي بأشد المؤمنين ضرا وبلاء، فيقال: اغمسوه غمسة في الجنة، فيغمس فيها غمسة، فيقال له: أي فلان هل أصابك ضر قط، أو بلاء، فيقول: ما أصابني قط ضر ولا بلاء].^(١) ولهذا يوجد تباين حتمي بين العذاب الأبدي في الآخرة والنجاة، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ (الحشر ٢٠) وهذه الهوة بين العذاب الأبدي والنجاة، هي فصل حاسم يختلف في طبيعته باختلاف مستويات الناس في الدنيا.

والنجاة في الدنيا تكون بعدم الوقوع في الضلال، واتباع الهدى، والنجاة في الآخرة تكون بعدم الوقوع في العذاب. وقد يكون بين هاتين النجأتين علاقة، حيث تؤثر إحداها على الأخرى، وقد لا تكون بينهما علاقة، فمثلا: قد يتعرض الإنسان في الدنيا لبعض المخاطر المحدقة به، كالأمراض، والحوادث، والكوارث، فالنجاة فيها، أو عدم النجاة، لا تؤثر على النجاة في الآخرة، لأنها لا تتعلق بالقضايا الشرعية. أما تعرض الإنسان إلى عقوبة معينة - كإقامة حد عليه من حدود الله، أو عقوبة سجن، أو غرامة بسبب مخالفات تتعلق بغيره من الناس - تجعله يفكر في النجاة منها، ويعمل جاهدا من أجلها، وهنا ربما تكون النجاة في الدنيا على حساب النجاة في الآخرة، قال النبي ﷺ [إنكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فمن قضيت له بحق أخيه شيئا بقوله، فإنما أقطع له قطعة من النار، فلا يأخذها]^(٢) ومثال ذلك نجاة المنافقين بعد تخلفهم يوم تبوك فقد نجوا من مُسأَلَةِ النبي ﷺ لهم، بطلاقة ألسنتهم، وأوقعوا أنفسهم في عقاب الله لهم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة ٩٠) ومن هنا نرى أن النجاة الحقيقية هي نجاة الآخرة قال تعالى ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (ال عمران ١٨٥).

1- سنن ابن ماجة، باب صفة النار ح ٤٣٢١ صححه الألباني.

2- صحيح البخاري كتاب الشهادات ، باب من أقام الحجة بعد اليمين ح ٢٦٨٠ .

الفصل الثالث

الناجون في القرآن الكريم

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: الأمم الناجية
- المبحث الثاني: الأنبياء والأفراد الناجون

الفصل الثالث

الناجون في القرآن الكريم

قال تعالى ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّبِكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَاكُمْ مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلِ اللَّهُ يُنَجِّبُكُم مِّنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام ٦٣-٦٤)

قال الطاهر بن عاشور: "الظلمات، قيل: على حقيقتها. فبتعيين تقدير مضاف. أي من إضرار ظلمات البرّ والبحر. فظلمات البرّ: ظلمة الليل التي يلتبس فيها الطريق للسائر، والتي يخشى فيها العدوّ للسائر وللقاطن، أي ما يحصل في ظلمات البرّ من الآفات. وظلمات البحر يخشى فيها الغرق والضلال والعدوّ. وقيل: أطلقت الظلمات مجازاً على المخاوف الحاصلة في البرّ والبحر، كما يقال: يوم مُظلم إذا حصلت فيه شدائد".^(١)

إن مرور الأيام وانقضاء الليالي له معنى واحد، هو أننا نقترّب من النهاية، فالأجل يقترب، والفرصة تقل يوماً بعد يوم، وأعمارنا في نقصان يوماً بعد يوم، وكل يوم تحدث أحداث، وتستجد أمور، وتتغير أشياء لا يعلم بها إلا الحكيم الخبير الذي قال: ﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (النور ٤٤).

ولا زال بعض الناس يرسم لنفسه ثوابت ومنطلقات يملئها عليه اجتهاده، وربما تقليده لفلان من الناس، ثم يسعى بعد ذلك لتحويلها إلى منهج، من خلال البحث عن نصوص شرعية تؤيد ذلك، ولو أدى إلى أن يلوي أعناقها ليأ، ومن خالفه فهو منحرف ضالّ أفكّ أثيم، قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه [بلغني أن رجلاً منكم يحدثون أحاديث ليست في كتاب الله، ولا تؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله فإياكم والأمانى التي تضلّ أهلها...]^(٢) فليس هناك ناج إلا من أعد للقاء الله، ولا يعد لذلك إلا من اعتقد بقدرة الله المطلقة، وأنه لا يملك أحد له ضراً ولا نفعاً، ولأجل ذلك كان لا بد من الحديث عن الناجين في القرآن الكريم، لنرى كيف أن قوى البشر تجتمع لتكيد لأولياء الرحمن، ويُسخرون كل إمكانياتهم لطمس هذا النور، ومع ذلك لا يقدمون ولا يؤخرون، ويبقى النور، ويبقى المؤمنون، ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِغَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الزمر ٦١) وفي هذا الفصل سيتناول الباحث نماذج من الناجين في القرآن الكريم، والله هو المعين.

1- التحرير والتنوير ج ٧ ص ٢٨٠.

2- صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب الأمراء من قريش ح ٦٦٠٦.

المبحث الأول

الأمم الناجية

وفيه ستة مطالب:

- **المطلب الأول :** نجاة نبي الله نوح ومن معه
- **المطلب الثاني :** نجاة نبي الله صالح ومن معه
- **المطلب الثالث:** نجاة نبي الله لوط ومن معه
- **المطلب الرابع:** نجاة نبي الله شعيب ومن معه
- **المطلب الخامس:** نجاة نبي الله موسى ومن معه
- **المطلب السادس:** نجاة النبي محمد ﷺ والمؤمنين من بطش

المشركين

المبحث الأول: الأمم الناجية

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ (هود: ١١٦) هذه الآية فيها توجيه لهذه الأمة، أن لا تكون كالأمم السابقة، كانوا إذا عدموا من ينهاهم عن الفساد في الأرض، وينهاهم عن تكذيب الرسل، يسرفون في غلوائهم، حتى حلّ عليهم غضب الله، إلا قليلاً منهم. فإن تركت هذه الأمة ما أمرت به كان حالها كحالهم، فلتحذر الأمة أن تكون كما كانوا، فيصيبها ما أصابهم. ^(١) قال النبي ﷺ [ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم]. ^(٢)

وسيعرض الباحث في هذا المبحث لبعض الأمم الغابرة، وما حل بالمكذبين من العذاب، ونجاة الأمم من أتباع الرسل، ليكون لنا ذلك صرخة نذير، أن يصيبنا ما أصابهم، وبشارة بشير بنجاة من اتبع الرسل، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ (يوسف ١١١) .

المطلب الأول: نجاة نبي الله نوح ومن معه

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَلْبَعُثَكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ (الأعراف ٥٩ - ٦٤)

خاطب نوح ﷺ قومه بكلمة التوحيد فقال: {يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} فهي الكلمة التي لا تتبدل، وهي قاعدة هذه العقيدة التي لا توجد إلا بها، وهي الكفيل بتحرر البشر من العبودية للهوى، والعبودية لأمثالهم من العبيد، وبالاستعلاء على الشهوات كلها، وعلى الوعد والوعيد، ولقد قال نوح لقومه هذه القولة الواحدة، وأنذرهم عاقبة التكذيب بها، في إشفاق الأخ الناصح لإخوانه {إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} وهنا نرى كيف كان استقبال المنحرفين الضالين من قوم نوح لهذه الدعوة الخالصة الواضحة المستقيمة، لقد اتهموه بالسفه،

¹ انظر التحرير والتنوير ج ١٢ ص ١٨٣.

² صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب: توقيره وترك سؤاله عما لا ضرورة إليه ح ١٣٣٧.

والضلال، قال تعالى: { قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }^(١)، وهذا هو ديدن المجرمين في كل زمان ، توجيه التهم والاستهزاء، ولا يجد المؤمن إلا أن يدافع عن نفسه كما حدث مع نبي الله نوح عليه السلام قال تعالى على لسانه: { قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ } * أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } وكذلك اتهموه بالجنون، قال تعالى: { كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ } (القمر ٩).

ونلاحظ هنا أنهم عجبوا أن يختار الله رسولا من البشر من بينهم، يحمله رسالة إلى قومه، بل بينوا سبب عدم استجابتهم له بأنهم يحتقرون نوح عليه السلام ومن معه؛ لأنهم من سفلة القوم، قال تعالى على لسانهم: { وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِأَدْبَارِهِمُ الرِّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْهَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَنظُرُكُمْ كَاذِبِينَ } (هود ٢٧) أي سفلتنا من أهل المهن المحققة كالحياكة والحجامة والجزارة ونحوها، من الذين لا عمق لهم في التفكير، ولا سلامة في التصور، فهم لا يرون لهم عليهم أي فضل يستحقون به أن يكونوا أتباعاً لهم، فهم في نظرهم يكذبون.^(٢) وهنا يكون الاستغراب { أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } (الأعراف ٦٣) قال سيد قطب: "وما من عجب في هذا الاختيار، فهذا الكائن الإنساني شأنه كله عجيب، إنه يتعامل مع العوالم كلها، ويتصل بربه بما ركب في طبيعته من نفخة الله فيه من روحه"^(٣) وتزداد محنة المؤمنين مع نبيهم، ويتهم نوح بكثرة الجدل، والافتراء على الله، قال تعالى: { قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ } (هود ٣٢)

ومع هذا التعنت والكبر يضيق نوح بقومه، وقد لبث فيهم عمرا دون أن يستجيبوا له، { فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا } (العنكبوت ١٤) ولما رآهم لا ينفع فيهم الوعظ، نادى ربه وقال: { رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا } (نوح ٢٦)^(٤) قالها بعد أن يبس من استجابتهم وبدأت حياته وحياة المؤمنين معه مهددة بالقتل، قال تعالى: { قَالُوا لئن لم تنته يا نُوحُ لتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ } (الشعراء ١١٦).

ويستجيب الله نداء نوح ويأمره بصناعة السفينة، قال تعالى: { وَاصْنَعِ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ } (هود ٣٧) ونداء نوح ورد في قوله تعالى: { وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ

1- انظر في ظلال القرآن ج ٣ ص ١٣٠٨ .

2- انظر أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج ٢ ص ٥٣٧.

3- في ظلال القرآن ج ٣ ص ١٣٠٨ .

4- انظر تفسير السعدي ج ١ ص ٥٢٧.

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الأنبياء ٧٦)، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلْنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَجَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ (الصافات ٧٥-٧٦) وقد أوضح الله هذا النداء بقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرْ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ (القمر ٩-١١)^(١)، قال سيد قطب: "كان الإنذار من نوح لتحريك القلوب بمشاعر التقوى، ليظفروا في النهاية برحمة الله، ولا شيء وراء ذلك لنوح، ولا مصلحة، ولا هدف إلا هذا الهدف السامي النبيل، ولقد رأينا من عماهم عن الهدى والنصح المخلص والندير، فبعماهم هذا كذبوا، وبعماهم لا قوا هذا المصير!"^(٢).

وهكذا نرى كيف أن الله ينجي المؤمنين الذين يتبعون نهج الأنبياء، حتى ولو لم يملكو القوة لمقارعة عدوهم، فبعد أن أنزلت السماء ماءها، وأخرجت الأرض ماءها، وعلت المياه أعلى الجبال، ولم ينج من المخلوقات إلا من ركب في السفينة، يأتي الأمر الإلهي لتكتمل النجاة، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (هود ٤٤) إنها نعمة الله على المؤمنين يوم يستجيب لهم الدعاء ويفرج عنهم، قال تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الأنبياء ٧٦) قال الشنقيطي: "والمراد بالكرب العظيم في الآية: الغرق بالطوفان الذي تتلاطم أمواجه كأنها الجبال العظام، كما قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ (هود ٤٢)، وقال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ (العنكبوت ١٥)، إلى غير ذلك من الآيات"^(٣). وبفضل الاستجابة لله واتباع منهجه والصبر على الإيذاء كانت النهاية، نجاة للموحدين، وهلاكاً للجاحدين.

المطلب الثاني: نجاة نبي الله صالح ومن معه

قال تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ * وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ * كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ تَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِتَمُودَ﴾ (هود ٦٦-٦٨).

1- انظر أضواء البيان ج ٤ ص ٦٤٩.

2- في ظلال القرآن ج ٣ ص ١٣٠٨.

3- أضواء البيان ج ٤ ص ٦٤٩.

وهم عاد الثانية، المعروفون، الذين يسكنون الحجر^(١)، ووادي القرى، أرسل الله إليهم صالحا ليدعوهم إلى عبادة الله وحده، فيوحده، ويخلصوا له الدين، وذكّرهم بنعمه ورغبهم في الإخلاص لله وحده، فردوا عليه دعوته، وقابلوه أشنع المقابلة، وقالوا: قد كنا نرجوك ونؤمل فيك العقل والنفع، وهذا شهادة منهم، لنبيهم صالح، أنه ما زال معروفا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم^(٢) ورغم ذلك قالوا: ﴿إِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مَرِيبٌ﴾ (هود ٦٢) شك يجعلنا نرتاب فيك وفيما تقول وهم بهذا يعجبون مما لا عجب فيه؛ بل يستنكرون ما هو واجب وحق، ويدهشون لأن يدعوهم أخوهم صالح إلى عبادة الله وحده.^(٣) ومع أن الإنسان يعيش في نعيم الله ورعايته، وأن كل حركة فيه وسكنة، وصحة ومرض، هي بإرادة الله، إلا أنه ينسى كل ذلك، ولا يفكر إلا في رغباته وشهوته، وما يوافق هواه، حتى تصبح العقيدة وعبادة الله شيئا مستغربا، وتصبح العادة هي المستحكمة، حتى ولو كانت على باطل، فلقد كان قوم صالح مُنعمين، قال تعالى فيهم: ﴿اتَّركُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ* فِي جَنَّاتٍ وَعَيْونِ* وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هُضِيمٌ* وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ (الشعراء ١٤٦-١٤٩) وبدلا من شكران هذه النعم أنكروا ما جاءهم به نبيهم فقالوا لنبيهم: ﴿أَتْنَهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ (هود ٦٢) وهم بذلك يزعمون أن هذا من أعظم القدح في صالح ﷺ، كيف يطعن في عقولهم، وعقول آبائهم الضالين، وكيف ينهاتهم عن عبادة من لا ينفع ولا يضر، ويأمرهم بإخلاص الدين لله ربهم، الذي لا يدفع عنهم السيئات إلا هو.^(٤)

واستمر سيدنا صالح ﷺ يدعو قومه إلى الإيمان، واستمر قومه على عنادهم وتكبرهم، ولما خافوا أن يكثر أتباعه، وأن ينصرفوا عنهم إليه، أرادوا أن يظهروا للناس أنه غير صادق في دعواه، فطلبوا منه معجزة تكون دليلاً على صدقه، وهي أن يخرج لهم ناقة مع ولدها، وذكروا لها أوصافاً، فاقترحوا عليه إخراج ناقة عشراء، من صخرة صماء، فأخرجها الله لهم منها بقدرته ومشيتته^(٥) قال تعالى على لسانه ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ (الشعراء ١٥٥)، وحذرهم صالح من أن يتعرضوا لها بالقتل، أو الأذى، وأخبرهم أنهم إن هم تعرضوا لها بالسوء، فسوف يأخذهم عذاب وهلاك عظيم، قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ* مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ* قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ

1- الحجر: اسم ديار ثمود وبها كانت منازلهم، وهي قرية من وادي القرى على يوم بين جبال تسمى الثالث، وهي جبال إذا رآها الرائي من بعد ظنها متصلة، فإذا توسطها رأى كل قطعة منها منفردة بنفسها، يطوف بكل قطعة منها الطائف وحواليها رمل لا يكاد يرتقى ذروتها، انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ج ٢ ص ٢٢١.

2- انظر تفسير السعدي ج ١ ص ٣٨٤.

3- انظر في ظلال القرآن ج ٤ ص ١٩٠٧.

4- انظر تفسير السعدي ج ١ ص ٣٨٤.

5- انظر أضواء البيان ج ٢ ص ١٩٠.

شَرِبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ* وَلَا تَمَسُّوْهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ (الشعراء ١٥٣-١٥٦). وقال تعالى: ﴿وَالِي تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوْهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوْهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الأعراف ٧٣)، قال سيد قطب: "والسياق هنا، لأنه يستهدف الاستعراض السريع للدعوة الواحدة، ولعاقبة الإيمان بها، وعاقبة التكذيب، لا يذكر تفصيل طلبهم للخارقة، بل يعلن وجودها عقب الدعوة، وكذلك لا يذكر تفصيلاً عن الناقة أكثر من أنها بيّنة من ربهم، وأنها ناقة الله وفيها آية منه، ومن هذا الإسناد، -{ناقة الله}- نستلهم أنها كانت ناقة غير عادية، أو أنها أخرجت لهم إخراجاً غير عادي، مما يجعلها بيّنة من ربهم، ومما يجعل نسبتها إلى الله ذات معنى، ويجعلها آية على صدق نبوته"^(١)

ومكثت الناقة زماناً تأكل من الأرض، وترد الماء للشرب يوماً وتمتّع منه يوماً، مما استمال كثيراً من قوم صالح - عليه السلام - إذ استبانوا بها على صدق رسالته وأيقنوا بذلك، مما أفرع ذلك المستكبرين من قومه وخافوا على سلطانهم أن يزول: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ* قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (الأعراف ٧٥-٧٦)

وهكذا نرى الملاء المستكبرين من قوم صالح، يتجهون إلى من آمن من الضعفاء بالفتنة والتهديد، وواضح أنه سؤال للتهديد والتخويف، ولاستكار إيمانهم به، وللسخيرية من تصديقهم له في دعواه الرسالة من ربه، ولكن الضعفاء لم يعودوا ضعافاً! فلقد سكب الله الإيمان في قلوبهم، والثقة في نفوسهم، فماذا يجدي التهديد والتخويف؟ وماذا تجدي السخيرية والاستكار من الملاء المستكبرين؟ قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ وعلى الرغم من البيئة التي جاءهم بها صالح، والتي لا تدع ريبة لمستريب، فليست البيئة هي التي تنقص الملاء للتصديق، بل إنه السلطان المهدد بالخضوع للرب الواحد، إنه الشيطان الذي يقود الضالين من هذا الخطام! وقوم صالح أتبعوا القول بالعمل، فاعتدوا على ناقة الله؛ التي جاءتهم آية من عنده، على صدق نبيه في دعواه؛ والتي حذرهم نبيه أن يمسوها بسوء فيأخذهم عذاب أليم، ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الأعراف ٧٧)^(٢) عقرها الناقة، فقطعوا أرجلها، ثم نحرها، وهو العقر، وعتوا بذلك، وتكبروا متمردين عن أمر الله تعالى، حيث أمرهم أن يتركوها تأكل في أرض الله، ولا يمسوها بسوء، فإذا بهم يعقرونها تحدياً وعناداً،

1- في ظلال القرآن ج ٣ ص ١٣١٣ بتصرف يسر

2- انظر في ظلال القرآن ج ٣ ص ١٣١٤

{وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا} من العذاب، فقد مسسنا الناقة بسوء ونحرناها، فأنتنا بالعذاب إن كنت كما تزعم من المرسلين^(١) وهنا جاء التهديد من نبي الله صالح، قال تعالى ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرُ مَكْدُوبٍ﴾ (هود: ٦٥)

ولم يكتف قوم صالح عليه السلام بعقر الناقة، بل أصبحت وجهتهم إلى قتل المؤمنين، وعلى رأسهم نبي الله صالح، قال تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةٌ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ * قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (النمل: ٤٨-٤٩) كل واحد أقسم للآخر، أن يأتيه ليلا هو وأهله فيقتلونهم، وقالوا إذا قام وليه وادعى علينا أنا قتلناه ننكر ذلك وننفيه ونحلف أنا صادقون، فتواطؤوا على ذلك^(٢) قال تعالى: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٥٠ النمل) بيتوا قتل صالح والمؤمنين، ليحولوا في نظرهم دون وقوع العذاب الذي واعدهم به صالح، فاتوا صالحا وهو يصلي في مسجد له تحت الجبل، فسقطت عليهم صخرة من الجبل فأهلتهم أجمعين، وهكذا مكر الله بهم وهم لا يشعرون به، ثم أهلك الله القوم كلهم^(٣) قال تعالى ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (النمل: ٥١-٥٣) لقد دبروا أمرهم على قتل صالح وأهله على وجه الخفية حتى من قومهم، خوفا من أوليائه، والله سبحانه مكر بهم ونصر نبيه صالحا - عليه السلام - دون أن يشعروا، قال تعالى: { فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ، أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ } فهل حصل مقصودهم، وأدركوا بمكرهم ما كانوا يرجون، لقد أهلكهم الله واستأصل شأفتهم فجاءتهم صيحة عذاب فأهلكوا عن آخرهم { فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا } قد أوحشت من ساكنيها، وعطلت من نازليها وهذا عاقبة ظلمهم وشركهم بالله وبغيهم في الأرض { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } الحقائق ويتدبرون وقائع الله في أوليائه وأعدائه فيعتبرون بذلك ويعلمون أن عاقبة الظلم الدمار والهلاك وأن عاقبة الإيمان والعدل النجاة والفوز، ولهذا قال { وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ } أي أنجينا المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وكانوا يتقون الشرك بالله والمعاصي، ويعملون بطاعته وطاعة رسله^(٤) عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر، قام فخطب الناس فقال: إيا أيها الناس لا تسألوا نبيكم عن الآيات، فإن قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث إليهم آية، فبعث الله إليهم الناقة، فكانت ترد من هذا

1- انظر أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج ٢ ص ١٩٧ .

2- انظر تفسير السعدي ج ١ ص ٦٠٦ .

3- انظر أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج ٤ ص ٢٨ .

4- انظر تفسير السعدي ج ١ ص ٦٠٦ .

الفج، فتشرب ماءهم يوم وردها، ويحتلبون من لبنها مثل الذي كانوا يأخذون من مائها يوم غيها، وتصدر من هذا الفج، فعتوا عن أمر ربهم فعمروها، فوعدهم الله العذاب بعد ثلاثة أيام، وكان وعدا من الله غير مكذوب، ثم جاءتهم الصيحة، فأهلك الله من كان منهم تحت مشارق الأرض ومغربها؛ إلا رجلا كان في حرم الله، فمنعه حرم الله من عذاب الله، فقيل: يا رسول الله من هو؟ قال: أبو رغال، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه].^(١)

هذا هو المصير المحتوم، الذي ينتظر كل مخالف لنهج الله في ملكه. لم يبق منهم أحد إلا طاله العذاب، حتى من هو خارج ديارهم وهو منهم، لم يسلم من الهلاك. أما الموحدون، الصابرون، المستضعفون، فهم أقوى بالله، وأعزاء به، نجاهم الله مع نبيهم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجِيبًا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ * وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ * كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودِ﴾ (هود ٦٦-٦٨)

المطلب الثالث: نجاة نبي الله لوط ومن معه

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ* إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ* إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ* أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ* وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ* قَالُوا لَنْ نَمُوتَ بِمَا نَعْمَلُ وَنَحْنُ نَعْمَلُ الْغَابِرِينَ* قَالِ إِنِّي لَعَمْرِكُمْ مِنَ الْغَابِرِينَ* رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ* فَنجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ* إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ* ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ* وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ* إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء ١٦٠-١٧٤)

قال الطاهر بن عاشور: "جعل لوط أخاً لقومه ولم يكن من نسبهم، وإنما كان نزياً فيهم، إذ كان قوم لوط من أهل فلسطين، وهو ابن أخي إبراهيم -عليه السلام- ولكنه لما استوطن بلادهم وعاش فيهم وحالفهم وظاهرهم جعل أخاً لهم"^(٢)

وقوم لوط لم يكتفوا بشركهم إنما كانوا يختارون نكاح الذكران، المستنذر الخبيث، ويرغبون عما خلق لهم من أزواجهم؛ لإسرافهم وعدوانهم، فلم يزل ينهاهم حتى قالوا له { لَنْ نَمُوتَ بِمَا نَعْمَلُ وَنَحْنُ نَعْمَلُ الْغَابِرِينَ } من البلد، فلما رأى استمرارهم عليه أخبرهم بأنه لعملهم من

1- مسند الإمام أحمد، باقي مسند المكثرين، مسند جابر بن عبد الله ح ١٣٧٤٦ صححه الحاكم والذهبي، انظر

المستدرک للحاکم، کتاب التفسیر، تفسیر سورة الأعراف ح ٣٢٤٨، ج ٢ ص ٣٥١.

2- التحرير والتوير ج ١٩ ص ١٧٨.

المبغضين له الناهين.^(١) هدد القوم لوطاً عندما دعاهم إلى اتباع الطريق الصحيح، لقد أبغضوه؛ لأنه يدعوهم إلى الحق والطهر، وعزموا على طرده هو والذين آمنوا معه، قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ * وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ (الأعراف ٨٠-٨٢).

عرض لوط عليه السلام على قومه الحقيقة واضحة، وأنذرهم بشكل واضح وصريح؛ إلا أنهم لم يكثرثوا لأي تهديد أو وعيد، واستمروا في نكرانهم وتكذيبهم بالوعيد الذي جاء به، قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ * أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّتُمْ بَعْدَ اللَّهِ أَنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (العنكبوت ٢٨-٢٩).

وهكذا استجاب الله لرسوله، فأرسل ملكين في صورة رجلين، مر هذان الملكان على إبراهيم قبل أن يصلوا لوطاً، وأعطوه البشري بأن امرأته ستلد له غلاماً، وشرح الملكان لإبراهيم سبب إرسالهم إلى قوم لوط قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ * إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (الحجر ٥٧-٦٠) سأل إبراهيم، ما شأنكم أيها المرسلون من قبل الله تعالى، وهم الملائكة { قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ } وهم قوم لوط -لعنهم الله- وأمرنا بخسفهم، واستثنوا منهم آل بيت نبي الله لوط - عليه السلام - والمؤمنين معه، {إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ} فقد قضى الله وحكم بإهلاكها في جملة من يهلك لأنها كافرة مثلهم.

فلما دخلت الملائكة على لوط - عليه السلام - قال لهم: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ﴾ (الحجر ٦٢) لا أعرفكم، فأجابوه قائلين: نحن رسل ربك، جئناك بما كان قومك فيه يمترون، وهو عذابهم العاجل جزاء كفرهم وإجرامهم، وإنا لصادقون فيما أخبرناك به، وهو عذاب القوم المجرمين.^(٢) وفي هذه الأثناء عرف القوم أن لوطاً يستضيف ضيوفاً، فلم يترددوا في إيذائهم بممارساتهم البشعة، فطوقوا منزل لوط ينتظرون خروجهم، ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ (الحجر ٦٨-٦٩)

قيل: لما أرسلت الرسل إلى قوم لوط ليهلكهم، قيل لهم: لا تهلكوا قوم لوط حتى يشهد عليهم لوط ثلاث مرات، فأتوا لوطاً وهو في أرض له يعمل فيها، فحسبهم ضيفانا، فأقبل حتى

1- انظر تفسير السعدي ج ١ ص ٥٩٦.

2- انظر أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج ٣ ص ٨٧.

أمسى إلى أهله، فمشوا معه، فالتفت إليهم فقال: ما ترون ما يصنع هؤلاء؟ قالوا: وما يصنعون؟ قال: ما من الناس أحد شر منهم، فمشوا معه حتى قال ذلك ثلاث مرات، فانتهى بهم إلى أهله، فانطلقت عجوز السوء امرأته، فأنت قومه فقالت: لقد تضيف لوط الليلة قوما ما رأيت قط أحسن ولا أطيب ريحا منهم، فأقبلوا إليه يهرعون، فدافعوه بالباب، حتى كادوا يغلبون عليه، فقام ملك بجناحه فأغلقه دونهم، وعلا، وعلوا معه، فجعل يقول: ﴿يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ (هود: ٧٨) إلى قوله ﴿أَوْ آوِي إِلَيَّ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (هود: ٨٠) فقالوا: إنا رسل ربك لن يصلوا إليك، فذلك حين علم أنهم رسل الله، وضرب ملكً بجناحه، فما ضرب تلك الليلة أحد بجناحه إلا عمي، فباتوا بشر ليلة عمياء، ينتظرون العذاب، فاستأذن جبريل عليه السلام في هلاكهم فأذن له، فاحتمل الأرض التي كانوا عليها، وأهوى بها، حتى سمع أهل السماء الدنيا نباح كلابهم، وأوقد تحتهم نارا، ثم قلبها بهم، فسمعت امرأة لوط الوجبة وهي معهم، فالتفت فأصابها العذاب وتبعتها الحجارة^(١) وبعد أن ظن لوط أنه أصبح وضيوفه، مُعَرَّضِينَ إِلَى تِلْكَ الْمَمَارَسَةِ الشَّيْطَانِيَّةِ حَتَّى قَالَ لَهُمْ: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَيَّ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (هود: ٨٠) يذكره ضيوفه بأنهم رسل الله إليه، فقالوا: ﴿يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (هود: ٨١) وعندما وصل شذوذ القوم الذرورة، أنقذ الله لوطاً بمساعدة الملكين، وفي الصباح أهلك القوم بالكارثة المدمرة التي أنذرهم بها لوط من قبل: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرْ * وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ (القمر ٣٧-٣٨)

وتصف لنا الآيات دمار القوم: قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ * فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ (الحجر: ٧٣-٧٦) وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ مُّنْضُودٍ * مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ﴾ (هود: ٨٢-٨٣) وعندما دُمِّرَ القوم لم ينج منهم إلا لوط ومن آمن معه، وهؤلاء جميعاً لم يكونوا يتعدون عدد أفراد الأسرة الواحدة، حتى امرأة لوط لم تكن من المصدقين فهلكت مع الهالكين قال تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأعراف: ٨٣-٨٤). قال السعدي "فاستجاب الله له، قال تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ (الشعراء: ١٧٠-١٧١) أي الباقيين في العذاب وهي امرأته وقال تعالى: ﴿ثُمَّ

1- انظر الدر المأثور ج ٨ ص ١١٤.

دَمَرْنَا الْآخَرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ﴿الشعراء ١٧٢-١٧٣﴾ أي حجارة من سجيل ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ (الشعراء ١٧٣) أهلكهم الله عن آخرهم^(١)

المطلب الرابع : نجاة نبي الله شعيب ومن معه

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ * كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعْدَتْ ثُمُودُ ﴿هود ٩٤-٩٥﴾ وأهل مدين^٢ قوم كفار ضالون يعبدون الأيكة، قال تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الشعراء ١٧٦-١٧٧) وأكثر أهل العلم أن أصحاب الأيكة هم مدين^(٣) والأيكة الشجر الملتف، وهي قريبة من مدينة مدين، وشعيب أرسل لهما معاً -لأصحاب الأيكة وقوم مدين- ففي سورة هود قال تعالى: ﴿وَالِي مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ (هود ٨) لأنه منهم، ومن مدينتهم، فليل له أخوهم، وأما أصحاب الأيكة، فهم جماعة من بادية مدين، كانت لهم أيكة من الشجر يعبدونها، كعبدة الأشجار، والأحجار، في كل زمان ومكان، فبعث الله تعالى إليهم شعيباً، فدعاهم إلى عبادة الله وحده.^(٤)

وكان يقال لشعيب: خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه، وكان قومه أهل كفر بالله وبخس للمكيال والميزان، ولم يذكر له معجزة في القرآن، ولم تكن قضية نبي الله شعيب قضية توحيد وألوهية فقط، بل إنها كذلك كانت تعديل وتقويم لأسلوب حياة الناس، فبدأ شعيب في توضيح أمور سوء تعاملهم، وكما وصف ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَأَكُمُ بَخِيرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ (هود ٨٤) البخس النقص، وهو يكون في السلعة بالتعيب فيها، والتزبيد في الكيل والنقصان منه،^(٥) وتمثلت دعوة شعيب لقومه؛ بأن دعا قومه إلى عبادة الله، والوفاء بالكيل والميزان، وأن لا يخونوا الناس في أموالهم، وأن يتركوا الفساد في الأرض، وأن لا يصدوا عن سبيل الله، وأن يتذكروا نعمة الله عليهم، فكان موقفهم أن هددوه بالنفي من أرضهم، هو ومن معه.^(٦) قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾

1- تفسير السعدي ج ١ ص ٥٩٦.

2 مدين اسم لقبيلة نبي الله شعيب وتقع بين وادي القرى والشام وقيل بين المدينة والشام بجوار تبوك. انظر معجم البلدان ج ٥ ص ٧٧

3- انظر أضواء البيان ج ٦ ص ٣٧٨.

4- انظر أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج ٣ ص ٦٧٩.

5- انظر تفسير القرطبي ج ٨ ص ٤٧٩.

6- انظر الأساس في التفسير ج ٤ ص ١٩٢٧.

(الأعراف ٨٨) قال السعدي: "المأثم الأشراف والكبراء منهم، الذين اتبعوا أهواءهم، ولهوا بلذاتهم، فلما أتاهم الحق ورأوه غير موافق لأهوائهم الرديئة، ردوه، واستكبروا عنه، فقالوا لنبيهم شعيب ومن معه من المؤمنين المستضعفين، وقد استعملوا قوتهم الوحشية، في مقابلة الحق، ولم يراعوا ديننا، ولا ذمة، إما أن ترجع أنت ومن معك إلى ديننا، أو لنخرجكم من قريتنا"^(١)

ولم يتعظ أهل مدين ووصلوا إلى غاية من الضلال، فأخذوا يمنعون قومهم من الإيمان، ويتوعدون من اتبعه بأنواع من التهديد والوعيد، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكْتَرْتُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف ٨٦) ولكن الطاغوت هو، هو، في كل زمان ومكان، قال سيد قطب: "إن الطاغوت يفرض المعركة فرضاً على الجماعة المسلمة، فإن وجود الحق في ذاته يزجج الباطل، وهذا الوجود ذاته هو الذي يفرض عليه المعركة مع الباطل، إنها سنة الله لا بد أن تجري".^(٢) ولكنهم أبوا واستكبروا واستمروا في عنادهم ولم يعطوا الناس حقهم، فقد كان أهل مدين يعتبرون بخس الناس أشياءهم، نوعاً من أنواع المهارة في البيع والشراء، فقال لهم نبيهم ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (هود ٨٥) وتوعدهم بالرجم والطرده من رحمة الله ﴿... وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مَّحِيطٍ﴾ (هود ٨٤) وذكرهم بما قد يكون عندهم من أخلاق، أو قيم ﴿بَقِيَّةَ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (هود ٨٦) فأخذ قومه يحاجونه بأسلوب جدلي، وتهكمي مريض، ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (هود ٨٧) كيف يتركون عبادة آبائهم للأصنام والأشجار، وصلاة شعيب تأمرهم أن يعبدوا الله وحده، أي جرأة من شعيب هذه؟ وزاد ذلك قومه إعراضاً وبعداً عنه قائلين: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا...﴾ (هود ٩١) لقد كان ضعيفاً بمقياسهم، ضعيفاً لأن الفقراء والمساكين هم فقط من اتبعوه، أما عليّة القوم، فقد استكبروا وأصروا على طغيانهم، إنه المقياس البشري الخاطيء، أن ينسوا وينكروا أن القوة بيد الله، وأن الله مع أنبياءه، واستمروا بكفرهم وتهديهم بالقتل قائلين ﴿وَلَوْ لَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيرٍ﴾ (هود ٩١) وهنا يأتي دور الداعية الرقيق؛ الذي يبحث عن تحقيق الهدف فيتلطف، قال شعيب متجاوزاً لإساعتهم إليه وسألهم سؤالاً كان هدفه إيقاظ عقولهم ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ (هود ٩٢)

1- تفسير السعدي ج ١ ص ٢٩٦.

2- في ظلال القرآن ج ٣ ص ٣١٨ بتصرف يسير.

فاجتمع رؤساء قومه، وقرروا الدخول بمرحلة جديدة من التهديد، فهددوه أولاً بالقتل، قال الله على لسانهم ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ (هود ٩١) ثم تحولوا بتهديدهم بطرده من قريبتهم، فخيروه بين التشريد، أو العودة إلى ديارنتهم وملتهم التي يعبدون ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ (الأعراف ٨٨) وهنا كان الجواب من المؤمنين ، ممن أصبحت عقيدتهم لا تنتهيها الجبال: ﴿قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ (الأعراف ٨٩) قال المؤمنون: أتجبروننا على ما نكره من ملتكم التي أنجانا الله منها، إن الذي يعود إلى هذه الملة، بعد إذ قسم الله له الخير، وكشف له الطريق، وهداه إلى الحق وأنفذه من العبودية للعبيد؛ إنما يؤدي شهادة كاذبة على الله ودينه، شهادة مفادها أنه لم يجد في ملة الله خير، فتركها وعاد في ملة الطاغوت ، وهي شهادة أخطر من شهادة من لم يعرف الهدى، ولم يرفع راية الإسلام، فهي شهادة اعتراف براية الطغيان.^(١) وانتقل الصراع إلى تحدٍ من لون جديد. أخذوا يطالبونه بأن يسقط عليهم كسفا من السماء، إن كان من الصادقين ﴿قَالُوا إِمَّا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ* وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطَّلُكَ لَمَنْ الْكَاذِبِينَ* فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ* قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الشعراء ١٨٥-١٨٦)

وتحتمت المواجهه، وأصبح لا بد من العذاب، وهنا، حذرهم شعيب قائلاً: ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ (٩٣ هود) قال الشعراوي: "وهكذا أوضح لهم أنني لن أفف مكتوف الأيدي ، لأنني سأعمل على مكانتي ، وسوف ترون أن المستقبل سوف يبين من منّا على الحق، ومن منّا على الضلال، ولمن سيكون النصر والغلبة، ومن الذي يأتيه الخزي؛ أي: أن يشعر باحتقار نفسه وهوانها؛ ويعاني من الفضيحة أمام الخلق؛ ومن منّا الكاذب ، ومن على الحق، وكان لا بد أن تأتي الآية التالية: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ (هود ٩٤)^(٢) فالنجاهة دائمة لأهل الحق، ولا بد من التمايز لينزل غضب الله ، وجاء عذابهم في القرآن بعدة أوصاف ففي سورة هود قال تعالى: ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (هود ٩٤) ، وفي سورة الأعراف: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (الأعراف ٩١) وفي الشعراء

1- انظر الأساس في التفسير ج ٤ ص ١٩٥١.

2- تفسير الشعراوي ج ١١ ص ٦٦٢٩.

قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء ١٨٩-١٩٠)

فإن قيل: الهلاك الذي أصاب قوم شعيب، ذكره تعالى في الأعراف أنه رجفة، وفي هود أنه صيحة، وفي الشعراء أنه عذاب يوم الظلة، فالجواب: أنه قد اجتمع عليهم ذلك كله، أصابهم عذاب يوم الظلة وهي سحابة أظلتهم فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم، ثم جاءتهم صيحة من السماء، ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم، فزهقت الأرواح، وفاضت النفوس، وخمدت الأجسام^(١) وخرج شعيب والمؤمنون، وجاء أمر الله كما وصف: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجِيًّا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ * كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ﴾ (هود ٩٤-٩٥). حق للإيمان أن ينتصر، وليعتبر المؤمنون في كل زمان، وليتقوا بنجاة مؤكدة، وعد بها رب العباد، والموعود الجنة بإذن الله.

المطلب الخامس: نجاة نبي الله موسى ومن معه

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الدخان ٣٠) هذا بيان بأن الله خلص بني إسرائيل من العذاب المشتمل على الإهانة، بإهلاك عدوهم، ومما كانوا فيه من الاستعباد، حينما كانوا مؤمنين غير مفسدين في الأرض، ونجاهم الله من فرعون الطاغية، المسرف في ارتكاب المعاصي، المجاوز كل الحدود^(٢) وقد كانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانهم. وقد سُلِّطَ عليهم فرعون يستعملهم في أخس الأعمال، ويكُدُّهم ليلاً ونهاراً في أشغاله وأشغال رعيته، ويقتل مع هذا أبناءهم، ويستحيي نساءهم، إهانة لهم واحتقاراً، وخوفاً من أن يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو وأهل مملكته منه، ويكون سبباً في هلاكه وذهاب دولته على يديه^(٣)

وقد بين الله في كتابه نعمةً على بني إسرائيل، وأنه أنعم عليهم بأن رفع عنهم العذاب، ومنع عنهم العذاب، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (البقرة ٤٩-٥٠) وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ (الأعراف ١٤١)

1- انظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٠٢، وانظر أضواء البيان ج ٢ ص ٣٢٧.

2- انظر التفسير الوسيط لوهبة الزحيلي ج ٣ ص ٢٣٨٤.

3- انظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٩٠.

قال الشعراوي: "كلمة نجى وكلمة أنجى بينهما فرق كبير كلمة نجى تكون وقت نزول العذاب . وكلمة أنجى يمنع عنهم العذاب . الأولى للتخلص من العذاب والثانية يبعد عنهم عذاب فرعون نهائيا . ففضل الله عليهم كان على مرحلتين . مرحلة أنه خلصهم من عذاب واقع عليهم . والمرحلة الثانية أنه أبعدهم عن آل فرعون فمنع عنهم العذاب"^(١)

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ قال ابن كثير: "أي خلصتكم منهم وأنقذتكم من أيديهم بصحبة موسى -عليه السلام-، وقد كانوا يسومونكم، أي: يوردونكم ويذيقونكم ويولونكم سوء العذاب. وذلك أن فرعون -لعنه الله- كان قد رأى رؤيا هالته، رأى نارا خرجت من بيت المقدس فدخلت دور القبط ببلاد مصر، إلا بيوت بني إسرائيل، مضمونها أن زوال ملكه يكون على يدي رجل من بني إسرائيل"^٢ وقد تحققت رؤيا فرعون، فكان أن ولد موسى، وكفله فرعون، وأصبح رجلا قويا، وبدأت محنته مع فرعون قبل النبوة، حيث كانت النجاة الأولى له من القتل، وبعد النبوة نجا وقومه من بطش فرعون.

أولا: نجاة موسى من القتل قبل النبوة

قال تعالى: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ﴾ (طه ٤٠) قال الشنقيطي: "لم يبين هنا جل وعلا في هذه الآية الكريمة سبب قتله لهذه النفس، ولا ممن هي، ولم يبين السبب الذي نجاه به من ذلك الغم، ولا للفتون الذي فتنه، ولكنه بين في سورة القصص، خبر القتل المذكور في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (القصص ١٥-١٦)، وأشار إلى القتل المذكور في قوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (القصص ٣٣)، وقد أشار تعالى في سورة القصص أيضا إلى غم موسى، وإلى السبب الذي أنجاه الله به منه في قوله: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص ٢٠-٢١)^(٣)

1- تفسير الشعراوي ج ١ ص ٣٣٠.

2- تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٢٠.

3- أضواء البيان ج ٤ ص ٤٤٤ بتصرف.

والذي يظهر أن موسى كان مخالفا لمذهب فرعون قبل النبوة ، وذلك يدل عليه قوله تعالى: {وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا} . قال أبو اسحق الحويني: " قوله تعالى: {وَدَخَلَ} إشارة إلى أنه خرج منها، فيما ترى كيف خرج؟ ولماذا خرج؟ وهو ربيب فرعون الذي رباه في قصره، فكان المناسب أن يكون من أهل المدينة؛ لكن قوله عز وجل: {وَدَخَلَ} إشارة إلى أنه فارقها، ويدل على هذا أيضاً قوله تعالى: { فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ } إذا: صار موسى معروف المذهب مخالفاً لفرعون، حتى إنه صار له شيعة وأتباع، ولو لم يعرف الرجل، أن موسى لم يبق ربيبا عند فرعون، ما استغاث به، فهذا يدلنا على أن موسى ﷺ فارق بيئة الظلم والقصر، وترك كل ذلك وخرج، وأظهر مخالفة فرعون فعلاً، فصار يخاف على نفسه فخرج" (١) ولما دخل المدينة كانت الحادثة {فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ} عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في قوله {فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ} قال: اسرائيلي، { وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ } قال: قبطي، { فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ } الإسرائيلي {عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ } القبطي { فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ }، قال: فمات، قال : فكَبَّرَ ذلك على موسى ﷺ (٢)

ولكن الحادثة تكررت، رغم خوف موسى مما حدث، قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ * فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَصْلُحِينَ﴾ (القصص ١٨- ١٩) نظر موسى إلى الإسرائيلي وأقبل عليه ليخلصه وقال له: إنك لذو فساد في الخلق والدين؛ لأنك أمس قاتلت واليوم تقاتل أيضاً. فظن الإسرائيلي أن موسى يريد قتله فقال: {أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ} أي تضرب وتقتل كما تشاء ولا تخاف عقوبة ذلك بدلا من أن تكون من الذين يصلحون بين المتخاصمين، فلما سمع القبطي ما قال مقاتله الإسرائيلي، نقلها إلى القصر وكان من عماله، فاجتمع رجال القصر برئاسة فرعون يتداولون القضية، وينظرون إلى ظروفها ونتائجها وما يترتب عليها (٣) وهنا لا بد للباحث من توضيح وهو: أن موسى ﷺ لم يقتل عن عمد ليحاول القتل عن عمد مرة أخرى كما يصور البعض، وإنما حاول موسى أول مرة دفع أذى الكافر، عن الإسرائيلي المضطهد بضرب القبطي، بوكزه وليس بقتله، والذي أراه موسى ﷺ في المرة الثانية هو نفس ما أراه في

1- الشاملة الحديثة ، دروس الشيخ أبو إسحاق الحويني ج ١٣٠ ص ٢.

2- انظر الدر المنثور ج ١١ ص ٤٣٧.

3- انظر أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج ٤ ص ٦١.

الأولى وهو: دفع أذى الكافر عن الإسرائيلي المضطهد بضربه والبطش به ، وهذا هو الظاهر من الآيات القرآنية، وليس في الآيات ما يدل على أنه تعمد قتل القبطى في المرتين، ومن ادعى أن موسى عليه السلام كان متعمداً للقتل فى أى منهما فعليه أن يأتي بالدليل.

وعليه أصبح موسى مطلوباً لفرعون وجيشه ، وبسبب سرعة توبته وندمه وحرصه على الإصلاح ، وإقامة العدل ، دون محاباة حتى ولو كان على نفسه تاب الله عليه ، ومما يدل على عدله وصدق توبته ، قوله تعالى: ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (القصص ١٥-١٦) وسخر الله لموسى من ينقل له أخبار فرعون ومكائده، قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص ٢٠-٢١)

أرسل فرعون إلى موسى من يطلبه ، ويأتي به للقتل، فجاء رجل من أبعد المدينة - يقال إنه مؤمن آل فرعون ويقال غيره- يخفي أمره، وأخبر موسى بأن فرعون وملاه يريدون قتله ، ونصحه بالخروج من مصر، قال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ { فخرج يلتفت ويتربص متابعته، وأفلت من القوم فلم يجدوه، وخرج في حال فزعه إلى طريق مدين ، وكان موسى لا يعرف ذلك الطريق، ولم يصحب أحداً، فسار واتقا بالله ومتوكلاً عليه، وقال في هذه المحنة العصبية ﴿ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص ٢١) واحمني من شرهم وسوءهم، فاستجاب الله دعاءه ونجاه من فرعون وبطشه، فسدده إلى الطريق ، وجعله تحت رعايته ، وعنايته وعصمته^(١) ونجى الله موسى لتبدأ مرحلة جديدة في حياته ، فيستقر في مدين فترة ، ويسمع على لسان شعيب، أنه أصبح في مأمن من فرعون قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَوْ تَخَفْنَا لَعَلَّا لِنَبْتَدِرُكَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص ٢٥) ويتزوج ويمضي فترة العقد الذي عقده مع شعيب، ويُعِدُّه الله لمهمة عظيمة، وهي الرسالة، فيرسله إلى فرعون ﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ (النازعات ١٧) ويطلب موسى هارون ليعينه على هذه المهمة ، ويكلفهم الله جميعاً ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَعَلَّاهُ يَنْدَكُرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ (طه ٤٣-٤٤) ويعود موسى إلى مصر ويأخذ هارون وينطلق إلى فرعون، ويبدأ الصراع من جديد مع فرعون وقومه.

1- انظر التفسير الوسيط ج ٣ ص ١٩١٠.

ثانيا : نجاه موسى وقومه بعد النبوة

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ (البقرة: ٥٠)

لم يستجب فرعون لموسى، وظل وقومه على كفرهم، وعتوهم، وعنادهم، ومخالفتهم لنبي الله موسى ﷺ، وأقام الله على أهل مصر الحجج العظيمة القاهرة، وأراهم من خوارق العادات ما بهر الأبصار، وحير العقول، وهم مع ذلك لا ينتهون، ولا يرجعون. وتمادى فرعون في سطوته وجبروته، وكفره، وطغيانه، يتعالى في الأرض: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (يونس: ٨٣) في جميع أموره وشؤونه وأحواله، حتى اعتبر نفسه إلهاً معبوداً، ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (النازعات: ٢٤) ولما دلّه موسى ﷺ في لقائه الأول على التوحيد، وأن له إلهاً هو رب السموات والأرض وما بينهما، هاج فرعون وثار، وأنهى الحوار معه بالتهديد الصريح، وهذا هو سلاح الطغاة عندما يفتقرون للحج والبراهين والمنطق: ﴿قَالَ لئن اتخذت إلهًا غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ (الشعراء: ٢٩) لأجعلنك في عداد المسجونين، وتبقى فيه حتى تموت، وكان سجن فرعون أشد وأسوأ من القتل.^(١) وهنا رد عليه موسى ﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ (الشعراء: ٣٠) فهو يتحدى فرعون، ويحرجه أمام ملاءه، فلو رفض فرعون الإصغاء، سيظهر واضحاً أنه خائف من حجة موسى ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (الشعراء: ٣١) عن ابن عباس قال: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ﴾ (الشعراء: ٣٢) فتحولت حية عظيمة فاغرة فاها، مسرعة إلى فرعون، فلما رآها فرعون أنها قاصدة إليه، اقتحم عن سريره، واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل^(٢) ولكن بطانة السوء التي تمد في الطغيان وتكون حائلاً أمام الهدى لا بد أن يكون لها دور في الطغيان قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (الأعراف: ١٠٩-١١٠) قال ابن كثير "وهم الجمهور والسادة من قوم فرعون موافقين لقول فرعون فيه، بعد ما رجع إليه روعه، واستقر على سرير مملكته بعد ذلك، قال للملأ حوله: { إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ } فوافقوه وقالوا كمثلته، وتشاوروا في أمره، وماذا يصنعون في أمره، وكيف تكون حيلتهم في إطفاء نوره وإخماد كلمته."^(٣) قال تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَا تُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ * وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (الأعراف: ١١١-١١٤)

1- انظر التفسير الوسيط ج ٢ ص ١٨٢٣.

2- انظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص.

3- تفسير ابن كثير ج ٢ ص.

أرسل فرعون في مدنه حاشرين يجمعون خبراء السحر، فجاء السحرة فرعون وعرفوا صعوبة الموقف فطالبوه بالأجر العظيم إن هم غلبوا موسى وأخاه، فوافق فرعون على طلبهم، وزادهم أيضاً أن يجعلهم من خواصه، ورجال قصره، فقال: {وإنكم لمن المقربين} وهنا تقدموا لموسى وكأنهم على ثقة في قوتهم السحرية، وأن الجولة ستكون لهم، تقدموا بإلقاء آلاتهم السحرية، فقالوا: **﴿يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين﴾** (الأعراف ١١٥) أي ألق عصاك أو نلقي نحن عصيتنا، فقال لهم موسى ألقوا، فألقوا فعلاً فسحروا أعين الناس، وجاءوا بسحر عظيم كما أخبر تعالى، الأمر الذي استرهب النظارة، حتى إن موسى عليه السلام أوجس في نفسه خيفة، فنهاه ربه تعالى عن ذلك، وأعلمه أنه الغالب بإذن الله تعالى. ^(١) قال السعدي: "خبروه، موهمين أنهم على جزم من ظهورهم عليه بأي حال كانت، فقال لهم موسى: **﴿ألقوا﴾** (الأعراف ١١٥) فألقوا حبالهم وعصيهم، **﴿فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾** (طه ٦٦) أي يخيل لموسى أنها حيات تسعى عندها **﴿أوجس في نفسه خيفة موسى﴾** (طه ٦٧) كما هو مقتضى الطبيعة البشرية، وإلا فهو جازم بوعد الله ونصره، **﴿قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى﴾** (طه ٦٨) وستقهرهم، وذلوا لك ويخضعوا **﴿وألق ما في يمينك﴾** (طه ٦٩) أي: عصاك **﴿تلق ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾** (طه ٦٩) أي: كيدهم ومكرهم، ليس بمثمر لهم ولا ناجح، فإنه من كيد السحرة، الذين يموهون على الناس، ويلبسون الباطل، ويخيّلون أنهم على الحق، فألقى موسى عصاه، فتلقفت ما صنعوا كله وأكلته، والناس ينظرون لذلك الصنيع، فعلم السحرة علماً يقيناً أن هذا ليس بسحر، وأنه من الله، فبادروا للإيمان، **﴿فألقي السحرة ساجدين * قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون﴾** (طه ٧٠) فوقع الحق وظهر وسطع وبطل السحر والمكر والكيد في ذلك المجمع العظيم فصارت بينة ورحمة للمؤمنين وحجة على المعاندين" ^(٢) وازداد تهديد فرعون ووعيده حيث إنه هزم في الجولة الثانية، رغم أنه لم يؤمن إلا القليل، قال تعالى: **﴿فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم...﴾** (يونس ٨٣) وتمادى فرعون مع أتباعه في كفرهم وضلالهم وعنادهم، وذلك متابعة لملكهم فرعون الذي أمرهم بعبادته، وأراد فرعون قتل موسى، فقال للملا ما أخبر الله به في قوله تعالى: **﴿وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد﴾** (غافر ٢٦) قال فرعون مدعياً أنه يعلم من حقيقة موسى ما ينبغي أن يقتل من أجله، وهو: خوفه أن يبدل دينهم، أو أن يظهر الفساد في أرضهم، وبين لهم أنه لا يخفي عنهم خلاف ما يظهره، وقال لهم: ما أهديكم بهذا إلا طريق السداد والصواب. ^(٣) وهذا هو

1- انظر أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج ٢ ص ٢١٨.

2- تفسير السعدي ج ١ ص ٥٠٨.

3- انظر أضواء البيان ج ٧ ص ٨٦.

معيار أعداء الله دائماً، حيث تصبح الطهارة والإصلاح فساداً في معاييرهم؛ لكن الله يدافع عن الذين آمنوا، فيسخر من يكون مدافعاً عن نبي الله موسى، وناصره له، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ (غافر ٢٨) ويسخر الله في مجلس فرعون من يدافع عن موسى، فقال: كيف تستحلون قتله، تجعلون ذنبه وجرمه، أنه يقول ربي الله، ﴿ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (غافر ٢٨) فبينته اشتهرت اشتهاراً علم به الصغير والكبير، فالإنصاف أن هذا لا يوجب قتله^(١) ويرد الله كيدهم. ورغم كثرة الإبتلاءات التي أصابتهم، وكان لموسى دور في رفعها عنهم، ظلوا مستكبرين مستكفين، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْتَأْذَنُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا * قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ (الإسراء ١٠١-١٠٢) ومن هذه الآيات العصا، واليد يدخلها في الجيب، أو تحت جناحه وإبطه وتخرج بيضاء من غير سوء أو علة، وأخذ آل فرعون بالسنين، وسنين تأتي للجذب الشديد الذي يستمر لفترة من الزمن، فيهدم مقومات الحياة، وأولها الطعام والشراب، فيصيبهم بنقص الثمرات، فكيف كان استقبال فرعون وملئه للآيات التي مع موسى ﷺ؟ قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَى بآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (الأعراف ١٠٣) لقد ظلموا بها لأنهم رفضوا اتباع المنهج الحق، وظلوا على فسادهم، والمفسدون هم الذين يعمدون إلى الصالح في ذاته فيفسدونه، برغم أن المطلوب من الإنسان أن يستقبل الوجود استقبال من يرى أن هناك أشياء فوق اختياراته ومراداته، فإذا نظر الإنسان في الأشياء التي بها مقومات الحياة، مما لا يدخل في اختياره يجدها على منتهى الاستقامة^(٢) ولكن النصح والإرشاد لم يؤثر في قلب فرعون، قال السعدي: "ثم لم يزل فرعون وقومه، مستمرين على كفرهم، يأتيهم موسى بالآيات البينات، وكلما جاءتهم آية، وبلغت منهم كل مبلغ، وعدوا موسى، وعاهدوه لئن كشف الله عنهم، ليؤمنن به، وليرسلن معه بني إسرائيل، فيكشفه الله، ثم ينكتون، فلما يؤس موسى من إيمانهم، وحققت عليهم كلمة العذاب، وأن لبني إسرائيل أن ينجيهم من أسرهم، ويمكن لهم في الأرض، أوحى الله إلى موسى: ﴿ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ﴾ (طه ٧٩)"^(٣)

وصار فرعون يزداد ضلالاً وفساداً فأمر هامان أن يبني له صرحاً ضخماً قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ

1- انظر تفسير السعدي ج ١ ص ٧٣٦.

2- انظر تفسير الشعراوي ج ٧ ص ٤٢٧٣ .

3- تفسير السعدي ج ١ ص ٥٩١.

إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿ غافر ٣٦-٣٧ ﴾ أمر فرعون وزيره هامان أن يبني له صرحا، وهو: القصر العالي المنيف الشاهق، وكان اتخاذه من الأجر المضروب من الطين المشوي، كما قال: ﴿ فَأَوْقَدَ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا ﴾ (القصص ٣٨)، وذلك ﴿ لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ ﴾ (غافر ٣٦) أبواب السموات. وقيل: طرق السموات ﴿ فَأَطَّلَعَ إِلَى إِلِهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾ (القصص ٣٨)، وهذا من كفره وتمرده، أنه كذب موسى في أن الله، عز وجل، أرسله إليه، قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ (غافر ٣٧) أي: بصنيعه هذا الذي أراد أن يوهم به الرعية أنه يعمل شيئا يتوصل به إلى تكذيب موسى، عليه السلام؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ (غافر ٣٧): (١)

ولما يؤس موسى ﷺ من إيمانهم وإيمان فرعون، دعا عليهم وأمن على دعائه أخوه هارون عليهما السلام، فقال في دعائه ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَنَّ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يونس ٨٨-٨٩) قال ذلك، غضبا عليهم، حيث تجرؤوا على محارم الله، وأفسدوا عباد الله، وصدوا عن سبيله، ولكمال معرفته بربه بأن الله سيعاقبهم على ما فعلوا، بإغلاق باب الإيمان عليهم قال تعالى: ﴿ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا ﴾ على دينكما، واستمرا على دعوتكما، ﴿ وَلَا تَتَّبِعَنَّ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: لا تتبعان سبيل الجهال الضلال، المنحرفين عن الصراط المستقيم، المتبعين لطرق الجحيم، فأمر الله موسى أن يسري ببني إسرائيل ليلا وأخبره أنهم يتبعون. (٢)

ويأمر الله تعالى: موسى أن يخرج ببني إسرائيل من أرض مصر ليلا ويذهب بهم إلى أرض فلسطين، فتجهز موسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى * فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ * وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴾ (طه ٧٧-٧٩) أمر الله موسى أن يخرج ببني إسرائيل أول الليل، ليتبعهم فرعون وجنوده، ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ (الشعراء ٥٣) يجمعون الناس، ليوقع ببني إسرائيل، وقال مشجعا لقومه: ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءَ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴾ (الشعراء ٥٤-٥٥) ونريد أن ننفذ غيظنا في هؤلاء

1- انظر تفسير ابن كثير، ج ٤ ص ١٠١.

2- انظر تفسير السعدي ج ١ ص ٣٧٢.

العبيد، الذين أبقوا منا، ولتحذروا منهم، فهم أعداء للجميع، فخرج فرعون وجنوده، في جيش عظيم، ونفير عام، لم يتخلف منهم سوى أهل الأعدار، الذين منعهم العجز^(١)

وخرج بنو إسرائيل يَجِدُونَ في السير حذراً من فرعون وظلمه وطغيانه، فخرج وراءهم جيش كبير يتبع آثارهم، ويريد البطش والفتك بهم، فأدركهم، ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ﴾ (الشعراء ٦١) وعابن كل من الفريقين صاحبه ورءاه، ولم يبق إلا المواجهة والمقاتلة، هنا شعر بنو إسرائيل بالخطر، فالحبر أمامهم، والعدو خلفهم، وفرعون وجنوده يريدون الفتك بهم، فضجوا بالعويل والصياح، وقالوا لموسى ﷺ وهم خائفون ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (الشعراء ٦١)^(٢) فقد كان البحر أمامهم وفرعون من خلفهم ولا مفر من هلاكهم؛ ومن الطبيعي أن يدركهم فرعون، ولقد لجأ موسى إلى الله جل في علاه، فأمره أن يضرب بعصاه البحر، ويتفرق البحر، ويصير كل فرق كالطود والجبل العظيم، وبعد أن ساروا في البحر، وخرجوا منه، أغرق الله فرعون أمامهم، وأنجاهم منه سبحانه^(٣) قال تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ * وَأَزَلَّفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ﴾ (الشعراء ٦٠-٦٦).

وتنتشر صدور بني اسرائيل بفرحة النجاة، ويأخذ موسى ﷺ عصاه ليضرب البحر ليعود إلى طبيعته، وحتى لا يعبره فرعون ويلحق به، لكن الحق سبحانه يأمره، أن يتركه على حاله. قال تعالى: ﴿وَاتْرِكْ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾ (الدخان ٢٤) فعندما نزل فرعون وجنوده البحر، واكتمل عددهم في قاعه، أطلق الخالق سبحانه للماء قانون سيولته، فأطبق على فرعون وجنوده، وكانت آية من آيات الله، شاهدة على قدرته سبحانه، وأنه إن شاء أنجى وأهلك بالشيء الواحد^(٤) قال تعالى: ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الشعراء ٦٥-٦٨) فهو العزيز الرحيم، ومن عزته قدر لفرعون أن ينجو ببدنه؛ ليكون للناس بعده آية، فيعتبر به الطغاة على مر الزمان، فيرتدعوا عن ظلمهم وطغيانهم، قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ (يونس ٩٢) فما أعظمه من إله، لقد أنجى أوليائه فلم يُغرق منهم أحداً، وأغرق أعداءه فلم يُنج منهم أحداً.

1- انظر تفسير السعدي ج ١ ص ٥٩١.

2- انظر أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج ٣ ص ٦٥٣.

3- انظر تفسير الشعراوي ج ٥ ص ٢٧٨٤.

4- انظر المرجع السابق ج ١٤ ص ٨٥٧٤.

المطلب السادس: نجاته النبي محمد ﷺ والمؤمنين من بطش المشركين

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (يوسف ١١٠) وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الأَنْفَال ٢٦)

هذه موعظة ربانية لأولئك المؤمنين، الذين عايشوا الدعوة الإسلامية من أيامها الأولى، حيث يذكرهم ربهم بما كانوا عليه من قلة وضعف، يخافون أن يتخطفهم الناس؛ لفتهم وضعفهم، فأواهم عز وجل إلى مدينة نبيه المنورة، ونصرهم بجنده، فعزوا بعد ذلة، ورزقهم من الطيبات من مطعم ومشرب، وملبس ومركب، ورزقهم من الطيبات إكراماً لهم، لِيُعِدَّهُمْ بِذَلِكَ لِلشُّكْرِ، إذ يشكر النعمة من عاشها ولابسها، والله يعلم أنهم قد شكروا، فرضي عنهم وأرضاهم.^(١)

إنَّ الصراعَ بين الحق والباطل سنة الله في أرضه، وأينما وجد الإنسان وجد الصراع، ويتنوع هذا الصراع، ويأخذ أشكالاً مختلفة، وتزداد ضراوته، إذا كان صراعاً مبنياً على اختلاف في العقيدة، لقد نزل الوحي على رسول الله ﷺ، فانطلقت به أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - إلى ورقة بن نوفل فقال: [هذا الناموس الذي أنزل على موسى، ياليتني فيها جذعاً^(٢)، أكون حياً حين يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: أومخرجي هم. فقال ورقة: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً]^(٣) وتحققت نبوءة ورقة، فعودي النبي ﷺ أشد العدا، وقد ذكر الله تعالى في كتابه عداوة الكافرين للمؤمنين، وذكر أسبابها، وأنها لا تزول حتى يتحول المسلم إلى دينهم، فقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَوُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة ١٠٩) وذكر سبحانه غايتهم التي يسعون إليها ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيرَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة ٣٢).

فأعداء الله يستعملون شتى الوسائل للصد عن سبيل الله، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة ١١٧). وصدق الله العظيم فقد واجه المشركون دعوة النبي ﷺ بأساليب مختلفة، ووسائل متنوعة؛ للصد عن سبيل الله، وتشويه معالم

1- انظر أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج ٢ ص ٢٩٨.

2- أصل الجذع من أسنان الدواب وهو ما كان منها شائباً قتيلاً، والقصد: يا ليتني كنت شائباً عند ظهور نبوتك حتى أبلغ في نصرتيها وجمائيتها، انظر النهاية في غريب الأثر ج ١ ص ٧١٣.

3- صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي ح ٤.

الدين، وقد باعت تلك الوسائل والأساليب بالفشل الذريع ، فاتجهوا إلى أسلوب أخير أشد خسة وأعظم ضرورة ، فتفننوا في أذية المؤمنين وتعذيبهم ، قال طارق بن عبدالله المحاربي^(١): إنني بسوق ذي المجاز^(٢)، إذ أنا بإنسان يقول: يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، وإذا رجل خلفه يرميه، قد أدمى ساقيه وعرقوبيه ويقول: يا أيها الناس، إنه كذاب فلا تصدقوه. فقلت من هذا ؟ فقالوا: محمد، زعم أنه نبي، وهذا عمه أبو لهب، يزعم أنه كذاب.^(٣)

وقد كان النبي ﷺ في منعة عمه أبي طالب، ورغم ذلك لما فشلوا في المفاوضات مع أبي طالب، ولم يترك النبي ﷺ عن كشف زيف آلهتهم ، والدعوة إلى نبذ دين الآباء والأجداد، ولم تجد قريش أمامها إلا سبيلاً واحداً ، وهو سبيل الاعتداء على ذات الرسول ﷺ، فانطلقت الألسن المجرمة بالسخرية والشتيم ، وامتدت الأيدي الآثمة بالأذى، عن عبد الله بن مسعود قال: [إن النبي ﷺ كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض أيكم يجيء بسلى جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد ؟ فانبعث أشقى القوم، فجاء به، فنظر حتى سجد النبي ﷺ ووضع على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغير شيئاً، لو كان لي منعة، قال فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم على بعض، ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءت فاطمة، فطرحت عن ظهره، فرفع رأسه ثم قال: اللهم عليك بقريش - ثلاث مرات - فشق عليهم إذ دعا عليهم، اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعنبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط. فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله ﷺ صرعى في القليب قليب بدر] ^(٤) وعن عروة بن الزبير أنه سأل عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: [ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهر من عداوته قال -: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط، سفه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، قال: فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأحاطوا به يقولون له: أنت الذي تقول كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: نعم، أنا الذي أقول ذلك. قال: فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع رداءه. قال: وقام أبو

1- طارق بن عبد الله المحاربي، من محارب، صحابي، نزل الكوفة، أسلم بعد الهجرة ، وقد هاجر مع مجموعة من قبيلته إلى المدينة ودخلها ورسول الله ﷺ يخطب في المسجد، وسمع منه، قيل أنه مات سنة ٣٢هـ، انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٦ ص ٤٢.

2- ذي المجاز: هو موضع عند جبل عرفات، كان يقام به سوق من أسواق العرب في الجاهلية فيجتمعون فيها للتبائع والتجارات، فمنهم من يحج، ومنهم من ينصرف إلى داره بلا حج، وقيل سمي بالمجاز لأن إجازة الحاج كانت فيه، انظر النهاية في غريب الأثر ج ١ ص ٨٣٧، شرح مشكل الآثار للطحاوي ج ٩ ص ٢٢٩.

3- انظر تفسير القرطبي ج ٢٠ ص ٦٠٠ ، وانظر التحرير والتنوير ج ٣٠ ص ٦٠١.

4- صحيح البخاري ، كتاب الوضوء ، باب إذا ألقى على ظهر المصلي قدر أو جيفة لم تفسد عليه ، ح ٢٤٠.

بكر الصديق ﷺ دونه يقول وهو يبكي ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ (غافر ٢٨)، ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغت منه قط^(١) ولو تتبعنا ، المواقف التي أساءت فيها قريش للنبي ﷺ بالقول والفعل لطلال الأمر . أما العصابة المؤمنة، فقد تحملوا من صنوف العذاب، وألوان البلاء، ما تتوء بحمله الجبال، وتتقطر لسماعه القلوب ، وتقشعر منه الجلود ، فأما ذوا المكانة والشرف فكانوا في عزٍ ومنعة من قومهم، ومع ذلك لم يسلم كثير منهم من الأذى والابتلاء، فهذا أبو بكر دنا منه عتبة بن ربيعة، فجعل يضربه بنعلين، ونزا على بطن أبي بكر، حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وحملت بنو تيمم أبا بكر في ثوب، حتى أدخلوه منزله، ولا يشكون في موته، فتكلم آخر النهار فقال : ما فعل رسول الله ﷺ؟^(٢) ومثل هذا حدث مع كثير من الصحابة الذين كانوا في عز ومنعة.

أما الضعفاء، فهذا صهيب بن سنان ﷺ يُعذَّب حتى يفقد وعيه ولا يدري ما يقول، وكان بلال يُوضع في عنقه حبلٌ، ثم يُسَلَّم إلى الصبيان، يطوفون به في جبال مكة، ويجرونه، حتى كان الحبل يؤثر في عنقه، وكان أمية يشده شداً ثم يضربه بالعصا، ويرغمه على الجلوس في حر الشمس، كما كان يُكرِّهُه على الجوع . وأشد من ذلك كله أنه كان يخرجُه إذا حميت الظهرية، فيطرحه على ظهره في الرمضاء، في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول : لا والله لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو في ذلك : أحد، أحد، ويقول: لو أعلم كلمة هي أغيب لكم منها لقاتها. وكان المشركون يخرجون عمار بن ياسر ووالديه ﷺ إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء، فيعذبونهم بحرها. ومر بهم النبي ﷺ وهم يعذبون فقال: [صبراً آل ياسر، فإن موعدكم الجنة] وعمار من أنزل الله فيه: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ...﴾ (النحل ١٠٦). وكان خباب بن الأرت مولى لامرأة من قريش، وكان حدادا، فلما أسلم عذبتُه بالنار، فكانت تأتي بالحديدة المحماة فتجعلها على ظهره أو رأسه، ليكفر بمحمد ﷺ، فلم يكن يزيد ذلك إلا إيماناً وتسليماً، وكان المشركون أيضاً يعذبونه فيلوان عنقه، ويجذبون شعره، وقد ألقوه على النار، ثم سحبوه عليها، فما أطفأها إلا صديد ظهره.^(٣)

1- مسند الإمام أحمد ، مسند المكثرين ، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص ح ٦٩٩٦ حسنه شعيب الأرنؤوط وقد

رواه البخاري دون تفصيل في كتاب المناقب ، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً ح ٣٦٧٨ .

2- انظر البداية والنهاية لابن كثير، ج ٣ ص ٢٩ ، الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري ص ٧٨ .

3- انظر الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري ص ٥٧-٥٨ .

النجاة بالهجرة إلى الحبشة

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر ١٠) مع قسوة التعذيب ، وازدياد مأساة المسلمين ، رأى النبي ﷺ بحسن سياسته أن يبعد أصحابه عن مكة ، لينجوا من بطش قريش ، ويرتاحوا فترة من الزمن حتى يقضي الله أمره، ولم يكن ذلك إلا بوحي من الله تعالى، فالقرآن كان يهيب نفوس المسلمين لترك الوطن والأهل والمال في سبيل الله، بحيث لا تكون هذه الأشياء عقبة في سبيل نشر الدعوة وإقامة شعائرها، قال الله تعالى: ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإَيَايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ (العنكبوت ٥٦) وقد أخرج الطبري بسنده عن مجاهد، في قول الله: ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾، قال: فهاجروا، وجاهدوا، ويريد بهذا من كان بمكة من المؤمنين.^(١) فكان هذا دافعا ليأمر النبي ﷺ أصحابه أن يهاجروا إلى الحبشة، لينجوا الضعفاء من بطش قريش، وقد ورد أن النبي ﷺ قال لأصحابه لما رأى المشركين يؤذونهم ولا يستطيع أن يكفهم عنهم: [إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده، فالحقوا ببلادته حتى يجعل الله لكم فرجا، ومخرجا]^(٢)، فكان أول من خرج منهم عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ وخرج الصحابة ﷺ ، وكان لا يزيد عددهم عن إحدى عشر رجلا وأربعة نسوة^(٣)

وفي الهجرة الثانية زاد العدد وخرج كم من الصحابة، فعن ابن مسعود قال: [بعثنا النبي ﷺ إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلا، فيهم عبد الله بن مسعود، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن عرفة، وعثمان بن مظعون، وأبو موسى الأشعري]^(٤) وبهذا نجا هؤلاء الصحابة ، وبقي النبي ﷺ وبعض أصحابه، وازداد بطش المشركين عليهم، وضاق الدنيا بالمسلمين، حتى أن أبا بكر، خشي على نفسه وهو من هو، فقرر الهجرة، والخروج من مكة، واستأذن النبي ﷺ بذلك فأذن له، ولما خرج قابله ابن الدغنة فأعاده وأجاره، ثم بعد ذلك رد أبو بكر عليه جواره^(٥) وازداد الإيذاء على النبي ﷺ حتى وصل الحال أن حاول المشركون قتله، وخاصة بعد وفاة عمه أبي طالب، حيث أقدمت قريش على ما لم تكن تقدم عليه من قبل ، وكان ﷺ يذكر ما

1- انظر تفسير الطبري ج ١٨ ص ٤٣٤ .

2- سنن البيهقي الكبرى لأحمد بن الحسين البيهقي، باب الإذن بالهجرة ح ١٧٥١٢ ، ج ٩ ص ٩ صحيح، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، باب السفر والجهاد والغزو والرفق بالحيوان ح ٢٠٦٣ ص ٣٧٥ .

3- انظر فتح الباري ج ٧ ص ٣٦٧

4- مسند الإمام أحمد ، مسند المكثرين من الصحابة رضوان الله عليهم ، مسند عبد الله بن مسعود ، ح ٤٣٨٦ ، حسنة ابن حجر في فتح الباري ج ٧ ص ٣٦٧ .

5 هو ربيعة بن رفيع السلمي والغنة أمه، وهو قاتل دريد بن الصمة، انظر اسد الغابة ج ١ ص ٣٥٩ .

6- انظر السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ١٨ .

لاقاه من أذى قريش قبل أن ينال الأذى أحدًا من أتباعه فيقول : [لقد أخفت في الله عز وجل وما يخاف أحد ، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد]^(١) ولما وصل الأمر أن يفكروا في قتل النبي ﷺ كان لابد من تدخل إلهي ، لينجي النبي ومن معه من المؤمنين ويرد كيد الكافرين.

النجاة بالهجرة إلى المدينة

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْتُوكَ أَوْ يَقتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأأنفال ٣٠) اجتمعت قريش في دار الندوة، وتشاورت في شأن النبي ﷺ، وفكرت، ومكرت، فأصدروا حكماً بقتله ﷺ، وبعثوا من ينفذ جريمة القتل، فطوقوا منزل النبي ﷺ، فخرج النبي ﷺ بعد أن رماه م بحثية من تراب، قائلاً: شاهت الوجوه، فلم يره أحد، وخرج وهاجر إلى المدينة، فكان في نجاته ﷺ من يد قريش، نعمة عظمية على النبي ﷺ وعلى سائر المؤمنين.^(٢)

إن نجاح الإسلام في تأسيس وطن له، وسط صحراء تموج بالكفر والجهالة، لهو أعظم كسب حصل عليه منذ بدأت الدعوة، وقد تنادى المسلمون من كل مكان هلموا إلى يثرب ، فلم تكن الهجرة تخلصاً فقط من الفتنة والاستهزاء ، بل كانت منحةً من الله على إقامة مجتمع جديد في بلد آمن يأمن المسلم فيه على نفسه ودينه.^(٣)

ومع سماع قريش بإسلام أهل المدينة وأن النبي ﷺ حالفهم عليهم ، ازداد أذاهم على المسلمين، فأمر ﷺ جميع المسلمين بالهجرة إلى المدينة، فصاروا يتسللون خيفةً قريش أن تمنعهم، وقد أراد أبو بكر الهجرة فقال له ﷺ: على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي، فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: نعم، فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصاحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده استعداداً لذلك.^(٤) وعقدت مؤتمراً في دار الندوة، وقرروا أن يختاروا من كل قبيلة فتىً جلدًا ليقتلوا النبي ﷺ فينفرق دمه بين القبائل، ويرضى بنو مناف بالدية، واجتمع الفتيان الموكلون بقتل النبي ﷺ على بابه ليقتلوه ، وكان النبي ﷺ قد أعد علي بن أبي طالب لذلك ، وتركه مكانه ، ليؤدي بعض الأمانات لأصحابها ، وليضرب مثلاً في الفداء، وخرج النبي ﷺ واستقر في غار ثور، وقامت قيامة قريش لنجاة النبي ﷺ من القتل، وخرجوا على إثره، ووقفوا

1- سنن الترمذي ، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ، باب منه ، ح ٢٤٧٢ قال الترمذي حسن صحيح وصححه الألباني.

2- انظر أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج ٢ ص ٣٠٢ ، تفسير السعدي ص ٣١٩ وقد أخرج أحمد هذه الحادثة بسند ضعيف ح ٣٢٤١.

3- انظر: فقه السيرة للشيخ الغزالي ص ١٦٣.

4- انظر نور اليقين في سيرة سيد المرسلين للشيخ محمد الخضري ص ٧٢.

على فم الغار، ويرتعد أبو بكر خوفاً على النبي ﷺ، ويقول النبي ﷺ قولته المشهورة^(١) فقد روي عن أبي بكر الصديق ﷺ قال: [كنت مع النبي ﷺ في الغار فرأيت آثار المشركين، فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم رفع قدمه لرانأ، فقال النبي ﷺ: ما ظنك باثنين الله ثالثهما] ^(٢) قال تعالى: ﴿إِلَّا تَتَّصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٤٠) واندحر كفار قريش، ونجا الله نبيه محمداً ﷺ مع أبي بكر ﷺ، وخرج رسول الله ﷺ وصاحبه إلى المدينة.

النجاة من سراقه بن مالك

انطلق النبي ﷺ وصاحبه إلى المدينة ، ولم يبئس المشركون من العثر عليهما، عن سراقه بن خعشم قال: [جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره، فركبت فرسي حتى دنوت منهم، فعثرت بي فرسي، فخررت عنها، فقامت، فأهويت يدي إلى كنانتي، فاستخرجت منها الأزلام^(٣)، فاستقسمت بها، أضرهم أم لا، فخرج الذي أكره، فركبت فرسي، وعصيت الأزلام، وقربت منهم حتى سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات، فساخت يدا فرسي في الأرض، حتى بلغت الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عثان^(٤) ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام، فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان، فوقفوا، فركبت فرسي حتى جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم؛ أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ. فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، فلم يرزاني^(٥) ولم يسألاني، إلا أن قال: أخف عنا، فسألته أن يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة، فكتب في رقعة من أديم، ثم مضى رسول الله ﷺ^(٦) ووصل النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، وكان يوماً تاريخياً أغر ، فقد كانت البيوت والسكك ترتج بأصوات التحميد والتهليل.^(٧) وصدق الله إذ قال: ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (النمل ٥٣) وقال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم ٤٧).

1- انظر السيرة النبوية دروس وعبر للدكتور مصطفى السباعي ص ٥١-٥٢.

2- صحيح البخاري كتاب المناقب ، باب هجرة النبي ﷺ ح ٣٩٢٢.

3- الأزلام: هي السهام التي كان أهل الجاهلية يضربون القرعة بها، إذا أراد أحدهم أن يسلك طريقاً أو يقضي حاجة يخرجها ويضرب القرعة يفعل أو لا يفعل انظر مختار الصحاح للرازي ص ١٥٨.

4- العثان: هو الغبار الذي يشبه الدخان، انظر فتح الباري ج ٧ ص ٢٤٢.

5- فلم يرزاني: أي لم ينقصاني مما معي شيئاً ، انظر فتح الباري ج ٧ ص ٢٤٢.

6- صحيح البخاري كتاب المناقب ، باب هجرة النبي ﷺ ح ٣٩٠٦.

7- انظر نور اليقين ص ١١٣.

النجاة يوم الأحزاب

قال تعالى: ﴿إِذْ جَاؤُكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا* هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ (الأحزاب ١٠-١١)

ففي شوال سنة خمس من الهجرة، تجمعت قوى الكفر، من كفار قريش وحلفائهم من القبائل المشركة، في أول محاولة لاقتلاع الإسلام من جذوره، ومضوا مغترين بأعدادهم الهائلة، وأموالهم الطائلة،^(١) ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ (الصف ٨)

واشتد الكرب على المسلمين، وبلغت القلوب الحناجر، فلقد رمتهم العرب عن قوس واحدة، وبدأ المنافقون والذين في قلوبهم مرض بالإرجاف والتخويف من الداخل، ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (الأحزاب ١٢) أما أهل الإيمان فقد أسعفهم إيمانهم، ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب)

وأقبلت الأحزاب في جمع لا قبل للمسلمين برده، وعلم رسول الله ﷺ أن الالتحام مع هذه الجيوش الضخمة في ساحة ممهدة ليس طريق النصر، فما عسى أن تصنع قلة مؤمنة مع هذا السيل الدافق، لذلك أخذ النبي ﷺ يحفر الخندق بيده، وتأسى به الرجال الكبار ممن لم يألفوا هذا العمل، وشهدت المدينة منظرا عجبيا، واستطاع المسلمون إنجاز الخندق، وأقبلت الأحزاب، كأنهم طوفان يتهدد المسلمين بالغرق ليل نهار،^(٢) قال تعالى: ﴿إِذْ جَاؤُكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا* هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ (الأحزاب ١٠-١١) واشتدت الأزمة عندما علم المسلمون أن بني قريظة قد نقضوا عهدهم مع المسلمين، وتفاوضوا ليدخلوا الجيوش من جهتهم، مما جعل النبي يفوض القبائل ليرجعوا ويعطيهم من ثمار المدينة^(٣) ومع هذا الضيق يقرر المسلمون المواجهة والنزال، ويصدق الله المؤمنين ويأتي الفرج ويرسل الله جنده، لتزلزل أركان المشركين، وتبديل المصيبة نعمة يطلب منهم شكر الله عليها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (الأحزاب ٩). فلقد سلط الله على أعدائه رياحا هوجاء، في ليلة مظلمة باردة، فقلبت قلوبهم، واقتلعت خيامهم، وكفى الله المؤمنين القتال. وصدق الله رسوله والمؤمنين، قال تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأنبياء ٩).

1- انظر السيرة النبوية دروس وعبر ص ٧٧.

2- انظر فقه السيرة للغزالي ص ٣١٨-٣٢١.

3- انظر فقه السيرة للغزالي ص ٣٢٣.

المبحث الثاني

الأنبياء والأفراد الناجون

وفيه ثمانية مطالب:

- المطلب الأول: نجات إبراهيم عليه السلام من الحرق
- المطلب الثاني: نجات يوسف عليه السلام من القتل
- المطلب الثالث: نجات يونس عليه السلام من بطن الحوت
- المطلب الرابع: نجات عيسى عليه السلام من القتل
- المطلب الخامس: نجات صاحب نبي الله يوسف من محنه
- المطلب السادس: نجات مؤمن آل فرعون من القتل

المبحث الثاني: الأنبياء والأفراد الناجون.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (يوسف ١١٠) عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾ (يوسف ١١٠). قال: [قلت: أكَذِّبُوا أم كُذِّبُوا؟ قالت عائشة: كُذِّبُوا. قلت: فقد استيقنوا أن قومهم كَذَّبُوهم فما هو بالظن؟ قالت: أجل لعمرى لقد استيقنوا بذلك. فقلت لها: وظنوا أنهم قد كُذِّبُوا. قالت: معاذ الله، لم تكن الرسل تظن ذلك بربها. قلت: فما هذه الآية؟ قالت: هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم، وصدقوهم، فطال عليهم البلاء، واستأخر عنهم النصر، حتى إذا استيأس الرسل ممن كَذَّبَهُم من قومهم، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كَذَّبُوهم جاءهم نصر الله عند ذلك].^(١)

إنها سنة الله، يأتي النصر بعد الزلزلة الشديدة؛ فيكون وقعة كوقع الماء على العطشان، في الوقت الذي يعطي فيه إبطاء النصر غروراً للكافرين، يجعلهم يتمادون في الغرور، وحين يأتي النصر تتضاعف فرحة المؤمنين بالرسول، وأيضاً يتضاعف غم الكافرين به. ومجيء النصر للمؤمنين يقتضي وقوع هزيمة للكافرين؛ لأن تلك هي مشيئة الله الذي يقع بأسه وعذابه على الكافرين به.^(٢) وسيتناول الباحث في هذا المبحث نماذج من الأنبياء والأفراد الناجين في المطالب التالية:

المطلب الأول: نجاة إبراهيم عليه السلام من الحرق

قال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ* قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ* وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (الأنبياء ٦٨-٧٠)

كان قوم إبراهيم عليه السلام الذين ولد فيهم، يعبدون الكواكب السيارة، والأصنام، حتى كاد أن يكون لكل منهم صنم خاص به، سواء الأغنياء، أو الفقراء منهم. وقد عاب إبراهيم عليه السلام على قومه شركهم بالله، وعبادتهم الأصنام، وجادل أباه وقومه في ذلك، ثم أراد أن يلفت أنظارهم إلى باطل ما هم عليه من عبادة غير الله؛ بما جاء به من حجج مقنعة، وقوية، وقيامه بتكسير أصنامهم إلا كبيرهم، ولكن لم يرجعوا عن كفرهم وضلالهم^(٣) فكان قرارهم هو إحراق إبراهيم عليه السلام بعد مواجهات معهم كانت على النحو التالي:

1- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، قوله: حتى إذا استيأس الرسل ح ٤٦٩٦.

2- انظر تفسير الشعراوي ج ١٢ ص ٧١٤٠.

3- انظر صحيح قصص الأنبياء لابن كثير، بقلم أبي أسامة الهلالي ص ١٠٣.

١ - مواجهته مع أبيه

بدأ إبراهيم عليه السلام حواراً مع أبيه، بالدعوة إلى الله فنهاه عن عبادة الأصنام قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَرَ أَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ تَسْلُكُونَ مَسْلَكَ الضَّالِّينَ، فَأَنْتُمْ لَا تَهْتَدُونَ إِلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ، إِنَّكُمْ تَأْتُونَ لَا تَهْتَدُونَ إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُونَ، إِنَّ ضَلَالَكُمْ هَذَا وَاضِحٌ لَا شَبَهَةَ فِيهِ لِأَنَّ الْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا، وَالَّتِي اتَّخَذْتُمُوهَا آلِهَةً لَكُمْ لَا تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ آلِهَةً فِي أَنْفُسِهَا. ^(١) لكن هذه المواجهة، لم تقنع والد إبراهيم عليه السلام لاتباعه، فكان نصيبه الهلاك، قال النبي ﷺ [يلقى إبراهيم أباه أزر يوم القيامة وعلى وجه أزر قنطرة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول له أبوه: فالיום لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب، إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يُبعثون، فأبي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم، ما تحت رجلك؟ فنظر، فإذا هو بنبيخ ^(٢) ملتبخ، فيؤخذ بقوائمه، فيلقى في النار] ^(٣)

٢ - مواجهة قومه

توجه إبراهيم عليه السلام إلى قومه مبلغاً رسالته ودينه، وقد آمن وأيقن أن الله واحد لا شريك له، وبدأ يضرب الأمثال لقومه، مخفياً عنهم حقيقة إدراكه، يريد إقناعهم دون أن يكشف أمره، لعلهم يستجيبون، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ* فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَأُحِبُّ الْأَفْلِينَ* فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ* فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ* إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأأنعام ٧٥-٧٩) فتح الله بصيرة إبراهيم، فألهمه إلى قدرته في ملكوت السموات والأرض، وقد كان أزر وقومه يعبدون الأصنام، والكواكب، والشمس، والقمر، فأراد أن ينبههم على الخطأ، فلما رأى كوكبا قال لقومه هذا ربي على زعمكم، لأنهم كانوا يعبدون الكواكب والشمس والنجوم والقمر، وكذلك قال إبراهيم لقومه عن القمر: إنه ربي على زعم أنكم تقولون أنه إله ورب، وكذلك عن الشمس، فلما غابت وأفلت، وقد رأى أفول الشمس قال للناس مبرئاً نفسه من الكفر والشرك: إني بريء

1- انظر تفسير الطبري ج ٩ ص ٣٤٢.

2- الذبيح: ذكر الضباع والأنثى ذبيحة، وأراد بالتلطح التلطح برجيعه، أو بالطين، وفي رواية، فيمسخ الله أبا إبراهيم عليه السلام ضبعاً، فيأخذ بأنف إبراهيم عليه السلام، فيقول: يا عبي أهدا أبوك. فيقول إبراهيم عليه السلام: لا وعزتك. انظر فتح الباري ج ٨ ص ٤٩٤.

3- صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: {واتخذ الله إبراهيم خليلاً} ح ٣٣٥٠.

من شرككم بالله تعالى ومن هذه الأصنام، التي جعلتموها آلهة مع الله، وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ* إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١) وبذلك يكون إبراهيم عليه السلام حنيفاً، أي مائلاً للحق ومنحازاً له، وينفي إبراهيم عليه السلام عن نفسه الشرك؛ ولكن القوم لم يفتنعوا بكل هذه الحجج القويّة والدعوة الواضحة. وتشتد المواجهة، ويقرر إبراهيم عليه السلام تكسير أصنامهم، قال تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ* فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِذَا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ* قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ* قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ* قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَى عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ* قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ* قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ (الأنبياء ٥٧-٦٣) أقسم عليه السلام أن يحطم أصنامهم بعد أن يلهوا في عيدهم، فدعاه أبوه ليحضر العيد {فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ} (الصفات ٨٩) ولما خرجوا إلى عيدهم ذهب مسرعاً مستخفياً، وحطم أصنامهم؛ إلا كبيرهم كما بينت الآية، وبعد عودتهم تفاجؤوا بالحدث، فتذكروا أن الذي توعدهم هو إبراهيم عليه السلام الذي أفحمهم بإجابته.^(٢) لكنهم سرعان ما عادوا، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ (الأنبياء ٦٥) وهنا أعلن إبراهيم عليه السلام دعوته، قال تعالى: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَنَا بِمَنْفَعِكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ* أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء ٦٦-٦٧)

وهنا يأتي القرار الجائر، ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء ٦٨) فعندما أعيتهم الحيلة في دفع إبراهيم، وعجزوا عن مجادلته، قالوا ظلماً وعدواناً: حرقوا إبراهيم، وهذا ميلاً منهم إلى إظهار الغلبة بأي وجه كان، وعلى أي أمر اتفق، ولهذا قالوا: {وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ} انصروها بالانتقام من هذا الذي فعل بها ما فعل، إن كنتم فاعلين للنصر^(٣) قال ابن كثير: "شرعوا يجمعون حطبا، من جميع ما يمكنهم من الأماكن، فمكثوا مدة يجمعون له، ثم عمدوا إلى حفرة عظيمة، فوضعوا فيها ذلك الحطب، وأطلقوا فيه النار، فتأججت والتهبت، وعلا لها شرر لم ير مثله قط، ثم وضعوا إبراهيم في كفة منجنيق، صنعه لهم رجل من الأكراد، ثم أخذوا يقيدون إبراهيم عليه السلام، ويكتفونه، وهو يقول: لا إله إلا أنت سبحانك، لك الحمد ولك الملك، لا شريك لك، فلما وضع الخليل عليه السلام في كفة المنجنيق مقيداً مكتوفاً، ثم ألقوه منه إلى النار، قال: حسبنا الله ونعم الوكيل".^(٤)

1- انظر فتح القدير ج ٢ ص ١٣٣، في ظلال القرآن ج ٢ ص ١١٤١.

2- انظر صحيح قصص الأنبياء ص ١١٠.

3- انظر فتح القدير ج ٣ ص ٤١٥، البداية والنهاية ج ١ ص ١٣٧.

4- البداية والنهاية ج ١ ص ١٣٧ بتصرف.

عن ابن عباس أنه قال [حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم حين ألقى في النار، وقالها محمد حين قيل له ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران ١٧٣)].^(١) ودخلت امرأة على السيدة عائشة -رضي الله عنها- فرأت في بيتها رمحا موضوعا. فقالت: إيا أم المؤمنين، ما تصنعين بهذا؟ قالت: نقتل به هذه الأوزاغ. فإن نبي الله ﷺ أخبرنا أن إبراهيم لما ألقى في النار، لم تكن في الأرض دابة إلا أطفأت النار، غير الوزغ^(٢)، فإنها كانت تنفخ عليه. فأمر رسول الله ﷺ بقتله.^(٣)

وقيل لما ألقى إبراهيم في النار التي أعدها له نمرود ليحرقه فيها، قال: اللهم أنت في السماء واحد وأنا في الأرض واحد أعبدك. فرأى نفسه واحدا لله في أرضه وهي مرتبة الانفراد بالله وذلك أعظم المراتب فهو قد جاز مقام الهيبة والأنس، إلى مقام الأمانة والإمامة، فالله أمان لأهل الأرض في كل محفل وعرض^(٤) وهنا تتجلى قدرة الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَأرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (الأنبياء ٧٠) إنها قدرة المولى، فهو يعلم بأنهم لن يصلوا إليه، وهو مكنهم من إيقاد النار، فما أرسل سحابة تمطر فتطفئ عليهم النار، ولم يجر سيولا على النار، وما أنزل عليهم صواعق تهلكهم، وكل هذا في قدرة الله؛ لتكتمل المعجزة، وتظهر الآية، وما أعظمها من آية ﴿فَلَنَّا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء ٦٩).

قال الشنقيطي: "ذكروا عن نبي الله إبراهيم أنهم لما كتفوه مجرداً ورموه إلى النار، قال له جبريل: هل لك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، وأما إلى الله فنعم؟ قال: لم لا تسأله؟ قال: علمه بحالي كاف عن سؤالي. وما ذكر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة: من أنه أمر النار بأمره الكوني القدري أن تكون برداً وسلاماً على إبراهيم: يدل على أنه أنجاه من تلك النار. لأن قوله تعالى: {كُونِي بَرْدًا} يدل على سلامته من حرها. وقوله: {وَسَلَامًا}. يدل على سلامته من شرِّ بردها الذي انقلبت الحرارة إليه. وإنجاؤه إياه منها الذي دل عليه أمره الكوني القدري هنا، جاء مصرحاً به في العنكبوت، في قوله تعالى: ﴿فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ (العنكبوت ٢٤) وأشار إلى ذلك هنا بقوله: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا﴾ (الأنبياء ٧١)."^(٥) قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت ٢٤).

- 1- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم الآية ٤٥٦٣.
- 2- الوزغ: جمع وَرْغَة بالتحريك وهي التي يُقال لها: سَامٌ أَبْرَصٌ وهو نوع من الزواحف أشبهه بالسحلية يقال له (أم بريص)، انظر النهاية في غريب الأثر لابن الأثير ج ٥ ص ٣٩٤.
- 3- سنن ابن ماجه، كتاب الصيد، باب قتل الوزغ ح ٣٢٣١ صححه الألباني، ورواه البخاري دون تفصيل، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: واتخذ الله إبراهيم خليلاً ح ٣٣٥٩.
- 4- انظر فيض القدير ح ٧٣٧٤، ج ٥ ص ٢٩٨.
- 5- أضواء البيان ج ٤ ص ٦٤١.

المطلب الثاني: نجاة نبي الله يوسف عليه السلام من محنه

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ * قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُمِّتُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْسَّائِلِينَ﴾ (يوسف ٤-٧)

قال ابن كثير: "يقول تعالى مخبراً عن قول يعقوب لابنه يوسف حين قصَّ عليه ما رأى من هذه الرؤيا، التي تعبيرها خضوع إخوته له وتعظيمهم إياه تعظيماً زائداً، بحيث يخرون له ساجدين إجلالاً، وإكراماً، واحتراماً، فخشى يعقوب عليه السلام أن يحدث بهذا المنام أحداً من إخوته فيحسدوه على ذلك، فبيغوا له الغوائل حسداً منهم له؛ ولهذا قال له: { لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا } أي: يحتالوا لك حيلةً يُرْدُونَكَ فيها" (١) وهذا ما حدث حيث بدت الغيرة تدب في قلوب الإخوة وخاصة لما رأوا من حب أبيهم ليوسف عليه السلام، ومن أجل ذلك بدأت المؤامرات بين الإخوة، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ الذُّنُوبِ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَهُ أَبَيْكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ (يوسف ٨-٩) انها المكيدة، اقتلوا يوسف، أو ارموه في أي أرض من الأرض، فإن يوسف عليه السلام قد شغل أبانا، وصرف وجهه عنا إليه، وبعد قتله نتوب إلى الله توبة نصوحا ونكون من الصالحين، (٢) وبدؤوا مشاوراتهم للوصول إلى أصوب قرار؛ حتى لا يكشف أمرهم، قال تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَنْقُطُ عَنْهُ السَّيْرَةُ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (يوسف ١٠)، وهنا تظهر رعاية الله لأنبيائه وحفظه لهم قال تعالى: ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ (الأنفال ٤٢) وينجو يوسف عليه السلام من قرار القتل، ليدخل في خطر آخر وهو إلقاءه في البئر. فلما اتفقوا على ذلك ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ * أَرْسَلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (يوسف ١١-١٢). (٣) ويبيدي يعقوب عليه السلام خشيته، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ * قَالُوا لَسِنِ أَكَلَهُ الذَّنْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ (يوسف ١٤) وقد أظهر لهم سبب امتناعه من خروج يوسف عليه السلام معهم إلى الرِّيف بأن ذلك يحزنه، وبأنه يخشى عليه الذئاب، إذ كان يوسف عليه السلام حينئذٍ غلاماً، وكان قد رَبِّيَ في عز، ولا يستطيع الجلد، والذئاب تجترىء على الذي تحس منه

1- تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٩٧.

2- انظر تفسير الطبري ج ١٣ ص ١٩.

3- انظر صحيح قصص الأنبياء ص ١٩٥ .

ضعفًا في دفاعها^(١)،) عندها قال: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ لشدة مفارقتة عليّ، وقلّة صبري عنه، ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ لاشتغالكم بالرتع واللعب، أو لقلّة اهتمامكم به، فكان أن قالوا: ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذَّنْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ (يوسف؛ ١) فلما مهدوا لأبيهم الأسباب الداعية لإرساله، وعدم الموانع، سمح حينئذ بإرساله معهم لأجل أنسه. ^(٢) ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (يوسف ١٥). قيل إن يعقوب عليه السلام لما أرسل يوسف معهم، أخذ عليهم عهداً أن يحفظوه، وأن يعجلوا برده إليه، فوافقوا وحملوه؛ فلما انقطع بصر أبيهم عنهم، رماه الذي كان يحمله إلى الأرض حتى كاد ينكسر، فالتجأ إليهم واحداً واحداً، فرق قلب يهوذا فقال: يا إخوتاه: إن قتل النفس التي حرم الله من أعظم الخطايا، فردوا هذا الصبي إلى أبيه، ونعاذهه ألا يحدث والده بشيء مما جرى أبداً؛ فقال له إخوته: والله ما تريد إلا أن تكون لك المكانة عند يعقوب، والله لئن لم تدعه لنقتلنك معه، قال: فإن أبيتم إلا ذلك فألقوه في هذا الجب الموحش، فإن أصيب بشيء من ذلك فهو مرادكم، وقد استرحتم من دمه، وإن نجا على أيدي سيارة يذهبون به إلى أرض فهو مرادكم، فأجمع رأيهم على ذلك. ^(٣) ونفذوا ما دبروا، ثم عادوا أدراجهم يمررون مخططهم قال تعالى: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ* قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذَّنْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ* وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ (يوسف ١٦-١٨) ولم يقنعوا والاهم بقصتهم، رغم تلطيخهم القميص بالدم، والصبر والاستعانة بالله، هما العامل الذي تكون به النجاة المحتومة؛ لذلك قال يعقوب عليه السلام ﴿فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف ١٨) وبالاستعانة بالله، والصبر، والصلاح، كان الفرج، الذي تكفل الله به لعباده المؤمنين العاملين، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل ١٢٨) وكانت النجاة من البئر، وسخر الله ليوسف من يأخذه لبر النجاة، قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بَضَاعَةٌ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ* وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ (يوسف ١٩-٢٠) جاءت رفقة تسير من قبل مدين إلى مصر، أخطأوا الطريق فنزلوا قريباً منه، وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران، لم يكن إلا للرعاة، فأرسلوا رجلاً ليطلب لهم الماء فلما أدلى دلوه في الجب تعلق يوسف بالحبل، فلما خرج إذا هو بغلام أحسن ما يكون، فقال الرجل: ﴿يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بَضَاعَةً﴾ (يوسف ١٩) أي أخفوه من الرفقة.

1- انظر التحرير والتنوير ج ١٢ ص ٢٣٠.

2- انظر تفسير السعدي ج ١ ص ٣٩٤.

3- انظر تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٤٤٥.

وقيل : أخفوا أمره ووجدانهم له في الجب ، وقالوا لهم : دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه.^(١)

وأخرج الطبري عن الضحاك قال: "وجاءت سيارة فنزلت على الجب، فأرسلوا واردهم فاستقى من الماء فاستخرج يوسف، فاستبشروا بأنهم أصابوا غلاماً لا يعلمون علمه، ولا منزلته من ربه، فزهدوا فيه، فباعوه، وكان بيعه حراماً، وباعوه بدراهم معدودة".^(٢) **﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾** (يوسف ٢١)

وزهدت السيارة به إلى مصر، وباعوه بها، فاشتراه عزيز مصر، فلما اشتراه، أعجب به، ووصى عليه امرأته وقال: إما أن ينفعا كنفع العبيد بأنواع الخدم، وإما أن نستمتع فيه استمتاعنا بأولادنا، وقد يسر الله ليوسف وأكرمه هذا الإكرام، وجعله مقدمة لتمكينه في الأرض حيث بقي لا شغل له ولا هم سوى العلم، وصار ذلك من أسباب تعلمه علماً كثيراً، من علم الأحكام، وعلم التعبير، وغير ذلك.^(٣)

ويبدأ الخطر الجديد مع بلوغ يوسف سن الشباب، حيث هامت به امرأة العزيز، **﴿وَرَأَوْتَهُ الَّذِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾** (يوسف ٢٣) وكانت هذه الحادثة قاصمة للظهر وربما أدت إلى القتل، لولا رعاية الله عز وجل، فانه يرعى المتقين، ويخلص المؤمنين، قال تعالى: **﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾** (النمل ٥٣) قال تعالى: **﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** (يوسف ٢٥) ولقد أتت في تلك الحالة التي يدهش فيها الفطن، حيث شاهدها زوجها على تلك الهيئة، بحيلة جمعت فيها غرضيها، وهما: تبرئة ساحتها مما يلوح من ظاهر الحال، واستئزال يوسف عليه السلام عن رأيه في استعصائه عليها، وإلقاء الرعب في قلبه، طمعاً في مواقعه لها مكرهاً عند يأسها عن ذلك مختاراً، كما قالت: **﴿لَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا عَامُرُهُ لِيُسْجَنَنَّ وَيَكُونَ مِنَ الصَّاعِرِينَ﴾** (يوسف ٣٢) ولم تصرح باسم يوسف عليه السلام بل أتت بلفظ عام تهويلاً للأمر ومبالغة في التخويف، كأن ذلك قانون مطرد في حق كل أحد كائناً من كان ، ولم

1- انظر الكشف للزمخشري ج ٢ ص ٤٢٦ ، تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٤٥٥ .

2- تفسير الطبري ج ١٣ ص ٦٠ .

3- انظر تفسير السعدي ج ١ ص ٣٩٥ .

تطلب القتل له، حرصاً على بقائه، وذكرت نفسها بعنوان أهلية العزيز إظماماً للخطب، وإغراءً له على تحقيق ما يتوخاه بحكم الغضب، والحمية.^(١)

ويقف يوسف عليه السلام ليدافع عن نفسه، ويسخر الله له من يظهر براءته أمام العزيز، قال تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (يوسف ٢٦) لكن السلطان أينما كان فهو الأقوى، إذ تواصل الضغط على يوسف عليه السلام ليرضخ لمطالب امرأة العزيز، وهنا دعا يوسف عليه السلام ربه، ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبَبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (يوسف ٣٣) فاستجاب الله له وصرف عنه كيد النساء ونجاه من كيدهن وإغرائهن قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (يوسف ٣٤)

وبدأت محنة السجن، قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (يوسف ٣٥) حيث ظهر لهم من الرأي، بعد ما علموا براءة يوسف، أن يسجنوه إلى وقت، ليكون ذلك أقل لكلام الناس في تلك القضية، وأحمد لأمرها، وليظهروا أنه راود امرأة العزيز عن نفسها، فسجنوه ظلماً وعدواناً، وكان هذا مما قدر الله له من العصمة.^(٢) قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ﴾ (يوسف ٣٥)، قال أحدهما ليوسف عليه السلام مستفسراً ومخبراً: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ (يوسف ٣٦). أي عنباً، ﴿وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف ٣٦)، بدأ يوسف يؤل لهم رؤياهم فقال: ﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنُ أَمَا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبُّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ (يوسف ٤١)^(٣) وكان تأويل تلك الرؤى طريقاً للنجاة الكاملة والخروج من السجن والتمكين في الأرض، حيث رأى الملك رؤيا أفزعته، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنَّ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾* قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين﴾ (يوسف ٤٣-٤٤) وهنا يأتي دور الرجل الذي طلب منه يوسف أن يذكره عند الملك، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ (يوسف ٤٥) وبعد أخذه الإذن من الملك، انطلق مسرعاً ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ...﴾ (يوسف ٤٦) وهنا

1- انظر تفسير الألوسي (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) لشهاب الدين الألوسي ج ١٢ ص ٢١٨.

2- انظر صحيح قصص الأنبياء لابن كثير ص ٢٠٤ .

3- انظر التفسير الوسيط ج ٢ ص ١١٠٥ .

أجاب يوسف عليه السلام بسرعة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ فَمَا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ (يوسف ٥٠)^(١)

رفض يوسف أن يخرج من السجن قبل إظهار براءته، وهنا سخر الله الملك ليظهر براءة يوسف، فأرسل إلى النسوة، ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ﴾ (يوسف ٥١) وهنا تظهر الحقيقة فتقول النسوة، ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ (يوسف ٥١) وإذا بامرأة العزيز تنهض لتقول الحقيقة وتظهر الحق، ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (يوسف ٥١)، وبفضل الله وكرمه، كانت المحنة منحة، ونجى الله يوسف الصديق، واختاره الملك ليكون وزيراً له، وصدق تأويل يوسف لرؤيا الملك، واحتاط يوسف للسنين العجاف ومرت البلاد بسلام، فكان سجن يوسف، ونجاته، إنقاذاً لمصر كلها من الوقوع في القحط، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (الطلاق ٢)^(٢)

المطلب الثالث: نجاة يونس عليه السلام من بطن الحوت.

قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء ٨٧ - ٨٨)

إن الله بعث يونس عليه السلام إلى أهل نينوى، وهي من أرض الموصل، فكذبوه فوعدهم بنزول العذاب في وقت معين.^(٣) وخرج من عندهم مغاضباً لهم، قال تعالى: ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ "وللعلماء في تأويل هذه اللفظة (نقدر) في هذه الآية قولان: أحدهما أنها من التقدير والقضاء. والآخر أنها من التقتير والتضييق".^(٤) والأولى: فظن أن لن نعاقبه بالتضييق عليه؛ لأنه لا يجوز أن ينسب نبي إلى الكفر، وقد اختاره الله لنبوته، والمقصود بالظلمات: ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، وقد نادى يونس بهذا النداء، معترفاً بذنبه، تائباً من خطيئته.^(٥) ترك يونس عليه السلام قومه، مجتهداً أن يدعو قوماً غيرهم، بسبب تكذيبهم له وعدم استجابتهم لله، وقد وعدهم نزول العذاب في وقت معين. قال ابن مسعود: [أصبح يونس، فأشرف على القرية، فلم ير العذاب وقع عليهم، وكان في شريعته، من كذب قتل، فانطلق مغاضباً حتى ركب سفينة، فقال لهم يونس إن معكم عبداً أبقا من ربه، وإنها لا تسير حتى تلقوه، فقالوا: لا نلقيك يا نبي الله أبداً، قال: فاقترعوا فخرج عليه ثلاث مرات، فألقوه فالتقمه الحوت].^(٦) قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ* إِذْ أَبَقَ

1- أنظر تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٤٩٥ - ٤٩٧.

2- انظر صحيح قصص الأنبياء ص ٢١١.

3- انظر فتح الباري لابن حجر ج ٦ ص ٦٣٢.

4- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار لابن عبد البر، كتاب الجنائز، باب جامع الجنائز ج ٣ ص ٩٦.

5- انظر تفسير الطبري ج ١٦ ص ٣٨١ - ٣٨٣.

6- فتح الباري ج ٦ ص ٦٣٢، قال ابن حجر: إسناده صحيح.

إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (الصافات ١٣٩-١٤٢) كان من المغلوبين فيها، فقال: أنا الأبق وزج نفسه في الماء قال سعيد بن جبير: لما استهموا جاء حوت إلى السفينة فاغرا فاه ينتظر أمر ربه حتى إذا ألقى نفسه في الماء أخذه الحوت. (١)

معرفة الله في الرخاء سبب النجاة في الشدة

قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (الصافات ٤٤) وسبب النجاة أنه كان من المُصَلِّينَ لله قبل البلاء الذي ابتلي به، من العقوبة بالحبس في بطن الحوت، ولولا ذلك لبقى محبوساً في بطن الحوت إلى يوم القيامة، وكان بطن الحوت له قبرا؛ ولكنه كان من الذاكرين الله كثيراً، المكثرين من الصلاة قبل البلاء، فأنقذه الله ونجّاه في حال البلاء. (٢) عن أبي هريرة يرفعه للنبي ﷺ [لما أراد الله حبس يونس في بطن الحوت، أمر الله الحوت أن لا يكسر له عظما، ولا يخذل له لحما، فلما انتهى به إلى قعر البحر، سبح الله، فقالت الملائكة يا ربنا: إنا نسمع صوتا ضعيفا، بأرض غريبة، قال: ذاك عبيد يونس، فشفعوا له، فأمر الحوت فقذفه في الساحل. قال ابن مسعود كهيئة الفرخ ليس عليه ريش] (٣) ولما كان يونس عليه السلام يعرف ربه في الرخاء، فبمجرد أن وقع في بطن الحوت، تضرع إلى ربه، فعرفه ربه قال ابن مسعود: [فالتقمه الحوت، فبلغ به قرار الأرض، فسمع تسبيح الحصى ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء ٨٧)] (٤) عندها استجاب الله له، وأمر الحوت أن يقذفه على الشاطيء، قال تعالى: ﴿ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴾ (الصافات ١٤٧) ونجاه الله من الغم، وقذفه الحوت بأرض صحراوية، عارية من الشجر وكل ظل، وهو كالفرخ المنتوف الريش، نضج لحمه من حرارة جوف الحوت، وأثبت تعالى عليه شجرة من قرع تظله بأوراقها الحريرية الناعمة، والتي لا ينزل بساحتها الذباب، وسخر الله له غزاة ليشرب من حليبها، ويرتوي، فكانت تأتيه صباح مساء، إلى أن تماثل للشفاء، وعاد إلى قومه فوجدهم مؤمنين لتوبة أحدثوها عند ظهور أمارات العذاب، فتاب الله عليهم. (٥) قال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِثْرَةَ آفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ (الصافات ١٤٧-١٤٨) وصدق الله إذ يقول: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنبياء ٨٨) أخرجناه من بطن الحوت وتلك الظلمات. وكذلك المؤمنون إذا دعونا في الشدائد منيبين إلينا ننجيهم منها أيضاً. (٦)

1- انظر فتح القدير ج ٤ ص ٤١٠ ، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج ٤ ص ٤٢٧ .

2- انظر تفسير الطبري ج ١٩ ص ٦٢٧ .

3- فتح الباري لابن حجر ج ٦ ص ٦٣٢ .

4- فتح الباري لابن حجر ج ٦ ص ٦٣٢ .

5- انظر أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ج ٤ ص ٤٢٧ .

6- انظر: تفسير الطبري ج ١٦ ص ٣٨٥ .

المطلب الرابع: نجاته نبي الله عيسى عليه السلام من القتل.

قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا. بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء ١٥٧-١٥٨)

ذكر الله سبحانه اسم عيسى عليه السلام ونسبه في كتابه العزيز، ولم يزد نسبه على كونه ابن مريم، في قوله سبحانه: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (آل عمران ٤٥) قال ابن كثير: "اسمه المسيح عيسى ابن مريم، أي: يكون هكذا مشهوراً في الدنيا، يعرفه المؤمنون بذلك. وسمي المسيح: قال بعض السلف: لكثرة سياحته^(١)، وقيل: لأنه كان مسيح القدمين لا أخصص لهما، وقيل: لأنه كان إذا مسح أحداً من ذوي العاهات برئ بإذن الله تعالى. وقوله تعالى {عيسى ابن مريم} نسبة إلى أمه حيث لا أب له"^(٢) وهذا هو نسبه الحقيقي لا زيادة على ذلك.

ولادته

قال تعالى: ﴿وَإِذْ ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمُ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْفِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ * وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَنَجَعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ فَاتَّيَبَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ (مريم ١٦-٢٢) إن حمل مريم -عليها السلام- إنما هو بنفخة من روح الله، وذلك حين بعث إليها جبريل عليه السلام على صورة بشر فتعذت منه حين رآته {قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا} ذلك أن النقي ينتهي إذا ذُكِّر. وهذا يرد قول من زعم أنه كان في بني إسرائيل رجل فاسق مشهور بالفسق اسمه تقي^(٣). فطمأنها الملك، وأمنها على نفسها ونفخ في جيب درعها فنزلت النفخة إلى فرجها، فحملت من فورها كما تحمل المرأة عند جماع زوجها، والمشهور عند الجمهور أنها حملت تسعة أشهر^(٤). وحين أحست بالطلق تمتت الموت لأنها عرفت أنها ستبتلى، وأنها ستطعن في عرضها، قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي

1- السياحة في الأرض هي الانتقال من مكان إلى مكان، وكذلك كان عيسى عليه السلام، فإنه لم يستقر في مكان

واحد، بل كان ينتقل من مكان إلى مكان يدعو الناس، انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٧٥.

2- تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٧٥.

3- انظر صحيح قصص الأنبياء ٤٦١.

4- انظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٥١.

مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴿ (مريم ٢٣) لذا جاءت الطمأنينة لها من الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ فَادَّأَهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهَزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ (مريم ٢٤-٢٦) فهذه طمأنينة لها من جهة السلامة من ألم الولادة، وحصول المأكل والمشرب، ومن جهة قول الناس، وقد كان السكوت عندهم من العبادات المشروعة. ولم تؤمر بمخاطبتهم في نفي ذلك عن نفسها، لأن الناس لا يصدقونها، ولأن تبرئتها بكلام عيسى في المهد، أعظم شاهد على براءتها. (١)

مواجهتها قومها

جاءت مريم إلى قومها وهي واثقة من تبرئة الله سبحانه وتعالى لها. لذا بمجرد أن اتهمها قومها وسألوها، لم تتردد في الإشارة إليه، قال تعالى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ (مريم ٢٩) فأنطق الله وليدها في المهد ببراعتها ونزاهتها، ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا. وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا. وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ (مريم ٣٠-٣٣). ورد عيسى عليه السلام ليس فيه تبرئة لأمه فحسب؛ وإنما فيه رد عليهم بما زعموا، فالله لا يعطي الكتاب والنبوة لولد من زنى. (٢)

الدعوة والمعجزة

شق عيسى طريقه وشب، وكُلف بالرسالة، وأخذ يدعو قومه إلى التوحيد، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (المائدة ٧٢) وأخذ قومه يعادونه أشد العدا، وقد أعطاه الله المعجزات كغيره من الأنبياء، قال تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران ٤٩) فهذه معجزات لا يستطيعونها، ولا يهتدون إليها، وأنى لطبيب إبراء الأكمه الذي هو أسوأ حالا من الأعمى، والأبرص، والمجنوم، ومن به مرض مزمن، وكيف يتوصل أحد من الخلق إلى أن يقيم الميت من قبره، فكل هذه معجزات تقيم الحجة على الخصوم، وتلزمهم باتباع نبي الله عيسى عليه السلام. (٣) لكنهم كانوا أكثر صدا وإعراضا وكفرا،

1- انظر تفسير السعدي ص ٤٩٢.

2- انظر صحيح قصص الأنبياء ص ٤٦٨.

3- انظر البداية والنهاية ج ٢ ص ٧٧.

بل وربما كانت المعجزات سببا في إيذائه، والتفكير في قتله، فقد ذكر ابن اسحق " أن عيسى عليه السلام جلس يوماً مع غلمان من الكتّاب، فأخذ طيناً، ثم قال: أ جعل لكم من هذا الطين طائراً؟ قالوا: وتستطيع ذلك! قال: نعم! بإذن ربي. ثم هيأه، حتى إذا جعله في هيئة الطائر نفخ فيه، ثم قال: (كن طائراً بإذن الله)، فخرج يطيرُ بين كفيه. فخرج الغلمان بذلك من أمره، فذكروه لمعلمهم، وأفشوه في الناس، فهمت به بنو إسرائيل، فلما خافت أمه عليه حملته على حمار لها، ثم خرجت به هاربة." (١)

اتخاذ الأنصار

لما أخرجوه وأمه كان لا بد له من أن يتخذ له أعوانا لينصروه، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَآشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ. رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (آل عمران ٥٢-٥٣) قال ذلك عندما استشعر منهم التصميم على الكفر والاستمرار على الضلال، فانتدب له طائفة من بني إسرائيل، فأمنوا به وأزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، وعاد إليهم مع الحواريين، وصدع بالدعوة فهموا بقتله والفتك به (٢) قال تعالى: ﴿ وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (آل عمران ٤٤) مكروا به وتمالئوا عليه ووشوا به إلى ملك ذلك الزمان، وكان كافراً، أن هنا رجلاً يضل الناس ويصددهم عن طاعة الملك، ويفسد الرعايا، ويفرق بين الأب وابنه، إلى غير ذلك مما تقلدوه في رقابهم، ورموه به من الكذب، وأنه ولد زنية، حتى استثاروا غضب الملك، فبعث في طلبه من يأخذه ويصلبه وينكل به. (٣)

النجاة ورفعته إلى السماء

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْفَعْكَ وَإِنِّي مَتُوفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (آل عمران ٥٥) قال سيد قطب: " فأما كيف كانت وفاته، وكيف كان رفعه، فهي أمور غيبية، تدخل في المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله، ولا طائل وراء البحث فيها، لا في عقيدة ولا في شريعة، والذين يجرون وراءها، ويجعلونها مادة للجدل، ينتهي بهم الحال إلى المراء، وإلى التخليط، وإلى التعقيد، دون ما جزم بحقيقة، ودون ما راحة بال في أمر موكل إلى علم الله تعالى. " (٤) لقد تأمر أعداء الله من اليهود على قتل عيسى عليه السلام والخلص منه ومن

1- تفسير الطبري ج ٥ ص ٤١٩.

2- انظر تفسير القرطبي ج ٥ ص ٢٥.

3- انظر في ظلال القرآن ج ١ ص ٤٠٣.

4- في ظلال القرآن ج ١ ص ٤٠٣.

دعوته، وعزموا على قتله وصلبه، فلما أحاطوا بمنزله وظنوا أنهم قد ظفروا به نجاه الله تعالى من بينهم، ورفعهم إلى السماء، رفعه إليه حياً ببدنه وروحه، ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وألقى الله شبهه على رجل ممن كان عنده في المنزل، ولا يفيدنا أكان من الحواريين، أم من أعدائه، ولما دخل أولئك اعتقدوا أنه عيسى، فأخذوه وأهانوه وصلبوه ووضعوا على رأسه الشوك. وكان هذا من مكر الله بهم، فإنه نجاً نبيه ورفعهم من بين أظهرهم، وتركهم في ضلالهم يعمهون، يعتقدون أنهم قد ظفروا بطلبهم، وأسكن الله في قلوبهم قسوة وعناداً للحق ملازماً لهم، وأورثهم ذلة لا تفارقهم إلى يوم التتاد.^(١) ومما يدل على أن ما دبره اليهود من القتل والصلب وقع على شبيهه له، قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا. بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء ٥٧-٥٨). وسيتحقق وعد الله وينزل عيسى في آخر الزمان، ليرفع الظلم، ويقوم العدل، ويقتل الدجال، قال النبي ﷺ [لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد]^(٢).

المطلب السادس: نجاه صاحب نبي الله يوسف من القتل والسجن.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ (يوسف ٤٥)

دخل مع يوسف السجن غلامان كانا يعملان عند الملك، كان أحدهما على شرايه، وكان الآخر خبازاً له، وقد أدخلهما السجن بسبب غَضَبَةٍ غَضِبَهَا عليهما، وذلك أنه عمَّرَ فيهم فملوه، ففسدوا إلى خبازه وصاحب شرايه أن يسماه جميعاً، فأجاب الخباز وأبى صاحب الشراب، فانطلق صاحب الشراب فأخبر الملك بذلك، فأخبر الخباز الملك بأن الساقى أيضاً يريد وضع السم للملك، فأمر الملك بحبسهما، فاستأنسا بيوسف. وقد كان من إحسان يوسف ﷺ أنه إذا مرض إنسان في السجن قامَ عليه، وإذا احتاج جمع له، وإذا ضاق عليه المكان وسَّعَ له، وكان يعزي الحزين، ويصلي الليل كله، ويبكي حتى تبكي معه جدر البيوت وسقفها.^(٣) وقد ذكر الطبري " أن يوسف ﷺ لما أدخل السجن، قال لمن فيه من المحبسين، وسألوه عن عمله: إني أعبرُ الرؤيا: فقال أحد الفتين اللذين أدخلهما معه السجن لصاحبه: تعال فلنجربه".^(٤) قال الطاهر بن عاشور:

1 انظر تفسير القرطبي ج ٥ ص ٢٦.

٢ صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب كسر الصليب وقتل الخنزير ح ٢٤٧٦.

3 انظر تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٤٨١.

4- تفسير الطبري ج ١٣ ص ١٥٢.

"ومن عادة المساجين حكاية المرآي التي يرونها، لفقدانهم الأخبار، ولأنهم يتفاعلون بما عسى أن يبشرهم بالخلاص في المستقبل. وكان علم تعبير الرؤيا من العلوم التي يشتغل بها كهنة المصريين، كما دل عليه قوله تعالى حكاية عن ملك مصر: ﴿ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ (يوسف ٤٣)"^(١). والمشهور أن الفتيان كانا صادقين في أنهما رأيا في المنام رؤياهما،^(٢) قال ابن عباس: [لما رأيا رؤياهما أصبحا مكروبين؛ فقال لهما يوسف: مالي أراكما مكروبين؟ قالوا: يا سيدنا! إنا رأينا ما كرهننا؛ قال: فقصا علي، فقصا عليه؛ قالوا: نبئنا بتأويل ما رأينا؛ وهذا يدل على أنها كانت رؤيا منام].^(٣) وقد كانت رؤياهما كما حكاها القرآن الكريم: ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف ٣٦) فالساقى قال: رأيت نفسي في بستان، فإذا بكرمة حسنة عليها ثلاثة عناقيد من العنب، فقطقتها وعصرتها في كأس الملك، وسقيته. وقال الخباز: رأيت نفسي وفوق رأسي ثلاث سلال فيها أنواع الأطعمة، وإذا سباع الطير تنهش منها.^(٤)

ومع شعور يوسف عليه السلام حاجتهما لمعرفة تأويل رؤياهما، بدأ يطمئنهما، قال تعالى: ﴿ قَالَ لَأَيَّتِكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِنَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي... ﴾ (يوسف ٣٧) ثم أخذ يستغل عمله في الدعوة إلى الله عز وجل فقال: ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَأَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ * يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَأَيْتَ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِنَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف ٣٧-٤٠)

ولعل يوسف عليه السلام قصد أن يدعوهم إلى الإيمان في هذه الحال التي بدت حاجتهما إليه، ليكون أنجع لدعوته، وأقبل لهما، والذي يفهم من السياق أن نهاية الساقى هي الاستجابة للإيمان^(٥) وذلك من خلال مخاطبته لنبي الله يوسف بقوله: ﴿ يَوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ... ﴾ (يوسف ٤٦) ثم بدأ يوسف عليه السلام يؤول لهما رؤياهما، قال تعالى: ﴿ يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ

1- التحرير والتنوير ج ١٢ ص ٢٦٩ بتصرف يسير.

2- انظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٠٨.

3- تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٤٨٢.

4- انظر الكشف للزمخشري ج ٢ ص ٤٤٢.

5- انظر تفسير السعدي ج ١ ص ٣٩٧.

الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿ (يوسف ٤١) قال يوسف عليه السلام للساقى: ما رأيت من الكرامة وحسنها هو الملك، وحسن حالك عنده؛ وأما العناقيد الثلاثة فإنها ثلاثة أيام تمضي في السجن، ثم تخرج وتعود إلى ما كنت عليه ساقيا للملك. وقال للخباز: ما رأيت من السلال الثلاثة فهي ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل. فلما أفتاهما أخذا يلحان عليه ويحاولان التحقق من العاقبة النهائية لهما أهي نجاة أم هلاك، فقال لهما: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾، أي: هلاك أحدهما ونجاة الآخر. ^(١) وما أن انقضت ثلاثة أيام حتى تحقق تأويل يوسف للرؤى وقتل الخباز، ونجا الساقى وهذه عاقبة الأمانة والصدق، فلما كان الساقى أميناً حافظاً للعهد لم يخن مملكته، كانت النجاة رغم الوشاية ورغم التهمة بالتدبير لقتل الملك، قال تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأنبياء ٩٤) وحفظ الساقى عهد يوسف وكانت رؤيا الملك فرصة لإخباره عن يوسف عليه السلام لتكون نجاة ليس للساقى ويوسف فحسب بل لمصر جميعاً.

المطلب السابع: نجاة مؤمن آل فرعون من القتل

قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النِّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ (غافر ٤٢-٤٣)

والصحيح أن هذا الرجل المؤمن من جماعة فرعون، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ (غافر ٦٨)؛ لأن فرعون استمع له وانفعل معه وكف عن قتل موسى عليه السلام. ^(٢) قال ابن عباس: [لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل وامرأة فرعون، والذي قال: ﴿يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ (القصص ٢٠)] ^(٣) وقصة موسى في سورة غافر، تميزت بورود قصة هذا المؤمن الذي أظهر إيمانه في وقت أشد ما يحتاج إليه موسى أمام فرعون الحاكم بأمره، الذي تأله في الأرض، واغتر بملكه، حتى قال أنا ربكم الأعلى، وقد أرسل له موسى وإلى هامان ساعد فرعون الأيمن، وقد اشتد حقد فرعون، وغيظه، حتى قال: ﴿ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ﴾ (غافر ٣٦) وقد رأى مؤمن آل فرعون ما ينوي فرعون وملؤه فعله ضد موسى، فتحرك الإيمان في قلبه، وأعلن عن نفسه، بعد أن ظل مدة يكتُم إيمانه، ونادى (يَا قَوْمِ) وأخذ يناقش قومه بالحجة والبرهان، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ (غافر ٢٨) كانت هذه رسالته الأولى عن سبب قتل موسى عليه السلام

1- انظر الكشاف للزمخشري ج ٢ ص ٤٤٤.

2- انظر أضواء البيان ج ٧ ص ٨٥، وانظر ابن كثير ج ٤ ص ٩٨.

3- انظر تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٩٨.

أتريدون قتله بمجرد قوله ربي الله، وهو الذي جاء بالبراهين والأدلة الواضحة على حقيقة ما يقول، فإن كان كاذبا في قوله أن الله أرسله إليكم، فإنما إثم كذبه عليه، دونكم وإن كان صادقا في قوله ذلك، أصابكم الذي وعدكم من العقوبة بسبب بقائكم على دينكم الذي أنتم عليه، لذا أنا أرى أن لا حاجة بكم إلى قتله، فإن قتله سيزيد ربكم سخطا على سخطه بكفركم {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ} إذ لا يُوقَّق للحق من هو متعد إلى فعل ما ليس له فعله. (1) والظاهر أن دفاع هذا الرجل عن موسى لم يكن في جولة واحدة، إنما استغرق ذلك عدة جلسات، لكنه لم يعلن عن نفسه إلا عندما أصبح الإعلان عن نفسه ضرورة ملحة لنصرة دعوة موسى ﷺ، ومع إعلانه عن نفسه أخذ يسوق أدلة بطلان قتلهم لموسى ﷺ: قال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَبْغُوا فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا...﴾ (غافر ٢٩) ذكرهم بما هم فيه من الملك؛ ليشكروا الله، ولا يتمادوا في كفرهم، وذكرهم بأنهم ظاهرين على الناس بالغبطة والاستعلاء عليهم، فمن يمنعنا من عذابه ويحول بيننا وبينه عند مجيئه، وفي هذا تحذير منه لهم من نقمة الله بهم، وإنزال عذابه عليهم، فلما سمع فرعون ما قاله هذا الرجل من النصيح الصحيح، جاء بمراوغة يوهم بها قومه أنه لهم من النصيحة والرعاية بمكان مكين وأنه لا يسلك بهم إلا مسلكا يكون فيه جلب النفع لهم ودفع الضر عنهم ولهذا قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر ٢٩) أي ما أشير عليكم إلا بما أرى لنفسي وما أهديكم بهذا الرأي إلا طريق الحق. (2) وهذه من المفارقات العجيبة، فموسى يظهر في الأرض الفساد وفرعون يهدى إلى سبيل الرشاد!

استفاد مؤمن آل فرعون من عبر التاريخ في دعوة قومه، وخوفهم بالذي حل للأمم السابقة التي كفرت بالرسول، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ * مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ * وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُولُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ (غافر ٣٠-٣٤) فليس قوم فرعون أفضل من هذه الأقوام، وقد استخدم كلمة يَا قَوْمِ حتى يظهر انه واحد منهم وليس غريبا عليهم، ثم ذكرهم بسيدنا يوسف، الذي جاءهم بالبينات من قبل وموقفهم منه، فازداد طغيان فرعون وأصر على عناده، حتى أصبح يريد تفرغ حقه فبدأ يحلم بالثأر من الله عز وجل وإثبات كذب موسى ﷺ قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرِّحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ﴾

1- انظر تفسير الطبري ج ٢٠ ص ٣١٢.

2- انظر فتح القدير ج ٤ ص ٤٨٩.

الأسباب* أسباب السموات فأطع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً وكذلك زين فرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تبابٍ ﴿(غافر ٣٧).^(١) وتحتدم المناقشة وبدأ مؤمن آل فرعون يزيد من وتيرة وعظه، وعرف أن الذي يمنعهم من اتباع الحق هو الدنيا، فأراد أن يبين لهم قيمتها وأنها لا قيمة لها في الآخرة التي هي دار الخلود، وان الإيمان هو أساس أي عمل صالح قال تعالى: ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ * مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (غافر ٣٩-٤٠)^(٢)

وبعد هذه المناقشة الحادة، أصبح مؤمن آل فرعون مكشوفاً عندهم، ومتهماً بإيمانه، فحاوروه للرجوع عن دينه، وعودته إلى الوثنية، وشكلوا عليه ضغطاً شديداً، مما جعله يستغرب من هذا النهج العقيم، قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النِّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴾ (غافر ٤١-٤٣) فهو يدعوهم إلى النجاة من عذاب الله، والنعيم الخالد الذي لا يزول، وهم يدعونهم إلى الكفر، والوثنية التي عاقبتها العذاب في النار، فخطبهم قائلاً: حقاً إن ما تدعونني إليه لا يستحق من الدعوة شيئاً؛ لعجزه ونقصه، وأنه لا ينفع ولا يضر، وأن المسرفين الذين تجرؤوا على ربهم بمعصيته مصيرهم حتماً إلى النار، فشتان بين دعوتي ودعوتكم.^٣ ومع إصرارهم، وتمسكهم بنهجهم الخاطئ الظالم اقتنع المؤمن أن لا جدوى من استجابتهم له، وأن عداؤهم حتماً سيؤدي إلى عقوبة إلهية لا مناص منها، فأحزنه ذلك، والظاهر أنهم هددوه، وتوعدوه، فقال بلسان الحزين المفارق لما هم عليه، ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَؤُصُّ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (غافر ٤٤) "فإنه يعلم أحوالهم وما يستحقون، يعلم حالي وضعفي فيمنعني منكم ويكفيني شركم، ويعلم أحوالكم فلا تتصرفوا إلا بإرادته ومشيتته، فإن سلطكم علي، فبحكمة منه تعالى، وعن إرادته ومشيتته صدر ذلك"^(٤). هذا الموقف من مؤمن آل فرعون جعل فرعون وكبار مجلسه يضيقون به ذراعاً، فأخذوا يدبرون له المكيدة، ولما كان من الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، حفظه الله ونجاه من كل سوء وشر، قال تعالى: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ (غافر ٤٥)^(٥) وكالعادة في سنن الله، حفظه الله تعالى من القتل ونجاءه، إذ هرب منهم والتحق بموسى عليه السلام فبعث فرعون رجالاً في طلبه فلم يقدرُوا عليه، ونجا مع موسى

1- انظر تفسير الطبري ج ٢٠ ص ٣١٤.

2- انظر التفسير الوسيط ج ٣ ص ٢٢٧٥.

3- انظر تفسير السعدي ص ٧٣٨.

4- تفسير السعدي ص ٧٣٨.

5- انظر قصص القرآن لمحمد جاد المولى ومحمد إبراهيم وغيرهم ص ١٤٦.

وبني إسرائيل. ^(١) قال سيد قطب: " وينتهي الجدل والحوار، وقد سجل مؤمن آل فرعون كلمته الحق خالدة في ضمير الزمان، ويُجمل السياق حلقات القصة بعد هذا، وما كان بين موسى وفرعون وبني إسرائيل، إلى موقف الغرق والنجاة، ويقف ليسجل لقطات بعد هذا الموقف الأخير، وبعد تحقيق النجاة: {فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ...} لقد طويت الدنيا، وعرضت أول صفحة بعدها، فإذا الرجل المؤمن، قد وقاه الله سيئات مكر فرعون وملئه، فلم يصبه من آثارها شيء في الدنيا، ولا فيما بعدها أيضاً، بينما حاق بآل فرعون سوء العذاب: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر ٤٥). ^(٢) وصدق الله ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (الأعراف ١٦٥).

الخلاصة

قال ابن مسعود: [لو أخذ الله الخلائق بذنوب المذنبين لأصاب العذاب جميع الخلق حتى الجعلان في جحرها ولأمسك الأمطار من السماء والنبات من الأرض فمات الدواب، ولكن الله يأخذ بالعرف والفضل كما قال: ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ (الشورى ٣٠)] ^(٣) والعذاب والعقوبة التي أوعدها الله بها الأمم لها موعد صدق يأتيها وإن طال على سبيل الاستدراج أو الإمهال، إذ هو سنة كونية يعذب الله بها الأمم، أمة تلو أمة، وهذه السنن لا تحابي أمة، ولا تتجاوز مستحقاً للعذاب، وإن تأخر ذلك إلى حين أجله، وقد قال الله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (الأعراف ٣٤). وقد رأينا سنة الله في الأمم لم تتغير، فالهلاك واحد، والتغير في طريقة الهلاك، فكل الأمم كان هلاكها بسبب عنادها وتكبرها على رسلها، وعدم استجابتها لدين الله، لذلك حاق عليها العذاب. ومن نجا من الأمم، كانت نجاته، بسبب الاستجابة لدين الله وتأيد الرسل، والدعوة إلى ذلك من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فسنة الله واحدة لا تغيير فيها ولا تبديل، قال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب ٦٢) فالعاقل من اعتبر فآثر الآخرة على العاجلة، واستجاب لنداء الإيمان، لينجو من عذاب الله قبل أن يأتيه بغتة ثم يتحسر بعد ذلك، قال تعالى: ﴿وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ* وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ* أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ* أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ* أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الزمر ٥٤-٥٨).

1- انظر تفسير الطبري ج ٢٠ ص ٣٣٦

2- في ظلال القرآن ج ٥ ص ٣٠٨٣

3- تفسير القرطبي ج ١١ ص ١٢٣

الفصل الرابع

أصناف الناجين ومراتبهم

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: أصناف الناجين
- المبحث الثاني: مراتب الناجين

الفصل الرابع

أصناف الناجين ومراتبهم

قال تعالى: ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَقَازِتِهِمْ لَّا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (الزمر ٦١). قال السعدي: "أي: بنجاتهم، وذلك لأن معهم آلة النجاة، وهي تقوى الله تعالى، التي هي العُدَّة عند كل هول وشدة. {لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ} أي: العذاب الذي يسوؤهم {وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} فنفسهم عنهم مباشرة العذاب وخوفه، وهذا غاية الأمان. فلهم الأمان التام، يصحبهم حتى يوصلهم إلى دار السلام، فحينئذ يأمنون من كل سوء ومكروه، وتجري عليهم نضرة النعيم" (١)

والناس متفاوتون يوم القيامة، فهم بصورة عامة على أقسام، وهم كذلك بصورة خاصة بالنسبة للمؤمنين، على أقسام أيضا، وهذا ما يوضحه كتاب الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ * فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ * إِنْ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ (الواقعة ٨٨-٩٦)

وبما أن الناس يتفاوتون في تقربهم إلى الله واجتتابهم نواهيهم، فإن هذا ينتج عنه تفاوت في النجاة، فشتان بين من يبعث، فيكون يوم الحشر عليه كما بين الظهر والعصر، وبين من يكون طول يوم الحشر عنده خمسين ألف سنة (٢)، قال تعالى: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (المعارج ٤). وشتان بين من يدخل الجنة بغير حساب، وبين من يحاسب حسابا يسيرا، أو يناقش الحساب فيعذب، فالناس يوم القيامة متفاوتون، بل المؤمنون يوم القيامة متفاوتون، والباحث في هذا الفصل سيتناول أصناف الناس، وأصناف المؤمنين، في مبحثين.

1- تفسير السعدي ج ١ ص ٧٢٨.

2- انظر تفسير البغوي (معالم التنزيل للبغوي) لأبي محمد بن مسعود البغوي ج ٦ ص ٣٠٠.

المبحث الأول

أصناف الناجين

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: أقسام الناس يوم القيامة
- المطلب الثاني: أقسام المؤمنين يوم القيامة

المبحث الأول: أصناف الناجين

تدل الآيات في القرآن الكريم، وكذلك الأحاديث النبوية، أن الناس لايزيدون على قسمين يوم القيامة، مؤمنون، وكافرون، ثم إن المؤمنين يختلفون باختلاف درجة إيمانهم وتقواهم، فينقسمون إلى أقسام، وهذا ما سنبينه في هذا المبحث:

المطلب الأول: أقسام الناس يوم القيامة

قال تعالى: ﴿... وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ

الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (الواقعة ٧-١١)

الناس في طريقهم إلى الله تعالى أصناف، وكل يقطع مراحل عمره مسافرا إلى الله، وكلما قطع مرحلة، اقترب من الدار الآخرة، فإما أن يزيده اقترابه بعداً عن الله، وإما أن يزيده قربا منه، فإما العذاب والخلود في النار، وإما الخدش والنهش والعذاب لتتقيته مما حمل من الذنوب والمعاصي قبل النجاة ودخول الجنة، وإما الفوز بالجنان والفردوس الأعلى.

عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا يا رسول الله: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: إنادي مناد يوم القيامة، ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم، حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر، وغبرات من أهل الكتاب، ثم يؤتى بهم تعرض كأنها سراب: فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله: فيقال: كذبتم لم يكن الله صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ قالوا: نريد أن تسقينا، فيقال اشربوا، فيتساقطون في جهنم. ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال كذبتم لم يكن الله صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟ فيقولون: نريد أن تسقينا، فيقال: اشربوا، فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر، فيقال: لهم ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟ فيقولون فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم، وإنا سمعنا مناديا ينادي ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون، وإنما ننتظر ربنا، قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم، فيقولون أنت ربنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه، فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقا واحدا، ثم يؤتى بالجسر، فيجعل بين ظهري جهنم، المؤمن عليه كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجويد الخيل والركاب، فجاج مسلم، وناج مخدوش، ومكدوس^(١) في نار جهنم، حتى يمر

1- مكدوس بالسین المهملة وهو الأصل، وقيل بالشين المعجمة. ومعناه بالمعجمة: السَّوْقُ بِشِدَّةٍ، وبالمهملة: كون الأشياء بعضها على بعض، ومنه تكدست الدواب في سيرها إذا ركب بعضها بعضا، انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ٣٠.

آخرهم يسحب سحباً، فما أنتم بأشد لي مناقشة في الحق، قد تبين لكم من المؤمن يومئذ للجبار، وإذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم، يقولون ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا، ويصومون معنا، ويعملون معنا، فيقول الله تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه متقال دينار من إيمان فأخرجوه [...] ^(١). هذا الحديث فصل في درجات الناس ومراتبهم، وهم مع ذلك لا يزيدون على قسمين:

القسم الأول

وهم الذين قطعوا حياتهم مسافرين إلى دار الشقاء، وكلما قطعوا مرحلة من حياتهم، اقتربوا من دار الشقاء وابتعدوا عن ربهم، وعن دار كرامته، فقطعوا تلك المراحل بمساخط الرب ومعاداته، ومعادة رسله وأوليائه، والسعي في إطفاء نوره، وإبطال دعوته، وإقامة دعوة غيره، فهؤلاء جعلت أيامهم يسافرون فيها إلى الدار التي خلقوا لها، واستعملوا بها، فهم مصحوبون فيها بالشياطين الموكلة بهم، يسوقونهم إلى منازلهم سوقاً، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ (مريم ٨٣) أي تزعجهم إلى الكفر والمعاصي إزعاجاً، وتسوقهم سوقاً. ^(٢)

القسم الثاني

وهو صنف عرف الطريق، وثبت عليه، فمنهم من عرف الطريق إلى الله وثبت عليه، فهو يجاهد نفسه، ويجاهد شيطانه، وهواه، ودينياه، على أن يظل في هذا الطريق. ^(٣) وهذا الصنف أصحابه مختلفون في قدر الطاعة، ومختلفون في قدر العبادة، وهذه فطرة الله في خلقه أن يكون هذا التباين والاختلاف، فهذا جعل همه العلم وعكف عليه ليوصله إلى الله، وهذا همه الصلاة، وهذا عمله تلاوة القرآن، وهذا قيام الليل، وهذا الصيام، وهذا عمله إغاثة اللفان، وتفريج الكربات، وأنواع الصدقات، وهذا جعل طريقه الحج والاعتماد، وهذا أخذ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله. وهكذا فهم مختلفون بقدر ما من الله به على كل واحد منهم، وهم مختلفون في مقدار القرب والبعد عن الله، ولذلك فإن ابن القيم قال عن الصنف الثاني: إنهم قطعوا تلك المراحل سائرين فيها إلى الله، وإلى دار السلام. وقسمهم إلى ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات ^(٤)

1- صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} ح ٧٤٣٩ .

2- انظر طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن قيم الجوزية ص ١٨٠.

3- انظر المرجع السابق والصفحة .

4- انظر المرجع السابق .

المطلب الثاني: أقسام المؤمنين يوم القيامة

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ* جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ (فاطر ٣٢- ٣٣)

قال ابن كثير: "وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ" وهو: المؤدي للواجبات، التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات. {وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ} وهو: الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات".^(١) وقال ابن تيمية: "وهكذا جاء القرآن فجعل الأمة على هذه الأصناف الثلاثة، فالمسلم الذي لم يقم بواجب الإيمان، هو الظالم لنفسه، والمقتصد هو المؤمن المطلق، الذي أدى الواجب وترك المحرم، والسابق بالخيرات هو المحسن، الذي عبد الله كأنه يراه".^(٢) قال سعيد حوى: "ثم أورثنا الكتاب، أي القرآن، الذين اصطفينا من عبادنا، من هذه الأمة المجتابة، ثم رتبهم على مراتب، فمنهم ظالم لنفسه، وهو المفرط في فعل بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات، ومنهم مقتصد، وهو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا".^(٣)

قال السعدي: "اشترك هؤلاء الثلاثة في أصل الإيمان، وفي اختيار الله لهم من بين الخليفة، وفي أنه من عليهم بالكتاب، وفي دخول الجنة. وافترقوا في تكميل مراتب الإيمان، وفي مقدار الاصطفاء من الله، وميراث الكتاب، وفي منازل الجنة ودرجاتها بحسب أوصافهم".^(٤) ولا بد لنا من تناول هذه الأقسام لتوضيح هذا الأمر وهي كالتالي:

القسم الأول: الظالم لنفسه

هذا القسم جاء ضمن ثلاثة أقسام من أقسام المؤمنين، تحدثت عنه الآية، بل وبدأ الله به قبل أن يتناول القسمين الآخرين، وقد اختلف العلماء فيه، فمنهم من قال: هو الكافر، ومنهم من قال: هو المنافق، ومنهم من قال: هو المؤمن، والذي يتضح للباحث أنه يصنف ضمن المؤمنين وذلك للآتي:

1- تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٧٠٩.

2- مجموع الفتاوى، كتاب الإيمان الكبير، الدين وأهله ثلاث طبقات ج ٧ ص ٣٥٨.

3- الأساس في التفسير لسعيد حوى ج ٨ ص ٤٥٩٥.

4- تفسير السعدي ج ٢ ص ٦٥.

أولاً: الظالم لنفسه ضمن أمة محمد ﷺ:

الذي يظهر للباحث أن الأصناف الثلاثة على أرجح الأقوال من أهل الدين والإسلام، إلا أنهم متفاوتون في السير إلى الله والعمل، فالظالم لنفسه هو من قصر في أداء الواجبات وارتكب بعض المحرمات، وغلبت سيئاته على حسناته، وعليه فهو من هذه الأمة للأدلة الآتية:

١- كثرة الأحاديث الواردة في أن بعض المؤمنين يعذبون في النار ولا يخلدون فيها، منها: عن جابر بن عبد الله في سؤاله عن حديث ورود النار قال: [... حتى يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، فيجعلون بفناء الجنة، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء، حتى ينبتوا نبات الشيء في السيل، ويذهب حرقه^(١)، ثم يسأل حتى تجعل له الدنيا وعشرة أمثالها معها].^(٢) أي يكون نصيبه في الجنة مثل عشر أضعاف الدنيا.

٢- أن من غلبت حسناته سيئاته فهو ناج كما جاء ذلك في كتاب الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ* وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف: ٨-٩) قال مجاهد: [فمن ثقلت موازينه قال: حسناته ومن خفت موازينه قال: حسناته]^(٣) وقال حذيفة وعبد الله بن مسعود: [يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف، فمن رجحت حسناته على سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته بواحدة دخل النار، ومن استوت حسناته وسيئاته فهو من أهل الأعراف].^(٤) وهذه الموازنة تكون بعد قصاص واستيفاء المظلومين حقوقهم من حسناته، وهذا يدل أن الظالم لنفسه من قصر في أداء الواجبات، وارتكب بعض المحرمات، فطاله عذاب الله على قدر تقصيره.

٣- ومما يثبت أن الظالم لنفسه مقصر ومعذب، أن جميع الأصناف الثلاثة غير معصومين من الذنوب، فالمقتصد يذنب والسابق بالخيرات يذنب، وما يميزهم عن الظالم لنفسه، أنهم يجعلون التوبة ويستغفرون. قال النبي ﷺ [لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم].^(٥) وقال النبي ﷺ [كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون].^(٦)

1- حُرَاقَةُ : الحُرَاقَةُ : الموضع المحترق من الجسم. انظر جامع الأصول في أحاديث الرسول ج ١٠ ص ٤٨٩ .
2- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ح ١٩١ .
3- انظر الدر المنثور ج ٦ ص ٣٢١ .
4- انظر طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٣٦٢ .
5- صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب: فضل دوام الذكر والفكر ح ٢٧٤٩ .
6- سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب ح ٢٤٩٩ حسنه الألباني.

ثانياً: الظالم لنفسه من المصطفين

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ (فاطر ٣٢)

الذي يظهر من الآية وهو الأظهر لدى الباحث: أن الظالم لنفسه يدخل في المصطفين. قال الشنقيطي: "قد بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن إیراث هذه الأمة لهذا الكتاب، دليل على أن الله اصطفاها في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وبين أنهم ثلاثة أقسام: وذكر منهم الظالم لنفسه، وهو الذي يطيع الله ولكنه يعصيه أيضاً، فهو الذي قال الله تعالى فيه ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ (التوبة: ١٠٢)"^(١) وبعد أن ذكر الشنقيطي الأصناف الثلاثة قال: "وهذا على أصح الأقوال في تفسير الظالم لنفسه، والواو في يدخلونها شاملة للظالم والمقتصد والسابق، على التحقيق. ولذا قال بعض أهل العلم: حق لهذه الواو أن تكتب بماء العينين، فوعده الصادق بجنات عدن لجميع أقسام هذه الأمة، وأولهم الظالم لنفسه يدل على أن هذه الآية من أرجى آيات القرآن، ولم يبق من المسلمين أحد خارج عن الأقسام الثلاثة، فالوعد الصادق بالجنة في الآية شامل لجميع المسلمين ولذا قال بعدها متصلاً بها ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ (فاطر ٣٦)".^(٢)

وسبب تقديم الظالم لنفسه على المقتصد والسابق بالخيرات لثلاثي بيأس من رحمة الله تعالى، وقد أخرج السابق لثلاثي يُعْجَب بعمله، فتعين توسط المقتصد، والنكته في تقديم الظالم، أنه أقرب الثلاثة إلى بداية حال العبد قبل اصطفاؤه بإيراث الكتاب، فإذا باشره الاضطفاء، فمن العباد من يتأثر قليلاً وهو الظالم لنفسه، ومنهم من يتأثر تأثراً وسطاً وهو المقتصد، ومنهم من يتأثر تأثراً تاماً وهو السابق.^(٣) ويتبين لنا من خلال هذا العرض، أن الظالم لنفسه يصنف مع المصطفين، لكنه إنسان يعصي ربه عز وجل، وهو وإن كان مؤمناً فإن ذلك لن يعفيه من العقاب على تقصيره، فهو محاسب لا محالة، إلا أن يتغمده الله برحمته.

ثالثاً: الظالم لنفسه معذب إلا أن يرحمه الله تعالى

قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَدَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (مريم ٧١-٧٢) قال الشنقيطي: "اختلف العلماء في المراد بورود النار في هذه الآية الكريمة على أقوال:

1- أضواء البيان ج ٦ ص ١٦٤.

2- أضواء البيان ج ٦ ص ١٦٤.

3- انظر تفسير الألوسي ج ٢٢ ص ١٩٧.

الأول: أن المراد بالورود: الدُخول، ولكن الله يصرفُ أذاها عن عباده المتقين عند ذلك الدخول. والثاني: أن المراد بورود النار المذكور: الجواز على الصراط؛ لأنه جسر منصوب على متن جهنم.^(١) واستدل أيضاً على أن الورود بمعنى الدخول بما ذكره في مقدمة كتابه فقال: "إن من أنواع البيان المذكورة في القرآن، الاستدلال على أحد المعاني الداخلة في معنى الآية بكونه هو الغالب في القرآن، فغلبته فيه، دليل على عدم خروجه من معنى الآية".^(٢) وهو ما استدل به ابن عباس على أن ورود النار جاء في القرآن في آيات متعددة، والمراد في كل واحدة منها الدخول، كقوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ (هود: ٩٨) وقوله: ﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٩) وكقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٨) والورود في الآيات ورود دخول.^(٣)

قال الدكتور عمر الأشقر: "والحق أن الورود على النار ورودان، ورود الكفار أهل النار، فهذا ورود دخول لا شك في ذلك، كما قال تعالى في شأن فرعون ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ أي: بنس المدخل المدخول. والورود الثاني: ورود الموحدين، أي مرورهم على الصراط، على النحو المذكور في الأحاديث".^(٤)

وحقيقة الأمر أنه ليس هناك فرق بالنسبة للمؤمن بين الدخول والمرور، فإن كان ممن غلبت سيئاته حسناته فإنه معذب حتى ولو مر على النار مرورا: لقول النبي ﷺ: [...] فَنَاجِ مُسْلِمًا، وَنَاجِ مَخْدُوشًا، وَمَكْدُوسًا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَ آخِرَهُمْ يَسْحَبُ سَحْبًا...^(٥)

وإن كان ممن غلبت حسناته سيئاته فهو ناج حتى ولو كان دخولا، قال النبي ﷺ: [إِنِّي أَرْجُو أَنْ لَا يَدْخُلَ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَحَدٌ شَهِدَ بَدْرًا وَالحَدِيثِيَّةَ. قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا} قَالَ: أَفَلَمْ تَسْمَعِيهِ يَقُولُ: {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا}].^(٦) وقد جاء التصريح في الأحاديث، بعذاب أهل التوحيد: قال النبي ﷺ: [يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا فيها حمما ثم تدركهم الرحمة

1- أضواء البيان للشنقيطي ج٤ ص٣٧٦.

2- أضواء البيان ج١ ص١٨.

3- انظر التمهيد لابن عبد البر ج٦ ص٣٥٤.

4- القيامة الكبرى، من سلسلة العقيدة في ضوء الكتاب والسنة لعمر الأشقر ص٢٧٨.

5- صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب، قول الله تعالى: {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} ح٧٤٤٠.

6- سنن بن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر البعث ح٤٢٨١ صححه الألباني.

فيخرجون ويطرحون على أبواب الجنة فيرش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون كما ينبت الغطاء في حمالة السيل ثم يدخلون الجنة].^(١)

وقد وصف النبي ﷺ آخر أهل الجنة دخولاً، وأنه يحبوا تارة، ويجلس تارة، حتى يجد الجنة مملوءة، فيعطيه الله في الجنة مثل ملكٍ من ملوك الدنيا، فيحمد الله على النجاة، وقبله بزمان هناك من دخل بدون حساب، وهناك من دخل منذ زمن بعيد، ولكنه لما رأى النار وهول النار، يقول: الحمد لله الذي أعطاني ما لم يعط أحداً من الأولين والآخرين^(٢) وهو لا شك من الذين ظلموا أنفسهم، فاستحقوا عذاب الله، فكان مصيره العذاب، ثم النجاة، لأنه من أهل التوحيد الذين لم يسعفه حظه أن تغلب حسناته سيئاته.

رابعاً: الظالم لنفسه يدخل الجنة:

قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ* جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ (فاطر ٣٢-٣٣). قال ابن القيم: "ذهبت طائفة أن الأصناف الثلاثة كلهم في الجنة، وهذا يروى، عن ابن مسعود وابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وعائشة أم المؤمنين".^(٣) والباحث يرجح قول أصحاب هذا الرأي للأدلة الكثيرة الواردة في هذا الإتجاه منها:

عن النبي ﷺ أنه قال في هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ﴾ قال: هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة. وعن عبد الله بن مسعود قال: [هذه الأمة ثلاثة أثلاث يوم القيامة؛ ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حساباً يسيراً، وثلث يجيئون بذنوب عظام؛ حتى يقول الله تعالى: ما هؤلاء؟ - وهو أعلم تبارك وتعالى - فتقول الملائكة: هؤلاء جاءوا بذنوب عظام؛ إلا أنهم لم يشركوا بك. فيقول الرب: ادخلوا هؤلاء في سعة رحمتي، وتلا عبد الله هذه الآية ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...﴾].^(٤) وعن ابن عباس قال: [السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد ﷺ].^(٥)

1- سنن الترمذي، كتاب صفة جهنم عن رسول الله ﷺ، باب ح ٢٥٩٧ صححه الألباني.

2- انظر صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة ح ١٨٧.

3- طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ١٨٢.

4- سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن الكريم، باب ومن سورة الملائكة ح ٣٢٢٥ صححه الألباني.

5- انظر تفسير الطبري ج ١٩ ص ٣٦٨.

6- انظر فتح القدير ج ٤ ص ٤٩٨.

القسم الثاني: المقتصد

المقتصد: وهو الذي جاء بأصل الإيمان صحيحاً، وتقرب إلى الله بما افترضه الله عليه، وانتهى عما نهاه عنه. وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات، ويتوسع في المباحات. لكنه يبادر إلى التوبة عند المعاصي، وهي أدنى منازل التقوى المعتبرة في حصول ولاية الله، وذلك أن حقيقة التقوى: أن يجعل العبد بينه وبين غضب الله وقاية، هي فعل الطاعات واجتناب المحرمات.⁽¹⁾

ومن المعلوم أن الأبرار المستحقين لولاية الله لا بد أن يكتمل عندهم الإيمان، وكلما زاد الإيمان كلما زادت قربة العبد من الله، فمن تراجع الإمام مسلم (باب كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص).⁽²⁾ فإذا زاد الإيمان وارتفع فقد أتى العبد بكمال التقوى ويتصف صاحبه بالسابق للخيرات. ولو تأملنا لرأينا أن المقتصد جاء بين الظالم لنفسه والسابق بالخيرات. فظلم النفس رذيلة، والسبق بالخيرات فضيلة، والمقتصد جاء متوسطاً، فلا عقاب الأول يناله، ولا ثواب الثالث يناله. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٦٦) قال سيد قطب: "يبدو من خلال الآيتين، أن الإيمان والتقوى، وتحقيق منهج الله في واقع الحياة البشرية في هذه الحياة الدنيا، لا يكفل لأصحابه جزاء الآخرة وحده - وإن كان هو المقدم وهو الأدموم - ولكنه كذلك يكفل صلاح أمر الدنيا، ويحقق جزاء العاجلة، وفرة ونماء، وحسن توزيع، وكفاية، يرسمها في صورة حسية، تجسم معنى الوفرة والفيض في قوله: {لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ}.⁽³⁾"

وخلاصة القول: إن أهل مرتبة المقتصد هم الذين جاؤوا بكمال الإيمان الواجب، وعبدوا الله على بصيرة، وسلمت قلوبهم من الشرك والريب، وأمراض الشبهات والشهوات، كما سلمت أعمالهم من الإصرار على معاصي الله، فهم ملازمون لطاعته واستغفاره. وهم في الدنيا أهل ولاية الله وعنايته وتسديده، ولا يمنع ذلك من أن تصيبهم بعض المصائب والمكروهات، تمحيصاً للذنوب، وتحقيقاً للصبر والإيمان، وزيادة في الحسنات، ورفعاً في الدرجات، وتكفيراً للسيئات. وفي الآخرة يتولاهم الله أيضاً، فيؤمّنهم من الفرع الأكبر، ويدخلهم الجنة.

1- انظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٧٠٩.

2- انظر صحيح مسلم ص ٥١.

3- في ظلال القرآن ج ٢ ص ٩٣٠.

القسم الثالث : السابقون بالخيرات

وهذه درجة المقربين المحسنين، السابقين والمسارعين في الخيرات، من الأنبياء والصدّيقين. فهم المقربون الذين تقربوا إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، ففعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات، فلما تقربوا إليه بجميع ما يقدرّون عليه من محبوباته، أحبهم الله سبحانه وتعالى فقد أخبر النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه قال: [من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعادني لأعيدنه].^(١)

وهذا يدل على أن لكل شيء علامة، ومحبة الله للعبد لها علامة، منها كون الإنسان متبعاً لرسول الله ﷺ، فإنه كلما كان الإنسان لرسول الله ﷺ أتبع، كان لله أطوع، وكان أحب إلى الله تعالى.^(٢) والله سبحانه قسم أوليائه المقربين قسمين:

الأول: من تقرب بأداء الفرائض. ويشمل ذلك فعل الواجبات، وترك المحرمات، لأن ذلك كله من فرائض الله التي فرضها على عباده.

والثاني: من تقرب إليه بعد الفرائض بالنوافل، فظهر بذلك أنه لا طريق يوصل إلى التقرب إلى الله، وولايته، ومحبته، سوى طاعته التي شرعها، فمن ادعى ولاية الله ومحبته بغير هذه الطريق تبين أنه كاذب في دعواه.^(٣) قال ابن القيم: "وأما السابقون بالخيرات فهم نوعان أبرار ومقربون. وهؤلاء الأصناف الثلاثة: هم أهل اليمين، وهم: المقتصدون والأبرار والمقربون. وأما الظالم لنفسه فليس من أصحاب اليمين عند الإطلاق، وإن كان مآله إلى مصير المؤمنين بعد أخذ الحق منه".^(٤)

والسابقون بالخيرات هم المحسنون، الذين عبدوا الله كأنهم يرونه، واستشعروا رؤية الله لهم، وتميزوا عن غيرهم من المؤمنين، بأنهم عرفوا ربهم فلم يكتفوا بالمجيء بأوامره، والانتهاج عن نواهيه، إنما سارعوا إلى الخيرات تقرباً إلى الله، طمعاً في القرب منه، وربما كانت عبادتهم

1- صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع ح ٦٥٠٢ .

2- انظر شرح رياض الصالحين بتعليق ابن عثيمين ج ٢ ص ١٥٩.

3- انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص ٣٧٨.

4- طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٨١.

لله، ليس خوفاً من الله، بل عبادة لذاته لأنه أحق بالعبادة، فهو لاء عندهم من قوة التصديق ما وصلوا به إلى أعلى المنازل. قال ابن القيم: "ومتى وصل اليقين إلى القلب، امتلأ نوراً وإشراقاً، وانتفى عنه كل ريب، وشك، وسخط، وهمٌّ وعمٌّ، فامتلاً محبة لله، وخوفاً منه، ورضىً به، وشكراً له، وتوكلاً عليه، وإنابةً إليه فهو مادة جميع المقامات والحامل لها".^(١)

والسابقون كما صنفهم ابن القيم آنفاً، هم الأبرار والسابقون، وهؤلاء وردت صفاتهم كثيراً في القرآن الكريم، إلا أن السابقين زادوا على الأبرار في تلك الصفات.

قال ابن تيمية: "قال الأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إليه بالفرائض، يفعلون ما أوجب عليهم، ويتركون ما حرم عليهم، ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات، ولا الكف عن فضول المباحات. وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض، ففعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات".^(٢)

1- تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ص ٤٥٨.

2- مجموع الفتاوى، كتاب التصوف، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، عمل السابقين وأصحاب اليمين ج ١١ ص ١٧٩.

المبحث الثاني

مراتب الناجين

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: الذين لم تسعفهم أعمالهم
- المطلب الثاني: الذين أسعفتهم أعمالهم

المبحث الثاني: مراتب الناجين

قال تعالى: ﴿ أَفَمَن اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ* هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (آل عمران ١٦٣) وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴾ (السجدة ١٨)

يخبر تعالى أنه لا يستوي من كان قصده رضوان الله تعالى، والعمل على ما يرضيه، ومن هو مكبٌ على المعاصي، مُسَخِّطٌ لربه، فهذان لا يستويان في حكم الله، قال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴾ (السجدة ١٨) ولهذا قال هنا: { هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ } أي: كل هؤلاء متفاوتون في درجاتهم، ومنازلهم، بحسب تفاوتهم في أعمالهم، فالمتبعون لرضوان الله يسعون في نيل الدرجات العاليات، والمنازل، والغرفات، فيعطيه الله من فضله وجوده على قدر أعمالهم.^(١) والمؤمنون متفاوتون في إقبالهم على الله، فمنهم من يسارع إلى الله بالقربات فلا يعصيه، يرجو رحمته ويخاف عذابه، وهؤلاء وإن تساوا في التقرب إلى الله بالأعمال، فإنهم لن يتساوا في القصد، والإخلاص إلى الله. ومن العباد من يؤدي الفرائض، ويجتنب النواهي، ولا يزيد على ذلك، ومنهم من يؤدي الفرائض ولا يجتنب النواهي، فهو مسرف على نفسه، ومنهم من يقصر في الفرائض، ومنهم من لا يؤدي الفرائض، وهكذا يجازي الله كلًّا حسب عمله، قال تعالى: ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (إبراهيم ٥١)

ويبدأ الحساب بعد الشفاعة الكبرى لنبيينا محمد ﷺ، وتختلف محاسبة الله لعباده تبعاً لأعمالهم في الدنيا، فقسم لا توزن حسناتهم وسيئاتهم، وإنما تعد أعمالهم وتحصى عليهم، ثم يُدخلون النار، وهؤلاء هم الكفار، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا* إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ (النساء ١٦٨ - ١٦٩) وقسم يدخلون الجنة؛ ولكنهم متفاوتون في دخولهم لها، فمنهم، من يدخلها بغير حساب، ومنهم من يدخلها بعد أن يأخذ كتابه بيمينه ويحاسب حسابا يسيرا، ومنهم من يدخلها بعد أن يحشر مع أصحاب الأعراف، ومنهم من يدخلها بعد أن يعذب في نار جهنم، فهذه مراتب لدخول الجنة نتاولها مبتدئين بالأعلى وهم من لا يحاسبون، ثم نتدرج إلى الأدنى بإذن الله، وهم كالتالي:

1- انظر تفسير السعدي ج ١ ص ١٥٥.

المطلب الأول: الذين أسعفتهم أعمالهم

أ- الذين يدخلون الجنة بغير حساب

إن من الناس من يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فهم قوم أفاضوا، لا يحتاجون إلى حساب، لتثبت استقامتهم، فهم الذين صاموا في الدنيا عن كل ما حرم الله، فباعوا أنفسهم وأموالهم لمن وهبهم إياها بسلعة الله الغالية التي هي الجنة، فهم أول زمرة من هذه الأمة يدخلون الجنة، فقد كانوا مثلاً في الأخلاق، ومثلاً في الاستقامة، ومثلاً في التقى، فلا يدخل أولهم الجنة حتى يدخل آخرهم، على صورة القمر ليلة البدر. قال النبي ﷺ: [أول زمرة تلج الجنة، صورهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها، ولا يمتخطون، ولا يتغوطون، أنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة^(١)، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم، ولا تباغض، قلوبهم قلباً واحداً، يسبحون الله بكرة وعشياً].^(٢) وهؤلاء وردت أحاديث تبين عددهم، وصفاتهم.

١ - عددهم

جاءت الأحاديث تبين عدد هؤلاء الذين سيدخلون الجنة بغير حساب، وكيف أن الله أكرم هذه الأمة، وجعل منها عدداً جماً ممن لا يحاسبون ولا يعذبون. قال النبي ﷺ: [ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً - أو سبعمائة ألف - لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر].^(٣) بل من كرم الله وعفوه بهذه الأمة أنه وعد رسوله ﷺ، أن يدخل مع هؤلاء السبعين ألفاً سبعين ألفاً. قال النبي ﷺ: [وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بلا حساب عليهم، ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفاً، وثلاث حثيات من حثيات ربي]^(٤) وهذا الحديث أدخل السرور في قلوب الصحابة رضوان الله عليهم، فكبروا لما سمعوه. ونقل ابن حجر بسند جيد، لفظ: " ثم يشفع كل ألف في السبعين ألفاً، ثم يحثي ربي ثلاث حثيات بكفيه، وفيه ، فكبر عمر فقال النبي ﷺ: إن السبعين ألفاً يُشفعهم الله في آبائهم، وأمهاتهم، وعشائرتهم، وإنني لأرجو أن يكون أدنى أمتي الحثيات".^(٥)

1- المجامر : جمع مجمر ومُجمر فالمجمر بكسر الميم : هو الذي يُوضع فيه النار للبخور . والمُجمر بالضم : الذي يُبخر به وأعد له الجمر وهو المراد في هذا الحديث : أي إن بخورهم بالألوة وهو العود الهندي الذي أعد خصيصاً للعطر، وهذا يعني أن عطرهم من نفس العود، انظر النهاية في غريب الأثر ج ١ ص ٨٠٧.

2- صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، وأنها مخلوقة ح ٣٢٤٥ .

3- المرجع السابق، باب ما جاء في صفة أهل الجنة وأنها مخلوقة ح ٣٢٤٧ .

4- سنن بن ماجه، كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد ﷺ ح ٤٢٨٦ صححه الألباني.

5- فتح الباري ج ١١ ص ٥٧٢ .

٢ - صفاتهم

بينت أحاديث النبي، صفات هؤلاء السبعين ألفاً، وأن فيهم خصال يفتقر إليها غيرهم منها:

- المتوكلون على الله:

قال تعالى: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الشورى ٣٦) وإن أبرز ما يميز هذا الصنف عن غيره، توكلهم الخالص على الله سبحانه وتعالى، قال النبي ﷺ: [عرضت علي الأمم فجعل النبي والنبيان يمرون معهم الرهط، والنبي ليس معه أحد، حتى رفع لي سواد عظيم، قلت: هذه أمتي؟ قيل: هذا موسى وقومه. قيل: انظر إلى الأفق، فإذا سواد يملأ الأفق، ثم قيل لي: انظر ها هنا وها هنا في آفاق السماء، فإذا سواد قد ملأ الأفق. قيل: هذه أمتك، ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفاً بغير حساب. ثم دخل ولم يبين لهم، فأفاض القوم وقالوا: نحن الذين آمننا بالله واتبعنا رسوله، فنحن هم، أو أولادنا الذين ولدوا في الإسلام، فإننا ولدنا في الجاهلية، فبلغ النبي ﷺ فخرج فقال: هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتون، وعلى ربهم يتوكلون. فقال عكاشة بن محصن: أمنهم أنا يا رسول الله، قال: نعم. فقام آخر فقال: أمنهم أنا، قال: سبقك بها عكاشة].^(١) فكمال تفويضهم أمرهم إلى الله هو الذي جعلهم يسبقون غيرهم، ويدخلون الجنة بغير حساب.

والتوكل على الله من صفات المؤمنين حقا الذين وعدهم الله تعالى بالدرجات العلى، ووعدهم بالمغفرة لذنوبهم، وبالرزق الكريم، وهو ما أعد لهم في الجنة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ* الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ* أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال ٢-٣) فأخبر تعالى: أن المتصفين بهذه الصفات هم المؤمنون حق الإيمان، ومن صفاتهم العظيمة أنهم على ربهم يتوكلون، أي: يفوضون إليه أمورهم، ويتقون به، ولا يرجون غيره، ولا يخافون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يلوذون إلا بجنابه، ولا يطلبون الحوائج إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه.

فالتوكل على الله من صفات السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وهو من الصفات القلبية، لأنه تفويض للأمر كلها لله واعتماد بالقلب عليه، ويقتضي من المتوكل فعل الأسباب ومباشرتها، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق ٣) أي: كافية، ومن كان الله كافيته وواقيه فلا طمع لعدوه فيه وهو ناج بإذنه تعالى.

1- صحيح البخاري، كتاب الطب، باب من اكتوى، أو كوى غيره، وفضل من لم يكتو ح ٥٠٧٠٥ .

- المجاهدون في سبيل الله^١

وأى عمل أعظم من الجهاد في سبيل الله، ومن أعظم ممن يقدم نفسه رخيصة في سبيل الله، لا شك أن أولى الناس بدخول الجنة بغير حساب هؤلاء الذين جاهدوا لا يبتغون بذلك إلا رضا الله، ولا يطمعون إلا في عفو الله وجزائه. قال النبي ﷺ: [إن أول ثلثة تدخل الجنة، الفقراء المهاجرون، الذين تتقى بهم المكاره، إذا أمروا سمعوا وأطاعوا، وإن كانت لرجل منهم حاجة إلى السلطان، لم تقض له حتى يموت وهي في صدره، وإن الله تعالى يدعو يوم القيامة الجنة، فتأتي بزخرفها، وزيها، فيقول: أين عبادي الذين قاتلوا في سبيل الله، وقتلوا في سبيلي، وأوذوا في سبيلي، وجاهدوا في سبيلي، ادخلوا الجنة، فيدخلونها بغير حساب ولا عذاب، فتأتي الملائكة، فيقولون: ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار، ونقدس لك، من هؤلاء الذين آثرتهم علينا، فيقول الرب تبارك وتعالى: هؤلاء الذين قاتلوا في سبيلي، وأوذوا في سبيلي، فتدخل عليهم الملائكة من كل باب ويقولون: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد ٢٤).^(٢)

- أصحاب الفضل

وأهل الفضل في هذه الأمة كثير، فمن المؤمنين من يعفو إذا ظلم، ومنهم من يغفر إذا أسىء إليه ويصبر، فهم أدلة على المؤمنين، لا هم لهم إلا التقرب إلى الله بالطاعات، ورحمة عباده، والتودد إليهم، فهم كما وصفهم ربهم سبحانه وتعالى فقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح ٢٩) وقد ورد أن الله إذا جمع الله الأولين والآخرين، نادى المنادي، أين أهل الفضل ليدخلوا الجنة قبل الحساب. فيقوم جماعة من الناس، فتلقاهم الملائكة فيقولون: من أنتم. فيقولون: نحن أهل الفضل. قالوا: وما كان فضلكم. قالوا: كنا نعفو إذا ظلمنا، ونغفر إذا أسىء إلينا، ونحلم إذا جهل علينا. قالوا: أنتم كما قلتُم ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (الزمر ٧٤). ثم ينادي مناد، أين الصابرون ليدخلوا الجنة قبل الحساب. فيقوم عنق من الناس، فتلقاهم الملائكة، فيقولون: إلى أين يا بني آدم. فيقولون إلى الجنة. فيقولون: قبل الحساب. فيقولون: نعم. فيقولون: من أنتم. فيقولون: نحن الصابرون. فيقولون: وما كان صبركم. فيقولون: صبرنا على طاعة الله حتى توفانا الله.^(٣)

1- سبق الحديث عن الجهاد في الفصل الأول المبحث الثاني ص ٤٦

2- المستدرک على الصحیحین، کتاب الجهاد ح ٢٣٩٣ ج ٢ ص ٨١ صححه الحاكم والذهبي.

3- انظر المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدينوري ج ١ ص ١٨٢.

ب- الذين لا يزيدون على الفريضة

وهؤلاء يؤدون فرائض الله، ويتركون محارمه لا يزيدون ولا ينقصون، وهؤلاء مفلحون بضمنان رسول الله ﷺ. (١) جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد، ثائر الرأس، يُسمَع دوي صوته، ولا يفقه ما يقول، حتى دنا من رسول الله ﷺ، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: [خمس صلوات في اليوم والليلة، فقال: هل علي غيره؟ قال: لا، إلا أن تطوع، وقال رسول الله ﷺ: وصيام شهر رمضان. قال: هل علي غيره؟ قال: لا، إلا أن تطوع، قال: وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة، فقال: وهل علي غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوع، قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه، فقال رسول الله ﷺ: أفلح إن صدق]. (٢) قال ابن حجر: "أما فلاحه بأنه لا ينقص فواضح، وأما بأن لا يزيد فكيف يصح؟ أجاب النووي بأنه أثبت له الفلاح لأنه أتى بما عليه، وليس فيه أنه إذا أتى بزائد على ذلك لا يكون مفلحاً، لأنه إذا أفلح بالواجب، فلاحه بالمندوب مع الواجب أولى... ولا إثم على غير تارك الفرائض، فهو مفلح وإن كان غيره أكثر فلاحاً منه". (٣) وقال النبي ﷺ: [ما من عبد يصلي الصلوات الخمس، ويصوم رمضان، ويخرج الزكاة، ويجتنب الكبائر السبع، إلا فتحت له أبواب الجنة، يدخل من أيها شاء. ثم تلا ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (النساء ٣١)] (٤) وهؤلاء لا شك أنهم من أصحاب اليمين وهم ممن يحب الله أعمالهم لقوله تعالى: [وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه]. وهم فائزون بإذن الله بل شفعاء بإذن الله إن شاء الله.

ج- الذين غلبت حسناتهم سيئاتهم

قال تعالى: ﴿ وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ فَازُوا، فَجَازُوا مِنَ النَّارِ، وَأَدْخَلُوا الْجَنَّةَ. ٦ وهؤلاء عملوا حسنات وربما لم يزيدوا على الفرائض، وربما عملوا كبائر ولقوا الله غير تائبين منها، لكن حسناتهم أغلبت من سيئاتهم، فإذا وزنت بها رجحت كفة الحسنات، وهؤلاء ناجون فائزون بإذن الله، (٧) قال النبي ﷺ [إن الله سبحانه سيخلص رجلاً من أمتي على رءوس

1- أنظر طريق الهجرتين وباب السعادتين ٣٦١.

2- صحيح البخاري كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام ح ٤٦٦ .

3- فتح الباري ج ١ ص ١٦٠.

4- سنن النسائي، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة ح ٢٤٣٦ حسنه الألباني.

5- صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع ح ٦٥٠٢ .

6- انظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٣٤.

7- انظر طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٣٦١.

الخالق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مد البصر، ثم يقول له: أتتكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول الله: ألك عذر، أو حسنة؟ فبهت الرجل، وقال: لا يا رب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فَتَخْرُجُ لَهُ بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: يا رب، فما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فيقول: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وتقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء].^(١)

وهؤلاء يعرض الله عليهم ذنوبهم عرضاً ويقررهم بها ثم يدخلهم الجنة، قال ﷺ: [إن الله يذني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا، فيقول: نعم، أي ربي، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته..].^(٢)

وقد اختلف العلماء في هذا الصنف: هل تلغى سيئاتهم والكبائر مقابل رجحان الحسنات فيثابون على حسناتهم. أو هل يسقط من الحسنات ما يقابلها من السيئات، ويبقى التأثير للحسنات الراجحة. والراجح أنه يسقط من الحسنات ما يقابلها من السيئات^(٣) وحاش لله أن يظلم الناس شيئاً، فمن عدله أن يرفع بعض الناس على بعض بأعمالهم، وقد ورد أن الجنة مئة درجة، قال النبي ﷺ [إن في الجنة مئة درجة، ما بين كل درجتين مئة عام]^(٤) فإذا علمنا هذه الدرجات، نعلم أن أهل الجنة متفاوتون فيها، ومن باب أولى أن لا يتساوى من كان كتابه مملوءاً بالحسنات فقط، مع من غلبت حسناته سيئاته بقليل وعنده من الكبائر والذنوب. قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾. (الأنعام ١٣٢)

1- سنن الترمذي كتاب الإيمان عن رسول الله، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ح ٢٦٣٩ صححه الألباني.

2- صحيح البخاري : كتاب: المظالم والغصب، باب {ألا لعنة الله على الظالمين} ح ٢٤٤١ .

3- انظر طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٣٦٢.

4- سنن الترمذي، كتاب صفة الجنة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في صفة درجات الجنة ح ٢٥٢٩ صححه الألباني.

المطلب الثاني: الذين لم تسعفهم أعمالهم

أ- أصحاب الأعراف

قال تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ* وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ* وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ* أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ* وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَيَّا الْكَافِرِينَ﴾ (الأعراف ٤٦-٥٠)

بين سبحانه وتعالى أن بين أهل الجنة وأهل النار حجاباً يوم القيامة، قال تعالى: ﴿فَصُرِّبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (الحديد ١٣) وبين أنهم معروفون بسيماهم قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ (آل عمران ١٠٦) فبياض الوجوه وحسنها؛ سيما أهل الجنة، وسوادها وقبحها، وزرقة العيون، سيما أهل النار.^(١)

والأعراف حاجز عظيم، بين أصحاب الجنة وأصحاب النار، وعلى هذا الحاجز رجال استوت حسناتهم وسيئاتهم يرجون رحمة الله تعالى. قال الشعراوي: "معروف أن هناك فريقين، أصحاب الجنة وأصحاب النار، وهناك فريق ثالث، هم الذين على الأعراف، والأعراف: جمع عرف، مأخوذ من عرف الديك، وهو أعلى شيء فيه، وكأن بين الجنة والنار مكاناً مرتفعاً كالعرف، يقف عليه أناس، يعرفون أصحاب النار بسيماهم، ويعرفون أصحاب الجنة بسيماهم، وجماعة الأعراف، هم من تساوت حسناتهم مع سيئاتهم في ميزان العدل".^(٢)

ولم يذكر القرآن الكريم، وكذلك السنة، مصير أصحاب الأعراف، ولكن المفسرين تكلموا في ذلك، وبيّنوا أن مصيرهم إلى الجنة. عن حذيفة بن اليمان أنه قال: [هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار، وقعدت بهم سيئاتهم عن الجنة، فإذا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا: {رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} فبينما هم كذلك، اطلع عليهم ربك فقال لهم: اذهبوا فادخلوا الجنة فإنني قد غفرت لكم].^(٣) وعن ابن مسعود أنه قال: [ومن استوت حسناته وسيئاته، كان من أصحاب الأعراف، فوقفوا على الصراط، ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار، فإذا نظروا

1- انظر أضواء البيان ج ٢ ص ٣٠٠.

2- انظر تفسير الشعراوي ج ٧ ص ٤١٥٢.

3- انظر تفسير الطبري ج ١٠ ص ٢١٣.

إلى أهل الجنة، نادوا: سلام عليكم. وإذا صرفوا أبصارهم إلى أصحاب النار، قالوا: {رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}. فأما أصحاب الحسنات فإنهم يعطون نورا يمشون به بين أيديهم، وبأيامانهم، ويعطى كل عبد يومئذ نورا، فإذا أتوا على الصراط سلب الله تعالى نور كل منافق، ومنافقة، فلما رأى أهل الجنة ما لقي المنافقون، قالوا: ربنا أتمم لنا نورنا، وأما أصحاب الأعراف فإن النور لم ينزع من أيديهم، فيقول الله: {لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ}، فكان الطمع للنور الذي في أيديهم، ثم أدخلوا الجنة، وكانوا آخر أهل الجنة دخولا، يريد آخر أهل الجنة دخولا ممن لم يدخل النار".^(١) وأهل الأعراف، يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه، ويحبونهم، ويطمعون أن يدخلوا الجنة، وإن الله ما جعل الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريد بها بهم، وإذا رأوا أصحاب النار عرفوهم بسواد وجوههم، وتعودوا بالله أن يجعلهم معهم، وكما أن أهل الجنة يقرعون أهل النار، فإن أهل الأعراف يقرعون أهل النار، فينادون رجالا يعرفونهم من أهل النار بسيماهم: ما أغنى عنكم جمعكم واستكباركم من عذاب الله شيئا، بل صرتم إلى ما أنتم فيه من العذاب، وعندما يقول أهل الأعراف ما يقولون، يقول الله لأهل النار عن أهل الأعراف: أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمته، ثم يأمر بإدخال أهل الأعراف الجنة.^(٢)

ب- المعذبون الناجون

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (يونس: ٤٤) قال الزمخشري: "يجوز أن يكون وعيدا للمكذبين. يعني: أن ما يلحقهم يوم القيامة من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل، ولا يظلمهم الله به؛ ولكنهم ظلموا أنفسهم باقتراف ما كان سببا فيه".^(٣) وهذا يدل على أن الله لا يفعل بخلقه ما لا يستحقون منه، ولا يعاقبهم إلا بمعصيتهم إيّاه، ولا يعذبهم إلا بكفرهم به، ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم، بارتكابهم ما يورثها غضب الله وسخطه.^(٤) قال النبي ﷺ [إن من أهل النار من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حقويه، ومنهم من تأخذه إلى ترقوته].^(٥) وهؤلاء دخلوا النار بذنوبهم التي غلبت على أعمالهم، فحق عليهم العذاب، غير أن من رحمة الله بهم، أن لا تمس النار أماكن معينة في أجسادهم، بل يُعرفون من بين أهل النار بأنهم موحدون، قال النبي ﷺ: [حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار،

1- انظر طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٣٦٣.

2- انظر الأساس في التفسير ج ٤ ص ١٨٦٤.

3- الكشاف ج ٢ ص ٣٣٢.

4- انظر تفسير الطبري ج ١٢ ص ١٨٧.

5- صحيح مسلم كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون ح ٢٨٤٥.

أمر الملائكة أن يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْحَمَهُ، مِمَّنْ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِأَثْرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ ابْنَ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ. قَالَ: فَيُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النَّارِ قَدْ أَمْتَحِشُوا^(١). قَالَ: فَيَصَبُ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبِتُونَ تَحْتَهُ كَمَا تَنْبِتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ^(٢).

والحديث يبين أنهم لم يشركوا بالله شيئاً، ولكن لهم ذنوب كثيرة فاقت سيئاتهم، فحفت موازينهم. فهو لاء يدخلون النار مُدَدًّا يعلمها الله تبارك وتعالى، ثم يخرجون بشفاعة الشافعين، ويُخرج الله برحمته أقواماً لم يعملوا خيراً قط.^(٣) ومن هؤلاء:

القاضي الجائر

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة ٨) قال الطبري: "يعني بذلك جل ثناؤه: يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله محمد، ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام لله، شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم فتجاوزوا ما حددت لكم في أعدائكم لعداوتهم لكم، ولا تقصروا فيما حددت لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم لولايتهم لكم، ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدي، واعملوا فيه بأمري".^(٤)

قال النبي ﷺ: [القضاة ثلاثة: واحد في الجنة، واثنان في النار. فأما الذي في الجنة: فرجل عرف الحق ففضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار].^(٥)

الذي يكذب على لسان النبي ﷺ

قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم ٣-٤) قال السعدي: "أي: ليس نطقه صادراً عن هوى نفسه، {إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} أي: لا يتبع إلا ما أوحى الله إليه من الهدى والتقوى، في نفسه وفي غيره. ودل هذا على أن السنة وحي من الله لرسوله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (النساء ١١٣) وأنه معصوم فيما يخبر به عن الله تعالى، وعن شرعه، لأن كلامه لا يصدر عن هوى، وإنما يصدر عن وحي يوحى".^(٦)

1- محشته النار أي أحرقتة والمحش احتراق الجلد وظهور العظم، انظر فتح الباري ج ١ ص ١٨٦.
2- صحيح مسلم كتاب الجنة، باب معرفة طريق الرؤية ح ١٨٢.
3- انظر الجنة والنار من سلسلة العقيدة في ضوء الكتاب والسنة لعمر الأشقر ص ٦١.
4- تفسير الطبري ج ٨ ص ٢٢٢.
5- سنن الترمذي، كتاب الأفضية، باب في القاضي يخطيء ح ٣٥٧٣ صححه الألباني.
6- تفسير السعدي ج ١ ص ٨١٨.

وعن عبد الله بن عمرو قال : [كنت أكتب كل شيء أسمع من رسول الله ﷺ أريد حفظه ، فنهتني قريش ، وقالوا : تكتب كل شيء سمعته من رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ بَشْرٌ يتكلم في الغضب والرضاء . فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأوماً بأصبعه إلى فيه ، وقال : أكتب ، فالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق]^(١) فمن تقول على رسول الله ﷺ وكذب على لسانه ، فإن ماله إلى النار إن لم يتب من ذلك ، قال النبي ﷺ [من يقل علي ما لم أقل ، فليتبوا مقعده من النار].^(٢)

أهل الكبائر

قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمًا﴾ (النساء ٣١) وقال تعالى ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى* الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ...﴾ (النجم ٣١-٣٢) هذا وعد من الله عز وجل أن يكفر السيئات إن اجتنب صاحبها الكبائر، وحتى مرتكب الكبيرة من أمة النبي ﷺ ينجو من النار بشفاعة النبي ﷺ فلا يبق على المسلم ذنب^(٣) قال النبي ﷺ [شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي].^(٤)

ويوم القيامة يؤتى بأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ، شيوخا وعجائز وكهولا، ونساء وشبابا، فإذا نظر إليهم مالك خازن النار، قال: من أنتم معاشر الأشقياء، مالي أرى أيديكم لا تغل، ولم توضع عليكم الأغلال، ولم تسود وجوهكم، وما ورد علي أحسن منكم، فيقولون: يا مالك نحن أشقياء أمة محمد ﷺ. يومها يضع الشيخ يده على لحيته ويقول: يا شبيبته وطول حسرتاه، والكهل ينادي وامصيبته، والشاب يقول وا أسفاه ، والمرأة تقبض على ناصيتها وهي تنادي واسوأته، فينادي الله سبحانه: يا مالك، أدخلهم النار في أول باب منها، فإذا همّت النار أن تأخذهم، قال جميعهم: لا إله إلا الله. فتتفر عنهم النار خمس مئة عام، ثم يأخذون بالبكاء فتشتد أصواتهم، فيقول الله تعالى: يا نار خذيهم، فعند ذلك يسمع لها صلصلة كالرعد والقصف، فإذا همّت النار أن تحرق القلوب، زجرها مالك وجعل يقول: لا تحرقى قلبا فيه القرآن، وكان وعاء الإيمان، ولا تحرقى جباها سجدت لله تعالى، ولا بطنا جاع في سبيل الله بالصوم.^(٥)

1- سنن أبي داوود، كتاب العلم، باب في كتاب العلم ح ٣٦٤٦ صححه الألباني.

2- صحيح البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ ح ١٠٨.

3- انظر تفسير القرطبي ج ٦ ص ٣١٥.

4- سنن أبي داوود، كتاب السنة، باب في الشفاعة ح ٤٧٣٩ صححه الألباني.

5- انظر التذكرة في أحوال الموتى والأخرة للإمام القرطبي ص ٣٢٦.

وفي الحديث المتفق عليه، ذكر خروج الموحدين من النار بالشفاعة وفيه أن النبي ﷺ قال: [..... فوالذي نفسي بيده، ما من أحد منكم بأشدّ مناشدةً لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون ربنا كانوا يصومون معنا، ويصلون، ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقه، وإلى ركبتيه، ثم يقولون: ربنا ما بقي أحدٌ ممن أمرتنا به، فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينارٍ من خير فأخرجوه. فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً، فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينارٍ من خير فأخرجوه. فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً. ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرةٍ من خيرٍ فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: لم نذر فيها خيراً. فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضةً من النار، فيخرج منها قوماً من النار لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً، فيلقينهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة من حميل السيل...].^(١)

قال رسول الله ﷺ [أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناسٌ أصابتهم النار بذنوبهم - أو قال بخطاياهم - وأماتتهم إمامةً، حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة، فجاء بهم ضبائر ضبائر، فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة في حميل السيل].^(٢)

ومن خرج بقبضة الرحمن فهو لاء هم الجهنميون الذين خرجوا بمنّة من الله عليهم، فهم آخر أهل النار خروجاً منها، قال النبي ﷺ: [إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولا، رجل يخرج من النار حبواً، فيقول الله: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول: اذهب، فادخل الجنة، فيأتيها، فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب، وجدتها ملأى، فيقول: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا، فيقول أتسخر مني أو تضحك مني وأنت الملك؟ فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، وكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة].^(٣)

1- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية ح ١٨٣ .

2- المرجع السابق، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ح ١٨٥ .

3- صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار ح ٦٥٧١ .

فهؤلاء غلبت سيئاتهم حسناتهم، فاستحقوا العقاب، وهم عصاة المؤمنين، فهم تحت مشيئة الله سبحانه، إن شاء عفا عنهم، وإن شاء عذبهم، ثم يُخْرِجُ مِنْ عَذَابِ مَنْهُمْ بِالنَّارِ بِشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ، أو بكرم أرحم الراحمين جل وعلا ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٤٨) فهذه رحمة الله تعالى بعباده، رغم أنهم مستحقون للعذاب، إلا أن رحمته بهم أخرجتهم منها، وهم الذين لطالما عصوه واعتدوا على حرماته، وهؤلاء هم أدنى أهل الجنة منزلة، ورغم ذلك لهم عشر أضعاف الدنيا، وصدق رسول الله ﷺ عندما قدم عليه سبي، فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي، إذ وجدت صبيًا في السبي أخذته فألصقته ببطنها، وأرضعته، فقال ﷺ: [أترون هذه طارحة ولدها في النار. قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: الله أرحم بعباده من هذه بولدها].^(١)

الخلاصة

إن من يعرف أسباب النجاة ومراتبها، لا يمكن له إلا أن يكون مؤمناً تجنب كل ما كان مهلكاً في الحياة، وطلب النجاة لا يمكن أن يكون أمراً هامشياً في هذه الحياة، بل يجب أن يكون قضية القضايا، فلا يجوز أن نغفله، أو نستخف به، أو ندعه في زوايا النسيان، فهو أمر يتعلق بوجود الإنسان ومصيره، إنه سعادة الأبد، وإن عدمه لشقاوة الأبد، إنه لجنة أبدًا، أو نار أبدًا، لذا كان لزاماً على كل مؤمن ذي عقل أن يفكر في أسباب النجاة ومراتبها، وأثر ذلك على الحياة، حتى يطمئن القلب، وينشرح الصدر، وتسكن النفس، خصوصاً ونحن في عصر أصبح الناس يلهثون وراء المنفعة، حتى إن كثيراً منهم ليرون الحق فيما ينفعهم ويتفق مع أهوائهم، لا فيما يطابق الواقع، أو تقوم الدلائل والبراهين على صحته. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ (المؤمنون ١٧) وإذا نظرنا إلى من يأخذ بأسباب النجاة، ويبحث عن مراتبها، نجد أنه مؤمن، وكلما زاد الإيمان في قلبه، زاد أخذه وبحثه عنهما، لذلك فالإيمان هو من يدفع لذلك، والفرد بلا إيمان ريشة في مهبّ الريح، لا تستقر على حال، ولا تسكن إلى قرار، أينما مال الريح تميل، والفرد بلا إيمان إنسان لا قيمة له، ولا جذور، إنسان قلق، متبرّم، حائر، لا يعرف حقيقة نفسه، ولا سر وجوده، لا يدري من ألبسه ثوب الحياة، ولماذا ألبسه إياه، ولماذا ينزعه عنه بعد حين، فالمؤمن هو الذي يبحث عن التقوى، وهو الذي يُصْلِحُ بعد أن يكون صالحاً، وهو الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهو الذي يكثر من الاستغفار، وكل ذلك طمعا في أن ينال الدرجات العلى، فيدخل الجنة بغير حساب، أو يكون ممن يأخذ كتابه بيمينه ويدخل الجنة، ومن كان غير ذلك فهو في تعاسة وشقاء، وإن جمع أدوات الرفاهية، وهو تافه مهين رخيص، غابته لا تتجاوز شهوات بطنه وفرجه وصدق الله ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ (محمد: ١٢)

1- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ح ٥٩٩٩ .

الخاتمة

بعد أن وفقني الله - سبحانه وتعالى - إلى الإنتهاء من هذا العمل، والذي إن أحسنت فيه فمن الله وحده، وإن أسأت فمن نفسي ومن الشيطان، أجدني مقصراً تجاه كتاب ربي جل وعلا، وكيف لا! وهو الكتاب الأوحد الذي فيه الكمال، فأنى لبشر أن يتصف بالكمال؛ ليقدر على تغطية مواضيع القرآن من كل جوانبها، وموضوع النجاة في القرآن من المواضيع التي اهتم بها القرآن كثيراً، وبين أهميتها، فالنجاة بغية كل عاقل لما فيها من الراحة، والنعيم، وإني من خلال هذه الدراسة المتواضعة خلصت إلى النتائج التالية:

١. وردت النجاة ومشتقاتها في القرآن في ستة وستين موضعاً غالبها في السور المكية، وذلك لمعرفة رب العالمين بالنفوس البشرية، وحبها للراحة، والنعيم.
٢. النجاة من النار وحدها لا تكفي للنعيم دون أن يفوز العبد بجنان رب العالمين.
٣. إن أعمال الجوارح لا قيمة لها إن لم تكن نابعة من قلب صادق، فالنجاة تعتمد على أعمال القلوب بالدرجة الأولى ويصدق ذلك عمل الجوارح.
٤. المتعة الحقيقية تكون في الطاعة والقرب من الله، فلو كانت حياة العبد مليئة بالبلايا والأزمات، فإنه لا يكثر بما يمر به، وذلك لشعوره بقربه من الله.
٥. إن عيش العبد في غم وفقر، وضياح، إنما هو بسبب عدم أخذه بالأسباب وعدم سيره على منهج رب العباد.
٦. النجاة في الدنيا تكون بإتباع الهدى والبعد عن الضلال، وتكون في الآخرة بالنجاة من النار ودخول الرضوان.
٧. لا يتساوى شقاء الدنيا، وشقاء الآخرة، فعذاب النار في الآخرة هو العذاب الأشد، فلا يتساوى ولا يقارن ببلاء الدنيا، قال تعالى: ﴿لعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾ (طه ١٢٧٩)
٨. يمكن للعبد أن ينفذ نفسه من أزمات في الدنيا على حساب غيره بطلاقة لسانه وفطنته التي لم تُمنح لغيره، لكنه بذلك يزرع نفسه إلى عذاب النار، وإلى سخط الجبار.
٩. يمكن للعبد أن يُنجي نفسه من مواطن مفصلية متعددة، سواء أكانت في الدنيا، أو في الآخرة إذا علم أسباب غضب الله فاجتنبها، وعلم أسباب رضى الله فقام بها.
١٠. لا يمكن للعبد أن يعرف طعم النجاة إلا إذا ذاق من كأس البلايا، والآلام، التي تجعله يشعر بقيمة النجاة.
١١. من أعظم أسباب إهلاك القرى، الظلم والطغيان، وكفران النعمة وجحودها، حتى ولو كان هناك إيمان.

١٢. لا يمكن للعبد أن يعرف كيف يخلص نفسه، وينجو من عدوه، ويصبر على ذلك، إلا إذا درس سير الأمم السابقة، وما مرت به من أزمات، وكيف عالج ذلك أنبياءهم.

١٣. لا يشترط للنجاة في الآخرة أن ينجو العبد من كل ما يمر به في الدنيا من محن وبلايا، فلربما كانت المحن مهلكة له، معلنة نصر عدوه.

١٤. الكيس من عمل لينجو دون خدش، فما قيمة النجاة بعد عذاب استمر أضعاف أضعاف ما يعيشه الإنسان في الدنيا.

١٥. الأعراف في الآخرة تجري على أعراف الدنيا، فكما أن الناس في الدنيا أصناف، وعلى مراتب، وكذلك الآخرة، فالناس فيها أصناف، والمؤمنون كذلك على مراتب.

١٦. إن من كرم الله بهذه الأمة، أنه يتجاوز عنها ما لم يتجاوزه عن غيرها من الأمم، فمهما ظلم الإنسان نفسه باقترافه كثير من المعاصي، فإنه يبقى في إطار هذه الأمة المحرومة.

١٧. إن مراتب النجاة في الآخرة، تكون على قدر أعمال العبد في الدنيا، وإن دخول الجنة برحمة الله تعالى:

أهم التوصيات

أوصي الباحثين والعلماء بالعناية بموضوع النجاة، وأن يُتَّوَلَّ هذا الموضوع بصورة أكبر، فتؤلف فيه الكتب، والرسائل، وينشر في الصحف والمجلات، وعلى شاشات الفضائيات، فهل بغية العبد سوى النجاة ورضوان الله تعالى؟

أسأل الله أن يهدينا إلى سواء السبيل، وأن يدخلنا الجنة برحمته اللهم آمين

فهرس الآيات

سورة الفاتحة			
م	الآية	رقمها	الصفحة
١.	اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ	٦	٩٦ ، ٧٥
سورة البقرة			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٢.	فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا	١٠	٥٩
٣.	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ	١١	٩٧
٤.	وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ	٣٩	٩٩
٥.	وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ	٤٠	٣٥
٦.	وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ	٤٩	١٢١ ، ٨
٧.	وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ	٥٠	١٢٥ ، ٨
٨.	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ	٨٣	٣٠
٩.	وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ	١٠١	٧٧
١٠.	وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا	١٠٩	١٣٠
١١.	وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا	١١٧	١٣٠
١٢.	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ	١٥٣	٣٧
١٣.	وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ	١٦٥	٢٥
١٤.	وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ	١٨٦	٦٨
١٥.	وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلِيَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلِيَهُنَّ دَرَجَةٌ	٢٢٨	٣٤
١٦.	وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْنًا	٢٢٩	٣٣
١٧.	قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامًا	٢٥٠	٣٦
١٨.	فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ	٢٥٦	١٧
١٩.	الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ	٢٧٥	١٠٠
٢٠.	فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ	٢٧٩	١٠١
٢١.	وَإِن تَبُنُّمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ	٢٧٩	١٠١
٢٢.	وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ	٢٨٠	٩٢
٢٣.	آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَ الْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ	٢٨٥	٢٩

سورة آل عمران

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٤	زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النَّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ	١٤	٧٢
٢٥	قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ	٣١	٩٨
٢٦	إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ	٤٥	١٤٨
٢٧	وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ	٤٩	١٤٩
٢٨	فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ	٥٢	١٥٠
٢٩	وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ	٥٤	١٥٠
٣٠	إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَرْيَمَ اذْهَبِي إِلَى الْبَنَاتِ وَأُفْوِضِي إِلَيْنَهُنَّ	٥٥	١٥٠
٣١	وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ	١٠٢	٨٤
٣٢	وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا	١٠٣	٩٨
٣٣	وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ	١٠٤	٤٣
٣٤	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً	١٣٠	١٠١
٣٥	وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ	١٣٥	٥٣ ، ٤٩
٣٦	وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا	١٤٧	٣٦
٣٧	فَاتَّاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ	١٤٨	٦٤
٣٨	أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطِ مِنَ اللَّهِ	١٦٣	١٧١
٣٩	الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا	١٧٣	٣٧ ، ٦٧
٤٠	إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا	١٧٣	١٤١
٤١	إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا	١٧٥	٢١ ، ٢٠
٤٢	كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	١٨٥	٨٧ ، ٥٩
٤٣	فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ	١٨٥	١٠٥ ، ٢
٤٤	الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ	١٩١	٤٥
٤٥	لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ	١٩٨	١٦
٤٦	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ	٢٠٠	٣٨

سورة النساء

م	الآية	رقمها	الصفحة
٤٧	وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ	١٣	١٠٠ ، ٥٩
٤٨	وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَأَنْتُمْ إِحْسَانٌ فَغَيْرُوا	٢٠	٣٣

٤٩	٢١	وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ
٥٠	٢٩	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ
٥١	٣١	إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
٥٢	٣٦	وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا
٥٣	٤٨	إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ
٥٤	٥٨	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا
٥٥	٦٩	وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
٥٦	٧٤	فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ
٥٧	٧٥	وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
٥٨	٩٣	وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا
٥٩	١٠١	فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ
٦٠	١١٠	وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا
٦١	١١٥	وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ
٦٢	١٢٠	وَمَا يَعْزُبُ عَنْهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا
٦٣	١٢٢	وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا
٦٤	١٤٥	إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ
٦٥	١٥٧	وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ
٦٦	١٦٥	رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَفْسٍ لَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ
٦٧	١٦٨	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ
٦٨	٢٨٢	وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

سورة المائدة

م	الآية	رقمها	الصفحة
٦٩	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ	٨	١٧٩
٧٠	لَا كُفْرَانَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأَدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ	١٢	٣٥
٧١	وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ	٤٨	٨٠
٧٢	لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ	٦٣	٤١
٧٣	وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ	٦٦	١٦٧
٧٤	إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ	٧٢	٩٩
٧٥	وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ	٧٢	١٤٩

٤٣	٧٨	لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى	٧٦.
٨٤	٨٣	وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ	٧٧.
٤٤	١٠٥	يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ	٧٨.

سورة الأنعام

م	الآية	رقمها	الصفحة
٧٩.	فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ	٤٣	٦٧
٨٠.	وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ	٥٠	٨٢
٨١.	وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ	٥١	٢٠
٨٢.	قُلْ مَنْ يُنجِيكُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً	٦٣	١٠٧ ، ٦٦
٨٣.	قُلْ مَنْ يُنجِيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ	٦٣	٨
٨٤.	قُلْ اللَّهُ يُنجِيكُمْ مِنْهَا وَمَنْ كُلَّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ	٦٤	٨
٨٥.	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَرْتَنْتَ أَخَذُ صَنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ	٧٤	١٣٩
٨٦.	وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ	٧٥	١٣٩
٨٧.	الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ	٨٢	١٤
٨٨.	وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا	٩٣	٨٢ ، ٨١
٨٩.	وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ	١٣٢	١٧٦
٩٠.	قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ عَلَىٰ مَا تَشْرَكُوا بِهِ شَيْئًا	١٥١	٥٤
٩١.	وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ	١٥٣	٧٦

سورة الأعراف

م	الآية	رقمها	الصفحة
٩٢.	وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ	٨	١٧٥ ، ١٦٣
٩٣.	يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ اتِّكُمُ وَرِيشًا	٢٦	١٦
٩٤.	قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ	٣٠	٧٤
٩٥.	وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً	٣٤	١٥٦
٩٦.	وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ	٣٦	٩٩
٩٧.	وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ	٤٦	١٧٧
٩٨.	هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ	٥٣	١٠٢
٩٩.	لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ	٥٩	١٠٩
١٠٠.	أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ	٦٣	١١٠

١١٣	٧٥	فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ	١٠١
١١٣	٧٥	قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا	١٠٢
١١٦	٨٠	وَلَوْ طَآ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ	١٠٣
١١٧	٨٢	فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ	١٠٤
١١٩	٨٦	وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ	١٠٥
١٢٠ ، ١١٨	٨٨	قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شَعِيبُ	١٠٦
١٢٠	٨٩	قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ	١٠٧
١٢٠	٩١	فَأَخَذْنَهُمُ الرِّجْقَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ	١٠٨
٦٨	٩٦	وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ	١٠٩
١٢٧	١٠٣	ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ	١١٠
١٢٥	١٠٩	قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ	١١١
١٢٥	١١١	قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ	١١٢
١٢٦	١١٥	يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تَلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمَلِيقِينَ	١١٣
١٢١	١٤١	وَإِذْ أَنْجَبْنَاكَ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءًا	١١٤
٤٢	١٦٣	وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ	١١٥
٧٤	١٦٥	فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ	١١٦
٢٨	١٧٢	وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ	١١٧
٨١	١٩٩	خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ	١١٨

سورة الأنفال

م	الآية	رقمها	الصفحة
١١٩	إِنَّمَا ٢٣ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ	٢	١٧٣
١٢٠	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَقًا	١٣	٤٧
١٢١	وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ	٢٦	١٣٠
١٢٢	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ	٢٧	٣٣
١٢٣	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا	٢٩	١٥
١٢٤	وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ	٣٠	١٣٤
١٢٥	وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ	٣٣	٤٩
١٢٦	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا	٤٥	٣٧
١٢٧	ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ	٥٣	٧٢

سورة التوبة

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٢٨.	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ	١٥	٤٧
١٢٩.	اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ	٣١	٣٠
١٣٠.	يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ	٣٢	١٣٠ ، ١٣٦
١٣١.	وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ	٣٤	١٠١
١٣٢.	إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا	٤٠	١٣٥
١٣٣.	إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا	٦٠	٧١
١٣٤.	وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ	٦٥	١٠١
١٣٥.	وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارِ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا	٦٨	٩٩
١٣٦.	و٢٣ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ	٧١	٧٩
١٣٧.	وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ	٩٠	١٠٥
١٣٨.	وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّأْتُمْ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتُمْ لَا أُجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ	٩٢	١٩
١٣٩.	خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ	١٠٢	١٦٤
١٤٠.	إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ	١١١	٣٠
١٤١.	وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً	١٢٢	٤٧

سورة هود

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٤٢.	وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا	٣	٥٠ ، ٥٢
١٤٣.	وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ	٣	٥١
١٤٤.	وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا	٦	٦٩
١٤٥.	وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِأَدْبِ الرَّأْيِ	٢٧	١١٠
١٤٦.	قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا	٣٢	١١٠
١٤٧.	وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا	٣٧	١١٠
١٤٨.	يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ	٣٧	١١٧
١٤٩.	وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ	٤٢	١١١
١٥٠.	وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي	٤٤	١١١
١٥١.	وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ	٥٢	٤٨
١٥٢.	أَتْنَهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا	٦٢	١١٢

١١٢	٦٢	١٥٣ . إنا نفي شك مما تدعونا إليه مريب
١١٤	٦٥	١٥٤ . فَعَقَرُوها فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ
١١١ ، ١١٥	٦٦	١٥٥ . فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
١٦٥	٦٨	١٥٦ . يَفْقَدُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ
١١٧	٧٨	١٥٧ . يَا قَوْمِ هُوَ لَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ
١١٧	٨٠	١٥٨ . لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ
١١٧	٨٢	١٥٩ . فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا
١١٨	٨٤	١٦٠ . وَلَا تَتَّقُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرَاكُمْ بِخَيْرٍ
١١٩	٨٤	١٦١ . وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مَّحِيطٍ
١١٩	٨٥	١٦٢ . وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ
١١٩	٨٦	١٦٣ . بَقِيَّةَ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ
١١٩	٨٧	١٦٤ . قَالُوا يَا شَعِيبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا
١١٩	٩١	١٦٥ . قَالُوا يَا شَعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا نَقُولُ
١١٩	٩١	١٦٦ . وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ
١١٩	٩٢	١٦٧ . قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ
١٢٠	٩٣	١٦٨ . وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ
١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢١	٩٤	١٦٩ . وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
١٢٠	٩٤	١٧٠ . وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ
١٠١	١١٣	١٧١ . وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ
١٠٩ ، ٧٤	١١٦	١٧٢ . فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ
٤٠	١١٧	١٧٣ . وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ

سورة يوسف

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٧٤ .	إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا	٤	١٤٢
١٧٥ .	إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ	٨	١٤٢
١٧٦ .	قَالَ قَاتِلْ مَنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْمَ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ	١٠	١٤٢
١٧٧ .	قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ	١٢	١٤٢
١٧٨ .	قَالَ إِنِّي لِيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ	١٤	١٤٢
١٧٩ .	فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ	١٥	١٤٣

١٤٣	١٦	١٨٠. وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ
١٤٣	١٩	١٨١. وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ
١٤٤	٢١	١٨٢. وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ
١٤٤	٢٣	١٨٣. وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ
١٤٤	٢٥	١٨٤. قَالَتْ مَا جِزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ
١٤٥	٢٦	١٨٥. قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا
١٤٤	٣٢	١٨٦. لِئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامَرُهُ لَيُسْجَنَ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاعِرِينَ
٨١	٣٢	١٨٧. فَذَلِكُمُ اللَّهُ رُبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ
١٤٥	٣٤	١٨٨. فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
١٤٥	٣٤	١٨٩. قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ
١٤٥	٣٥	١٩٠. ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ
١٤٥	٣٥	١٩١. وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ
١٥٢	٣٦	١٩٢. قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا
١٥٢	٣٧	١٩٣. إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ
١٥٢	٣٧	١٩٤. قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ
٢٥	٣٩	١٩٥. أَلرِّبَابِ مُتَّفِقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَالِدُ الْقَهَّارُ
١٥٢ ، ١٤٥	٤١	١٩٦. يَا صَاحِبِي السِّجْنُ أَمَا أَحَدَكُمَا فَيَسْئِرُ رَبُّهُ خَمْرًا
١٤٥	٤٣	١٩٧. وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ
١٥١	٤٣	١٩٨. أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ
١٧٨	٤٤	١٩٩. إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ
١٤٥ ، ١٥١	٤٥	٢٠٠. وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ
١٤٦	٥٠	٢٠١. وَقَالَ الْمَلِكُ انْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَيَّ رَبِّكَ
١٤٦	٥١	٢٠٢. قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتَنِّي يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ
١٥٢ ، ١٤٥	٥٦	٢٠٣. يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ
٦٢ ، ١٣	٦٣	٢٠٤. إِلَّا إِنْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
١٢٥	٨٣	٢٠٥. وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ
١٢٦	٨٣	٢٠٦. فَمَا أَمَّنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ
٥٠	٨٧	٢٠٧. إِنَّهُ لَا يَبْئَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ
١٢٨	٨٨	٢٠٨. وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا

١٥	٩٠	ءَامَنَتْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ	٢٠٩.
١٢٩ ، ٨ ، ١	٩٢	فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً	٢١٠.
١٤ ، ٦٥	٩٨	فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ	٢١١.
٨	١٠٣	ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نَجِّ الْمُؤْمِنِينَ	٢١٢.
١٣٧ ، ١٣٠ ، ٦٤	١١٠	حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا	٢١٣.
١٠٩	١١١	لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ	٢١٤.
١٥	١٤٧	وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ	٢١٥.

سورة الرعد

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢١٦.	أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى	١٩	٧٧
٢١٧.	الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْفُضُونَ الْمِيثَاقَ	٢٠	٢٧
٢١٨.	أُولَئِكَ لَهُمْ عُقُوبَى الدَّارِ جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا	٢٢	٣٥
٢١٩.	وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ	٢٢	٣٧
٢٢٠.	سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ	٢٤	١٧٤
٢٢١.	الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ	٢٨	٥٨ ، ٤٧ ، ٢٧
٢٢٢.	مَثَلِ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ	٣٥	١٧

سورة إبراهيم

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٢٣.	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا	١٤	٢٢
٢٢٤.	يُنَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا	٢٧	٩١ ، ٨٤ ، ٨٣ ، ٣٦
٢٢٥.	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كَفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ	٢٩	١٠١
٢٢٦.	لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ	٥١	١٧١

سورة الحجر

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٢٧.	إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ	٩	٤٦
٢٢٨.	قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ	٥٦	٥٠
٢٢٩.	قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ	٥٧	١١٦
٢٣٠.	وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ	٦٨	١١٦
٢٣١.	فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ	٧٣	١١٧

٩٣	٩٢	فَوَرِّبْكَ لِنَسَائِلِهِمْ أَجْمَعِينَ	٢٣٢.
----	----	---	------

سورة النحل

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٣٣.	لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ	٣٠	٦٤
٢٣٤.	وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا	٣٤	٣٢
٢٣٥.			٤٦
٢٣٦.	وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ	٥١	٢٠
٢٣٧.	وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا	٧٨	٤٠
٢٣٨.	وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَفْضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا	٩١	٣٥ ، ٣١
٢٣٩.	مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً	٩٧	٨٠ ، ٤٠
٢٤٠.	مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ	١٠٦	٤٤
٢٤١.	وَضُرِبَ لِلَّهِ مَثَلًا قَرْيَةٌ كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا	١١٢	٧٣
٢٤٢.	إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ	١٢٨	١٤٣

سورة الإسراء

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٤٣.	وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا	٢٤	٥٤
٢٤٤.	وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا	٣٢	٣٤
٢٤٥.	وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ	٣٦	٤٠
٢٤٦.	وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَئَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا	٧٤	٣٦
٢٤٧.	وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاَسْأَلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ	١٠١	١٢٧

سورة الكهف

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٤٨.	وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ	٤٩	٩٤
٢٤٩.	أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ	٧٩	٦٨

سورة مريم			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٥٠.	فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا	٥	٥٢
٢٥١.	وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَّتْ مِنْ أهلكَ مَكَانًا شَرْقِيًّا	١٦	١٤٨
٢٥٢.	قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا	٢٣	١٤٨
٢٥٣.	فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا	٢٤	١٤٩
٢٥٤.	فَأشارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا	٢٥	١٤٩
٢٥٥.	فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ	٥٩	١٠١
٢٥٦.	رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ	٦٥	٣٧
٢٥٧.	وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا	٧١	١٦٤ ، ٩٤
٢٥٨.	ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَنَجَّرَ الظَّالِمِينَ فِيهَا جَنَّتِهَا	٧٢	٩٤
٢٥٩.	أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوزُّهُمْ أَرَا	٨٣	١٦١
٢٦٠.	تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَتَشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا	٩٠	٥٣
٢٦١.	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا	٩٦	٥٨
سورة طه			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٦٢.	كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي	١٨	٧٣
٢٦٣.	وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا	٤١	١٢٢
٢٦٤.	أَذْهَبًا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا	٤٣	١٢٤
٢٦٥.	فَإِذَا حِيلَ لَهُمْ وَعَصِيهِمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ	٦٦	١٢٦
٢٦٦.	أَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ	٦٧	١٢٦
٢٦٧.	قَلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ	٦٨	١٢٦
٢٦٨.	وَأَلْقَ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْفَفًا مَّا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ	٦٩	١٢٦
٢٦٩.	فَأَلْقَى السِّحْرَ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ	٧٠	١٢٦
٢٧٠.	وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا	٧٧	١٢٨
٢٧١.	يَوْمَئِذٍ لَّا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا	١٠٩	١٠٢
٢٧٢.	وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا	١٢٤	٨٧

سورة الأنبياء			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٧٣.	ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ	٩	١٥٣ ، ١٣٦ ، ٦٤
٢٧٤.	وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنَ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ	٢٨	١٠٢
٢٧٥.	وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ	٥٧	١٤٠
٢٧٦.	ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ	٦٥	١٤٠
٢٧٧.	قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ	٦٨	١٤٠ ، ١٣٨
٢٧٨.	فُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ	٦٩	١٤١
٢٧٩.	لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُّوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ	٦٩	١٦٥
٢٨٠.	وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ	٧٠	١٤١
٢٨١.	وَتَوَحَّا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ	٧٦	١١١ ، ١١٠
٢٨٢.	وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ	٨٧	١٤٦ ، ٦٤
٢٨٣.	فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ	٨٨	١٤٧
٢٨٤.	إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ	١٠٢	٩١
سورة الحج			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٨٥.	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ	١	٩١
٢٨٦.	أَنْ اللَّهُ يَدَافِعَ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا	٣٨	١٥
سورة المؤمنون			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٨٧.	وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ	٨	٣٥ ، ٣٤ ، ٣٢
٢٨٨.	أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ	١٠	٣٥
٢٨٩.	إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ	٥٧	٢٠
٢٩٠.	وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ	٦١	٩٩
٢٩١.	أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ	١١٦	٢٦
سورة النور			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٩٢.	إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ	١٩	٩٧

٢٩٣	قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ	٣٠	٥٦
٢٩٤	إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ	٣٢	٦٨
٢٩٥	يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ	٣٥	٦٠
٢٩٦	يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ	٤٤	١٠٧
٢٩٧	إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ	٥١	٣٠ ، ٢٥
٢٩٨	وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ	٥٥	٢٨
سورة الفرقان			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٩٩	إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا	١٢	٨٧
٣٠٠	وَيَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمِ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ	٢٧	٧٦
٣٠١	وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ	٧٤	٥٢
سورة الشعراء			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٠٢	قَالَ لئنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ	٢٩	١٢٥
٣٠٣	قَالَ أَوْلَوْ جِنَّتَكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ	٣٠	١٢٥
٣٠٤	قَالَ فَآتَ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ	٣١	١٢٥
٣٠٥	يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ	٤٩	١٠
٣٠٦	إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِطُونَ	٥٤	١٢٨
٣٠٧	فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ	٦١	١٢٩
٣٠٨	وَأَنْجَبْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ	٦٥	١٢٩
٣٠٩	قَالُوا لئنِ لَمْ تَنْتَهَ يَا نُوحُ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ	١١٦	١١٠
٣١٠	أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ* فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ	١٤٦	١١٢
٣١١	قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا	١٥٣	١١٢ ، ١٢٠
٣١٢	قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ	١٥٥	١١٢
٣١٣	كَذَّبَتْ قَوْمٌ لوطَ الْمُرْسَلِينَ	١٦٠	١١٥
٣١٤	فَنَجَّبْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ	١٧٠	١١٧
٣١٥	ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا	١٧٢	١١٨
٣١٦	كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ* إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ	١٧٦	١١٨
٣١٧	فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ	١٨٩	١٢١

سورة النمل			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٣١٨.	لَوْ لَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ	٤٦	٤٨
٣١٩.	وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ	٤٨	١١٤
٣٢٠.	وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرَنًا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ	٥٠	١١٤
٣٢١.	فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاَهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ	٥١	١١٤
٣٢٢.	وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ	٥٣	١٣٥
٣٢٣.	فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ	٥٧	٧
سورة القصص			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٢٤.	وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا	١٤	٧٧
٣٢٥.	وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا	١٥	١٢٢
٣٢٦.	قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ	١٥	١٢٤
٣٢٧.	فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ	١٨	١٢٣
٣٢٨.	وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى	٢٠	١٢٢ ، ١٢٤
٣٢٩.	يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ	٢٠	١٥٣
٣٣٠.	فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ	٢٥	١٢٤
٣٣١.	قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ	٣٣	١٢٢
٣٣٢.	فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطَّيْنِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا	٣٨	١٢٨
٣٣٣.	وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرْتِ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ	٥٨	٧٢
٣٣٤.	وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ	٧٧	٤٠
٣٣٥.	قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي	٧٨	٧٤
سورة العنكبوت			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٣٦.	أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ	٢	١ ، ٣٧
٣٣٧.	وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا	٨	٥٥
٣٣٨.	فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا	١٤	١١٠
٣٣٩.	فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ	١٥	١١١
٣٤٠.	فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ	٢٤	٧ ، ١٤١

١١٦	٢٨	وَلَوْ طَآءً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنِّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ	٣٤١.
١	٣٣	إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ	٣٤٢.
٤٥			٣٤٣.
١٣٣	٥٦	يَا عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّي أَرْضِي بِأَسِعَةٍ فَيَأْتِي فَاغْبُدُونَ	٣٤٤.

سورة الروم

م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٤٥.	فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا	٣٠	٨١
٣٤٦.	وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ	٤٧	١٣٥

سورة لقمان

م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٤٧.	وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ	١٣	٧٩ ، ٧٨
٣٤٨.	يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ	١٣	١٤
٣٤٩.	وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ	١٤	٥٥
٣٥٠.	وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا	١٥	٥٥
٣٥١.	يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِنْتَقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ	١٦	٧٩
٣٥٢.	يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ	١٧	٨٠
٣٥٣.	وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا	١٩	٨٠
٣٥٤.	وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ	٢٢	١٧

سورة الأحزاب

م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٥٥.	وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ	٧	٢٩
٣٥٦.	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ	٩	١٣٦
٣٥٧.	إِذْ جَاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ	١٠	١٣٦
٣٥٨.	وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ	١٢	١٣٦
٣٥٩.	مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ	٢٣	٣١
٣٦٠.	وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا	٣٦	٧٦
٣٦١.	سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا	٦٢	١٥٦
٣٦٢.	إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا	٦٤	١٠٠
٣٦٣.	إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ	٧٢	٤٠

سورة سبأ			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٦٤.	لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ	١٥	٧٢
٣٦٥.	وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ	٣٩	٧١
سورة فاطر			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٦٦.	إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ	٢٨	٧٧ ، ٢٢
٣٦٧.	ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا	٣٢	١٦٤ ، ١٦٢
٣٦٨.	فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ	٣٢	١٦٦
٣٦٩.	وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا	٣٦	١٦٤
٣٧٠.	وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا	٤٥	١٥٦
سورة يس			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٧١.	أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ	٦٠	٢٩
سورة الصافات			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٧٢.	قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ	٥١	٣٧
٣٧٣.	وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ	٧٥	١١١
٣٧٤.	رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ	١٠٠	٥٢
٣٧٥.	وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ	١١٥	٦٤
٣٧٦.	وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ	١٣٩	١٤٦
٣٧٧.	فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ	١٤٤	١٤٧
٣٧٨.	فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ	١٤٧	١٤٧
سورة ص			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٧٩.	فَاسْتَعْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ	٢٤	٦٦
٣٨٠.	قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ	٨٢	١٣

سورة الزمر			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٨١.	قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ	٩	٧٧
٣٨٢.	قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا	١٠	١٣٣
٣٨٣.	اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ	٢٣	٤٦
٣٨٤.	قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ	٥٣	٤٨
٣٨٥.	وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ	٥٤	١٥٦ ، ٢٤
٣٨٦.	وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ	٦١	١٥٨ ، ١٠٧ ، ٩٨ ، ٨١
٣٨٧.	وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ	٦٥	٧٩
٣٨٨.	فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ	٧٤	١٧٤
سورة غافر			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٨٩.	وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْمَآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ	١٨	١٠٣
٣٩٠.	وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ	٢٦	١٢٦
٣٩١.	وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا	٢٨	١٥٣ ، ١٣٢ ، ١٢٧
٣٩٢.	قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ	٢٩	١٥٤
٣٩٣.	يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ	٢٩	١٥٤
٣٩٤.	وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ	٣٠	١٥٤
٣٩٥.	ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ	٣٦	١٥٣
٣٩٦.	وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أبلغُ الْأَسْبَابَ	٣٦	١٥٤ ، ١٢٧
٣٩٧.	وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ	٣٧	١٢٨
٣٩٨.	يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ	٣٩	١٥٥
٣٩٩.	وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ	٤٠	٨
٤٠٠.	وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ	٤٢	١٥٥ ، ١٥٣ ، ٨
٤٠١.	فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ	٤٤	١٥٥
٤٠٢.	فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ	٥٥	١٥٥
٤٠٣.	وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ	٦٠	٦٧
٤٠٤.	وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ	٦٨	١٥٣

١٥٦	١٦٥	النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ	٤٠٥
سورة فصلت			
الصفحة	رقمها	الآية	م
٨٤	٦	فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ	٤٠٦
١٣	١٨	وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ	٤٠٧
٩٨	٢٣	وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ	٤٠٨
٨٣	٣٠	إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ	٤٠٩
١٠	٤٦	مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ	٤١٠
سورة الشورى			
الصفحة	رقمها	الآية	م
١٨	٢٠	مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ	٤١١
١٥٦	٣٠	وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ	٤١٢
١٧٣	٣٦	وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ	٤١٣
سورة الزخرف			
الصفحة	رقمها	الآية	م
٩٦	٣٦	وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَبِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ	٤١٤
سورة الدخان			
الصفحة	رقمها	الآية	م
١٢٩	٢٤	وَاتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ	٤١٥
١٢١	٣٠	وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ مِنْ فِرْعَوْنَ	٤١٦
سورة الجاثية			
الصفحة	رقمها	الآية	م
٢٥	٢٣	أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ	٤١٧
سورة محمد			
الصفحة	رقمها	الآية	م
١٨٢	١٢	وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ	٤١٨
١٧	١٥	مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ	٤١٩
٢٦	٢٩	كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ	٤٢٠
٦٠	٣٥	وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ	٤٢١

سورة الفتح			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٤٢٢.	إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ	١٠	٣٢ ، ٣١
٤٢٣.	وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا	١٠	٢٨
٤٢٤.	مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ	٢٩	١٧٤

سورة ق

م	الآية	رقمها	الصفحة
٤٢٥.	وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ	١٩	٨١

سورة الذاريات

م	الآية	رقمها	الصفحة
٤٢٦.	فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ	٥٠	٢٣
٤٢٧.	إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ	٥٦	٥٢
٤٢٨.	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ	٥٦	٨٠

سورة القمر

م	الآية	رقمها	الصفحة
٤٢٩.	كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ	٩	١١٠
٤٣٠.			
٤٣١.			١١٧

سورة الرحمن

م	الآية	رقمها	الصفحة
٤٣٢.	وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ	٤٦	٢٠

سورة الواقعة

م	الآية	رقمها	الصفحة
٤٣٣.	وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ	٧	١٦٠
٤٣٤.	فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ* فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ	٨٨	١٥٨

سورة الحديد

م	الآية	رقمها	الصفحة
٤٣٥.	يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا	١٣	٩٤
٤٣٦.	وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ	١٣	٩٨

١٧٧	١٣	٤٣٧. فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ
٩٥	١٤	٤٣٨. يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ
٨٤	١٩	٤٣٩. وَالشَّهَادَاءِ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ

سورة الحشر

م	الآية	رقمها	الصفحة
٤٤٠.	كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلنَّاسِ	١٦	٧٨
٤٤١.	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَانْتَظِرُوا نَفْسًا مَّا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ	١٨	٢٣ ، ٢٤
٤٤٢.	لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة	٢٠	١٠٥

سورة الممتحنة

م	الآية	رقمها	الصفحة
٤٤٣.	لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين	٨	٥٥

سورة الصف

م	الآية	رقمها	الصفحة
٤٤٤.	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ	١٠	٨ ، ٤٧ ، ١٠

سورة الجمعة

م	الآية	رقمها	الصفحة
٤٤٥.	فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ	١٠	٧١

سورة التغابن

م	الآية	رقمها	الصفحة
٤٤٦.	فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ	٨	٦٠
٤٤٧.	وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ	٩	٩٩
٤٤٨.	فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ	١٦	٧١

سورة الطلاق

م	الآية	رقمها	الصفحة
٤٤٩.	وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا	٢	١٥ ، ٧٠ ، ٦٨ ، ٤٦
٤٥٠.	وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ	٣	١٧٣

سورة التحريم			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٤٥١.	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا	٦	٧٨ ، ٩٨
٤٥٢.	وَضْرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ	١١	٨

سورة الملك

م	الآية	رقمها	الصفحة
٤٥٣.	هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا	١٥	٦٩ ، ٧١

سورة المعارج

م	الآية	رقمها	الصفحة
٤٥٤.	تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ	٤	١٥٨
٤٥٥.	يُبَصِّرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنَبِيِّهِ	١١	٨٧
٤٥٦.	يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنَبِيِّهِ	١٢	٦٢
٤٥٧.	وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ	٢٤	٧١

سورة نوح

م	الآية	رقمها	الصفحة
٤٥٨.	فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا	١٠	٧٠ ، ٥٣ ، ٥١ ، ٤٨
٤٥٩.	وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا	١٢	٥٣
٤٦٠.	رَبِّ لَا تَذَرْنَا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا	٢٦	١١٠

سورة المزمل

م	الآية	رقمها	الصفحة
٤٦١.	وَمَا تَقْدَمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ	٢٠	٧١

سورة المدثر

م	الآية	رقمها	الصفحة
٤٦٢.	فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ	٤٨	١٠٢

سورة القيامة

م	الآية	رقمها	الصفحة
٤٦٣.	كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ	٢٠	٦٢

سورة الإنسان			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٤٦٤.	إِنَّمَا نُنْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا	٩	٢٢
سورة النازعات			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٤٦٥.	اذهبِ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ	١٧	١٢٤
٤٦٦.	وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ، وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ	٤٠	٢٠
سورة عبس			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٤٦٧.	يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ	٢٤	٩١
سورة الانشقاق			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٤٦٨.	فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ	٧	٩٣ ، ٩٤
سورة البروج			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٤٦٩.	كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ	١٤	٥٩
سورة الشرح			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٤٧٠.	إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا	٦	٦٥
سورة النصر			
م	الآية	رقمها	الصفحة
٤٧١.	فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا	٣	٥٣

فهرس الأحاديث النبوية

رقم الصفحة	الحديث	م
١٨٢	أترون هذه طارحة ولدها في النار١
٨١	اتق الله حيثما كنت٢
٣٠	أتيت رسول الله وفي عنقي الصليب٣
٦٦	احفظ الله يحفظك٤
١٦٦	آخر أهل الجنة دخولاً٥
٣٣	أدّ الأمانة إلى من ائتمنك٦
٥٨	إذا أحب الله العبد نادى جبريل٧
٣٥	إذا حدث الرجل حديثاً٨
٣٤،٩٦	أربع من كن فيه كان منافقاً٩
٨٠	أكمل المؤمنين إيماناً١٠
٤٥	ألا أخبركم بخير أعمالكم١١
١٢	ألا وإن في الجسد مضغة١٢
١٨١	أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون١٣
١٩ ، ١٢	إن أقواماً بالمدينة خلفنا ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلا كانوا معنا١٤
٥٩	إن العبد إذا أخطأ خطيئة١٥
٨١	إن العبد ليبلغ بحسن خلقه١٦
٤٨	إن العبد ليذنب الذنب١٧
٢٨	إن الله أخرج جميع نرية آدم من ظهور الآباء١٨
١٧٥	إن الله سبحانه سيخلص رجلاً من أمتي١٩
١٢	إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم٢٠
١٧٦	إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كفه٢١
٧٦	إن الله يرضى لكم ثلاثاً٢٢
٨٨	إن المؤمن في قبره لفي روضة خضراء٢٣
١٢	إن المؤمن ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم	.٢٤
٩١	إن الميت إذا وضع في قبره٢٥
٤١	إن الناس إذا رأوا الظالم٢٦

رقم الصفحة	الحديث	م
١٣١	إن النبي كان يصلي عند البيت	٢٧.
٥٥	إن أمي زارتي وهي مشركة	٢٨.
١٧٤	إن أول ثلثة تدخل الجنة الفقراء المهاجرون	٢٩.
١٣٣	إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده	٣٠.
٣٣	إن حق الشروط أن يوفى	٣١.
١	إن عظم الجزاء مع عظم البلاء	٣٢.
١٧٦	إن في الجنة مائة درجة	٣٣.
٥٨	إن للحسنة ضياءً في الوجه	٣٤.
٨٥	إن لم تقتلوا تموتوا	٣٥.
٥٥	إن من أبر البر	٣٦.
١٥،٤٩	إن يونس كان وعد قومه العذاب	٣٧.
١٠٤	أنا أول الناس يشفع في الجنة	٣٨.
٣٣	إنا نعطيك ما سألتنا	٣٩.
٧٤	انتهيت إلى النبي ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة	٤٠.
٥٦	إنطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم	٤١.
١٠٥	إنكم تختصمون إلي	٤٢.
٥٤	إنكم تذنبن بالليل والنهار	٤٣.
٥٣	إنه ليغانّ على قلبي	٤٤.
١٨١	إنني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها	٤٥.
٦٠،١٧٢	أول زمرة يدخلون الجنة	٤٦.
٧٩	أي الذنب أعظم	٤٧.
٧٦	إياكم ومحدثات الأمور	٤٨.
٥٩	إياكم ومحقرات الذنوب	٤٩.
١٣٣	بعثنا النبي ﷺ إلى النجاشي	٥٠.
١٠٧	بلغني أن رجالاً منكم يحدثون أحاديث	٥١.
١٠٣،٩٢	تدنو الشمس يوم القيامة من رؤوس الخلق	٥٢.
٢٧	تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يُخرجه إلا جهاداً في سبيلي	٥٣.
٣٧	تعرض الفتن على القلوب	٥٤.

رقم الصفحة	الحديث	م
٢٥	ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان٥٥
٢٣	ثلاث منجيات٥٦
٥٤	ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة٥٧
١٠٢،١٠٤	ثم أشفع فيحد لي حداً٥٨
٩٥	ثم يؤتى بالجرس فيجعل بين ظهري جهنم٥٩
١٣٥	جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ٦٠
١٧٨	حتى إذا فرغ الله من القضاء٦١
١٦٣	حتى يخرج من النار من قال لا إله إلا الله٦٢
١٧٥	خمس صلوات في اليوم واللييلة٦٣
١٤١	دخلت امرأة على السيدة عائشة٦٤
٦٧	دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت٦٥
٧٧	الدنيا ملعونة ملعون ما فيها٦٦
٢٦	ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً٦٧
٩٢	رباط شهر خير من قيام دهر٦٨
٩٠	رباط يوم وليلة خير من قيام شهر٦٩
٥٤	رغم أنفه ثم رغم أنفه٧٠
١٣٨	سأل عائشة عن قوله تعالى {حتى إذا استيأس الرسل}٧١
٩٢	سبعة يظلهم الله تحت ظله٧٢
٩٠	سورة من القرآن ثلاثون آية٧٣
١٨٠	شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي٧٤
٤٦	الشيطان جاثم على قلب ابن آدم٧٥
٥١	صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح بالحديبية٧٦
٦٥	ضحك ربنا من ذنوب عباده٧٧
٤٩	العجب ممن يهلك ومعه النجاة٧٨
٦٩	عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير٧٩
١٧٣	عرضت علي الأمم٨٠
٨٩	فأخبراني عما رأيت قالوا: نعم، أما الذي رأيت٨١
٧٢	فليتق أحدكم النار ولو بشق تمرة٨٢

رقم الصفحة	الحديث	م
١٦٥	فناج مسلم وناج مخدوش	٨٣.
١٨١	فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم	٨٤.
٢٢	فوالله إني لأعلمكم بالله	٨٥.
١٠٣	فيأتوني فيقولون يا محمد أنت رسول الله	٨٦.
١٠٤	فيقول الله قد شفعت الملائكة	٨٧.
٩٧	فيهم فلان ليس منهم	٨٨.
١٧٩	القضاة ثلاثة	٨٩.
١٩	قيل لعمر بن الخطاب حدثنا عن ساعة العسرة	٩٠.
٢٢	كان رجل يسرف على نفسه	٩١.
٨٢	كان رسول الله ﷺ يدخل يديه في الماء	٩٢.
١٨	كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً	٩٣.
١٦٣	كل ابن آدم خطاء	٩٤.
١٨٠	كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ	٩٥.
١٣٥	كنت مع النبي ﷺ في الغار	٩٦.
٦٧	لا إله إلا الله العظيم الحليم	٩٧.
٢٥	لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه	٩٨.
٩٩	لا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء	٩٩.
٩٤	لا يدخل النار إن شاء الله	١٠٠.
٥٦	لا يزيد في العمر إلا البر	١٠١.
٩٦	لا يستقيم إيمان عبد	١٠٢.
٧١	لأن يأخذ أحدكم حبله	١٠٣.
١٣٣	لقد أخفت في الله عز وجل وما يخاف أحد	١٠٤.
٣٦	لقب ابن آدم أشد انقلاباً	١٠٥.
١٠٢	لكل نبي دعوة مستجابة	١٠٦.
٩٢	للشهيد عند ربه ست خصال	١٠٧.
١٢	لله أشد فرحاً بتوبة عبده ...	١٠٨.
١٤	لما نزل قوله الله تعالى {الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم}	١٠٩.
٦٨	اللهم أحييني مسكيناً وأمّتي مسكيناً	١١٠.

رقم الصفحة	الحديث	م
٦٧	اللهم إني أسلمت وجهي إليك	١١١
٦٨	اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقير	١١٢
٧٥	اللهم إني أعوذ بك من أن أضل أو أضل	١١٣
٧١	اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار	١١٤
٦٧	اللهم لك أسلمت وبك آمنت	١١٥
١٦٣٦	لو لم تذنبوا لذهب الله بكم	١١٦
٥٢	ليأتين على الناس زمان	١١٧
١٧٢	ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً	١١٨
٩٣	ليس أحد يحاسب يوم القيامة	١١٩
١٣١	ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله	١٢٠
٧١	ما أكل أحد طعاماً قط	١٢١
١٦	ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم	١٢٢
٧٣	ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم	١٢٣
٤٧	ما عمل آدمي عملاً قط	١٢٤
٣٤	ما غرت على أحد من نساء النبي	١٢٥
٥٧	ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه	١٢٦
٤٢	ما من ذنب أجدر إن يعجل لصاحبه العقوبة	١٢٧
٨١	ما من شيء أثقل في الميزان	١٢٨
١٧	ما من عبد قال لا إله إلا الله	١٢٩
١٧٥	ما من عبد يصلي الصلوات الخمس	١٣٠
٣٤	ما منعتني أن أشهد بديراً	١٣١
٩٣	ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة	١٣٢
١٠٠	ما نقصت صدقة من مال	١٣٣
١٠٩	ما نهيتكم عنه فاجتنبوه	١٣٤
٨١	ما يجد الشهيد من مس القتل	١٣٥
٨٨	مات رجل يرون أن عنده ورعاً	١٣٦
٤٣	مثل القائم على حدود الله والواقع فيها	١٣٧
٨٨	مر النبي بحائط من حيطان المدينة	١٣٨

رقم الصفحة	الحديث	م
٦٤	من أصبح منكم معافى في جسده	١٣٩.
٧٠	من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً	١٤٠.
٩٢	من أنظر معسراً أو وضع عنه	١٤١.
٢٣	من خاف أدلج	١٤٢.
٣١	من خلع يداً من طاعة	١٤٣.
٤٤	من رأى منكم منكراً فليغيره بيده	١٤٤.
٩٧	من رد عن عرض أخيه المسلم	١٤٥.
٥٥	من سره أن يبسط له رزقه	١٤٦.
٨٧	من سره أن يزحزح عن النار	١٤٧.
٧٧	من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً	١٤٨.
١٦٨	من عادى لي ولياً	١٤٩.
٧٩	من كانت الدنيا همه	١٥٠.
٩٠	من يقتله بطنه	١٥١.
١٨٠	من يقل علي مالم أقل	١٥٢.
٨٧	موضع سوط أحدكم في الجنة	١٥٣.
٥٧	النظرة سهم من سهام إبليس	١٥٤.
٤٤	والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف	١٥٥.
٤٩	والذي نفسي بيده لو لم تذبوا	١٥٦.
٧٩	وحق العباد على الله ألا يعذب من جاء لا يشرك به شيئاً	١٥٧.
٩٥	ودعوة الرسل يومئذ اللهم سلم	١٥٨.
١٧٢	وعندي ربي أن يدخل الجنة من أمتي	١٥٩.
٢٣	وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين	١٦٠.
٧٠	وقال الثاني اللهم إنه كان لي ابنة عم أحبها	١٦١.
٧٦	وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده	١٦٢.
٢٧	ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل	١٦٣.
١٧٥	وما تقرب إلي عبدي بشيء	١٦٤.
٩٣	ويضرب الصراط بين ظهري جهنم	١٦٥.
٨٧	يوثى بجهنم يوم القيامة	١٦٦.

رقم الصفحة	الحديث	م
١٠٥	يؤتى يوم القيامة بأنعم أهل الأرض	١٦٧.
٥٣	يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني	١٦٨.
٤٤	يا أيها الناس إنكم تفرعون هذه الآية	١٦٩.
٤٨	يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه	١٧٠.
١١٤	يا أيها الناس لا تسألوا نبيكم عن الآيات	١٧١.
٤٢	يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون	١٧٢.
٣٠	يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد	١٧٣.
٣٧	يأتي على الناس زمان	١٧٤.
١٧	يُصاح برجل من أمتي	١٧٥.
١٢	يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة	١٧٦.
١٦٥	يعذب ناس من أهل التوحيد في النار	١٧٧.
٤٧	يقول الرب عز وجل من شغله القرآن	١٧٨.
٤٧	يقول الله تبارك وتعالى أنا عند ظن عبدي بي	١٧٩.
٦٨	يقول الله جل وعلا للعبد يوم القيامة	١٨٠.
١٣٩	يلقى إبراهيم أباه أزر	١٨١.
٩٩	ينادي مناد يوم القيامة	١٨٢.
٩٧	يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان	١٨٣.

فهرس الأعلام المترجم لهم

رقم الصفحة	الاسم	م
٣٤	حسيل بن جابر بن ربيعة	.١
٤١	مسعر بن كدام بن ظهير	.٢
٥١	زيد بن خالد الجهني	.٣
٥٧	الضحاك بن مزاحم الهلالي	.٤
٩٢	سليم بن عامر الكلاعي	.٥
١٣١	طارق بن عبد الله المحاربي	.٦

مراجع البحث مرتبة حسب حروف الهجاء

أولاً: كتب التفسير

١. أضواء البيان إيضاح القرآن بالقرآن، للفقيه إلى الله: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ط ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٢. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، ومعه حاشيته المسماة نهر الخير على أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ٥، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي - بيروت .
٤. تفسير ابن أبي حاتم، الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق : أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية - صيدا.
٥. تفسير التحرير والتنوير، تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
٦. تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر، بيروت لبنان، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٧. تفسير السراج المنير، محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
٨. تفسير الشعراوي، خواطر فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي حول القرآن الكريم، الإخراج الفني: أشرف حسين محمد.
٩. تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: تحقيق : الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، الدكتور: عبد السند حسن يمامة، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٠. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، للإمام: محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري نفع الله به المسلمين، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، ط ١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
١١. تفسير القرآن الحكيم، المشتهر باسم تفسير المنار، السيد محمد رشيد رضا، على طريقة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، دار المنار، القاهرة، ط ٢، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م.

١٢. تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠١.
١٣. تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: الشيخ محمد بيومي، والأستاذ: عبد الله المنشاوي، مكتبة جزيرة الورد ومكتبة الإيمان .
١٤. تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق: الشيخ مروان محمد الشعار، دار النفائس، بيروت ٢٠٠٥ .
١٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة - ط ١ - ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م - جزء ١
١٦. روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن، طبعة جديدة منقحة مع تخريج الأحاديث الشريفة، بقلم الشيخ محمد علي الصابوني، دار السلام للطباعة والنشر، ط ١ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
١٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف : شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الألوسي، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث، بيروت - لبنان
١٨. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
١٩. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة ، دار الوفاء، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م
٢٠. في ظلال القرآن، سيد قطب، طبعة جديدة مشروعة تتضمن إضافات وتفتيحات تركها المؤلف وتنتشر للمرة الأولى، مع المراجعة والتصويب الدقيق لما كان في الطبعة الأصلية، دار الشروق، الطبعة الشرعية السابعة عشر.
٢١. لباب النقول في أسباب النزول، للعلامة: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، خرج أحاديثه أبو عبد الله محمود بن الجميل، مكتبة الصفا، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م
٢٢. معالم التنزيل، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، عثمان ضميرية، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٢٣. الأساس في التفسير، سعيد حوى، در السلام للطباعة والنشر، ط ٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٢٤. التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، تحقيق: د. فتحي أنور الدابولي، دار الصحابة للتراث، القاهرة، ط ١، ١٩٩٢م.

٢٥. التفسير الوسيط، أ. د. وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق - سورية، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٢٦. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، عبد السند حسن يمامة، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٢٧. الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٢٨. اللباب في علوم الكتاب المؤلف: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١ - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٢٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٣٠. النكت والعيون تفسير الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

ثانياً: كتب الحديث

- ١- جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، ت ٦٠٦هـ، تحقيق: عبد القادر الأرنبوط، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، ط ١ ١٢ مجلد.
- ٢- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تأليف الإمام الحافظ الفقيه زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي - تحقيق: وليد بن محمد بن سلامة - مكتبة الصفا - ط ١ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- ٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة يشمل جميع أحاديث السلسلة الصحيحة مجردة عن التخريج مرتبة على الأبواب الفقهية، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور ابن حسن آل سليمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع لأسعد الراشد بالرياض، ط ٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

- ٤- سنن أبي داود، تصنيف: أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، حكم على أحاديثه وعلق عليه العلامة: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، ط ١. عليها حكم الألباني.
- ٥- سنن ابن ماجة، تصنيف: أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، الشهير بابن ماجة، حكم على أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، واعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض. عليها حكم الألباني.
- ٦- سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، ١٤١٤ - ١٩٩٤.
- ٧- سنن الترمذي، وهو الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ، ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل المعروف بجامع الترمذي، للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط ١ عليها حكم الألباني.
- ٨- سنن النسائي، تصنيف: أبي عبد الرحمن بن شعيب بن علي الشهير بالنسائي، حكم على أحاديثه وعلق عليه العلامة محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط ١ عليها حكم الألباني.
- ٩- شرح رياض الصالحين، الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي، نسخة محققة المتن والشروح والمسائل الفقهية، شرح فضيلة الشيخ: محمد بن صالح بن عثيمين، تحقيق: صلاح الدين محمود، دار الغد الجديد، المنصورة.
- ١٠- صحيح مسلم بشرح النووي، للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، راجع ضبطه وخرج أحاديثه وعلق عليه الأستاذ محمد محمد تامر، دار الفجر للتراث القاهرة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ١١- شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٠.
- ١٢- صحيح الإمام البخاري المسمى الجامع ال صحيح المختصر، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المغيرة الجعفي البخاري، قام على نشره علي بن حسن ابن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، الزهراء للإعلام العربي.
- ١٣- صحيح مسلم الإمام، الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية.

- ١٤ - صحيح الترغيب والترهيب، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد، الرياض، ط ١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ١٥ - غريب الحديث ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن عبيد الله بن حمادي بن أحمد بن جعفر الشهير بابن الجوزي، تحقيق : د. عبد المعطي أمين قلعجي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط ١ ، ١٦٨٥م.
- ١٦ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ: أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، مكتبة مصر ، تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن باز، ومحمد فؤاد عبد الباقي، ط ١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ١٧ - فيض القدير شرح الجامع الصغير، للعلامة المناوي ، وهو شرح نفيس للعلامة المحدث: محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي ، على كتاب الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير للحافظ السيوطي، علق عليها نخبة من العلماء الأجلاء ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م .
- ١٨ - مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، الحكم على الأحاديث لشعيب الأرنؤوط، توفي ٢٤١هـ ، مؤسسة قرطبة ، مصر .
- ١٩ - مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٢٠ - مُصنّف ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي ، تحقيق : محمد عوامة .،الدار السلفية الهندية القديمة.
- ٢١ - الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ٣ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، الأحاديث مذيّلة بأحكام الألباني عليها.
- ٢٢ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري ، مؤسسة القرطبه .
- ٢٣ - المستدرک علی الصحیحین، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- ٢٤ - الموطأ، مالك بن أنس، ويليهِ إسعاف المبطأ برجال الموطأ بمراجعة نخبة من العلماء، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الجيل بيروت ، ودار الآفاق الجديدة المغرب، ط ٢ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٢٥- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق :
طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية - بيروت ، ١٣٩٩هـ -
١٩٧٩م.

ثالثاً: كتب التوحيد

١. إغاثة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، - الطبعة الثانية المصححة- ، شرح الشيخ الدكتور:
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، مركز فجر
للطباعة، المكتبة الإسلامية بالقاهرة، أولي النهى للإنتاج الإعلامي.
٢. التذكرة في أحوال الموتى والآخرة: للإمام القرطبي - تحقيق: الشحات أحمد الطحان - دار
المنار ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٣. شرح العقيدة الطحاوية ، تأليف : العلامة صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز
الحنفي ، حققه وخرج أحاديثه : أبو عبد الله مصطفى بن العدوي، دار ابن رجب، ط١،
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٤. الجنة والنار: سلسلة العقيدة في ضوء الكتاب والسنة ، اليوم الآخر ،: لعمر سليمان الأشقر -
دار النفائس - ط ٨ - ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٥. الروح ، للإمام ابن قيم الجوزية ، تحقيق: عادل عبد المنعم أبو العباس ، مكتبة القرآن.
٦. القيامة الصغرى "سلسلة العقيدة في ضوء الكتاب والسنة" اليوم الآخر - الدكتور: عمر
سليمان الأشقر - دار النفائس للنشر والتوزيع ، الأردن - ط ١٢ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م
٧. القيامة الكبرى "سلسلة العقيدة في ضوء الكتاب والسنة" اليوم الآخر - الدكتور: عمر سليمان
الأشقر - دار النفائس للنشر والتوزيع ، الأردن - ط ١٢ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

رابعاً: كتب الأخلاق

- ١- إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار المعرفة بيروت
- ٢- أعمال القلوب ، لفضيلة الشيخ: محمد صالح المنجد ، اعتنى به قسم التحقيق بمركز الدكتور
عبد الوارث الحداد للبحث العلمي، دار الفجر للتراث ، ط١ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ٣- إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية، تحقيق
طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الصفا، ط١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ٤- ترطيب الأفواه بذكر من يظلمهم الله، تأليف الدكتور سيد حسين العفاني، قدم له أبو بكر
الجزائري، والشيخ أبو إسحق الحويني، وغيرهم، مكتبة معاذ بن جبل ، ط١ ، ١٤١٩هـ -
١٩٩٩م.

- ٥- تهذيب مدارج السالكين : كتبه الإمام ابن القيم الجوزية وهذبه عبد المنعم صالح العلي - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- ٦- سياط القلوب، عائض بن عبد الله القرني ، دار ابن حزم ط ٢.
- ٧- صيد خاطر، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، مكتبة الإيمان بالمنصورة.
- ٨- طريق الهجرتين، وباب السعادتين، لابن القيم الجوزية، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث القاهرة ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ٩- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: زكريا علي يوسف، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٠- ففروو إلى الله، أبو ذر القلموني، مكتبة الصفا الطبعة الأصلية ، ط ٤.
- ١١- مدارج السالكين: ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط ٢ ١٣٩٣هـ ، ١٩٧٣م ، تحقيق محمد حامد الفقي ، ٣ مجلدات.
- ١٢- الداء والدواء أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد عثمان الخشت ، مكتبة القرآن - القاهرة.
- ١٣- العاقبة في ذكر الموت، عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الإشيلي أبو محمد، تحقيق : خضر محمد خضر، مكتبة دار الأقصى - الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٦ - ١٩٨٦.
- ١٤- المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي - دار ابن حزم - لبنان بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ١٥- الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق : محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥ - ١٩٨٥ .

خامسا: كتب السيرة والتاريخ وتراجم الرجال

١. أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشهير بابن الأثير، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان، ط ١ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٢. تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي ، تحقيق : د. بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٤٠٠ - ١٩٨٠م.
٣. صحيح قصص الأنبياء، تأليف: الحافظ المفسر المحدث الفقيه الورخ الإمام: أبي الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، بقلم: أبي أسامة سليم عيد الهلالي السلفي الأثري - مؤسسة غراس للنشر والتوزيع ، ط ١٠ - ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٤. فقه السيرة ، محمد الغزالي - دار الكتب الحديثة لصاحبها توفيق عفيفي خرج أحاديثه الألباني ، ط ٧ ١٩٧٦ م.
٥. قصص القرآن ، تأليف: محمد أحمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي البجاوي ، السيد شحاته، دار التراث بالقاهرة ، ط ٣ ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ .
٦. نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ، تأليف الشيخ محمد الخضري ، حققه سمير أحمد العطار - دار الحديث ط ١ ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
٧. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق : علي محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت ، ط ١٤١٢ ، ٨ أجزاء .
٨. البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ ، دقق أصوله وحققه د. أحمد أبو مسلم ، د. علي نجيب ، وغيرهم ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
٩. الثقات ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد ، دار الفكر، ط ١ ١٣٩٥ - ١٩٧٥ ، ٩ مجلدات.
١٠. الرحيق المختوم ، بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، تأليف فضيلة الشيخ، صفي الرحمن المباركفوري، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ، دار المستقبل ، ط ١ ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
١١. السيرة النبوية لأبي محمد عبد الملك بن هشام ، دار الفجر للتراث، ط ٢ ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
١٢. السيرة النبوية دروس وعبر ، د. مصطفى السباعي رحمه الله ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٩٨٨ م.
١٣. الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري ، دار صادر - بيروت.

سادسا: كتب المعاجم

١. الفروق اللغوية : ص ٢١٠ ، للإمام الأديب اللغوي : أبي هلال العسكري ، أحد أعلام القرن الرابع الهجري - حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم - دار العلم والثقافة.
٢. الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، لأبي عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني - تقديم وتحقيق عربي عبد الحميد علي - منشورات: محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية
٣. جمهرة اللغة المؤلف : ابن دريد مصدر الكتاب : الوراق .
٤. تاج العروس من جواهر القاموس الزبيدي، دار الفكر، ط ١ ، ١٩٩٤ .

٥. مختار الصحاح للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، طبعة جديدة ومنقحة ومميزة المواد، دار الحديث القاهرة، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٦. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٧. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، لبنان / بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

سابعاً: كتب أخرى

١. ديوان الإمام الشافعي، الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ١٥٠-٢٠٤هـ، جمع وتعليق الدكتور أحمد أحمد شتيوي، دار الغد الجديد- المنصورة، ط ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٢. ديوان الإمام علي - جمع وتعليق الدكتور أحمد أحمد شتيوي - دار الغد الجديد المنصورة - ط ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
٣. غذاء الألباب شرح منظومة الآداب: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية - بيروت ط ٢ - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م
٤. كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - أحمد عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية.
٥. مجموع الفتاوى، تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، أبو العباس، تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ٣٧، مجلد.
٦. مختصر منهاج القاصدين، للإمام أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي، شركة القدس.
٧. معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار الفكر بيروت.
٨. الاستنكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار:، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا-محمد علي معوض، دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١، ٢٠٠٠م، ٩ أجزاء.
٩. الوسيط في المذهب، محمد بن محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، تحقيق: أحمد محمود إبراهيم، محمد محمد تامر - دار السلام القاهرة، ط ١ - ١٤١٧هـ.

ثامنا: الشاملة الحديثة

دروس للشيخ أبو إسحاق الحويني الأثري حجازي محمد شريف، مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، موسوعة شاملة للخطب التي تم تفريغها في موقع شبكة المنبر حتى تاريخ ٢٠٠٧/٦/١٥م، ويبلغ عددها أكثر من ٥٠٠٠ خطبة، معظمها مخرجة الأحاديث، والعديد منها بأحكام الشيخ الألباني - طيب الله ثراه - وهي مفهسة بعنوان الخطبة واسم الخطيب حتى يسهل الوصول إلى موضوع معين.

تاسعا : شبكة النت

موقع محمد راتب النابلسي www.nabulsi.com

فهرست الموضوعات

المحتويات	
أ-	الإهداء
ب-	شكر وتقدير
ج-	المقدمة
١.	التمهيد
١.	النجاة لغة
٢.	النجاة إصلاحاً
٢.	النجاة في القرآن
٦.	مواضع النجاة ومشتقاتها في المكي والمدني
٨.	وجوه النجاة في القرآن الكريم
١٠.	الفصل الأول: المنجيات في القرآن الكريم
١٢.	المبحث الأول: النجاة بأعمال القلوب
١٣.	المطلب الأول: الإيمان والتقوى
١٤.	تجنب العذاب في الدنيا
١٦.	الفوز بالجنة
١٨.	المطلب الثاني: النية
١٨.	النية سبب في القبول
١٩.	الخلود في الجنة أو النار بالنيات
٢٠.	المطلب الثالث: الخوف من الله وخشيته
٢٠.	تعريف الخوف
٢٠.	منزلة الخوف وحكمه
٢١.	أنواع الخوف
٢١.	الخوف للعامة والخشية للعلماء
٢٢.	ثمره الخوف

. ٢٣	المطلب الرابع: المحاسبة والإتابة
. ٢٥	أن يكون محباً لله
. ٢٥	الخضوع لله
. ٢٦	الإقبال على الله تعالى
. ٢٧	المطلب الخامس: الوفاء بالعهد وحفظ الأمانة
. ٢٨	أقسام الوفاء
. ٢٨	القسم الأول: الوفاء بعهد الله
. ٣٢	القسم الثاني: الوفاء بعهد الناس
. ٣٦	المطلب السادس: النجاة بالثبات والصبر
. ٣٧	الثبات على الدين
. ٣٧	الثبات في الفتن
. ٣٨	الثبات في الجهاد
. ٤٠	المبحث الثاني: النجاة بأعمال الجوارح
. ٤٠	المطلب الأول: الإصلاح وعدم الفساد
. ٤٢	المطلب الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
. ٤٣	أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
. ٤٣	عاقبة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
. ٤٥	المطلب الثالث: ذكر الله
. ٤٥	قراءة القرآن أفضل أنواع الذكر
. ٤٦	الذكر فيه النجاة
. ٤٦	المطلب الرابع: الجهاد في سبيل الله
. ٤٧	الجهاد تجارة رابحة وفوز بالجنة
. ٤٨	المطلب الخامس: الاستغفار
. ٤٨	الاستغفار دعوة الأنبياء
. ٤٩	الاستغفار وقاية من الهلاك
. ٥٠	ثمرات الاستغفار

.٥٤	المطلب السادس : النجاة ببر الوالدين
.٥٤	ارتباط بر الوالدين بالتوحيد
.٥٥	بر الوالدين في الحياة وبعد الممات
.٥٥	بر الوالدين وان كانا مشركين
.٥٥	بر الوالدين سبب في سعة الرزق وإطالة العمر
.٥٦	بر الوالدين ينجي من الكربات
.٥٦	المطلب السابع : غض البصر وحفظ الفرج
.٥٧	النظر سهم يفسد على المسلم دنياه وأخرته
.٥٩	خلاصة الفصل الأول
.٦٢	الفصل الثاني : أنواع النجاة في القرآن الكريم
.٦٤	المبحث الأول: النجاة في الدنيا
.٦٤	المطلب الأول: النجاة من الكرب
.٦٥	عظم الكرب على الإنسان
.٦٨	المطلب الثاني: النجاة من الفقر
.٦٩	الاعتقاد الصحيح
.٧٠	تقوى الله
.٧٠	الاستغفار
.٧١	الاستعاذة بالله تعالى من الفقر
.٧١	الحث على الكسب
.٧١	إيتاء الزكاة
.٧١	الحث على الصدقات
.٧٢	المطلب الثالث : النجاة من زوال النعمة
.٧٢	البطر في القران
.٧٣	نعمة المال قد تسبب الطغيان
.٧٤	المطلب الرابع : النجاة من الضلال
.٧٦	الانحراف الفكري

.٧٦	عدم الالتزام بالكتاب والسنة
.٧٧	ترك العلم
.٧٨	عدم القيام بالمسئولية تجاه الشباب
.٨١	المطلب الخامس: النجاة من سكرات الموت
.٨٣	النجاة بالتثبيت عند الممات
.٨٤	النجاة بعدم الشعور بالموت
.٨٧	المبحث الثاني: النجاة في الآخرة
.٨٧	المطلب الأول: النجاة من عذاب القبر
.٨٨	أسباب عذاب القبر
.٨٩	الأعمال المنجية من عذاب القبر
.٩١	المطلب الثاني : النجاة من الفرع الأكبر والحشر
.٩٢	الرباط في سبيل الله
.٩٢	الشهيد في سبيل الله
.٩٢	من اتصف بإحدى الصفات التي يستظل صاحبها بظل العرش
.٩٣	المطلب الثالث : النجاة من الحساب والصراط
.٩٤	الحساب
.٩٤	الصراط
.٩٦	الإيمان والبراءة من الكفر والنفاق
.٩٦	مودة المؤمنين ومحبتهم
.٩٧	عدم الانجرار خلف الأمانى
.٩٨	إتباع منهج الله
.٩٨	المطلب الرابع : النجاة من النار
.٩٩	النجاة بتجنب أسباب الوقوع في الهلاك
.١٠٢	النجاة بالشفاعة
.١٠٥	خلاصة الفصل الثاني

١٠٧.	الفصل الثالث: الناجون في القرآن الكريم
١٠٩.	المبحث الأول: الأمم الناجية
١٠٩.	المطلب الأول: نجاة نبي الله نوح ومن معه
١١١.	المطلب الثاني: نجاة نبي الله صالح ومن معه
١١٥.	المطلب الثالث: نجاة نبي الله لوط ومن معه
١١٨.	المطلب الرابع: نجاة نبي الله شعيب ومن معه
١٢١.	المطلب الخامس: نجاة نبي الله موسى ومن معه
١٢٢.	نجاة موسى من القتل قبل النبوة
١٢٥.	نجاة موسى وقومه بعد النبوة
١٣٠.	المطلب السادس: نجاة النبي محمد ﷺ والمؤمنين من بطش المشركين
١٣٣.	النجاة بالهجرة إلى الحبشة
١٣٤.	النجاة بالهجرة إلى المدينة
١٣٥.	النجاة من سراقه بن مالك
١٣٦.	النجاة يوم الأحزاب
١٣٨.	المبحث الثاني : الأنبياء والأفراد الناجون
١٣٨.	المطلب الأول : نجاة إبراهيم عليه السلام من الحر
١٣٩.	مواجهة مع أبيه
١٣٩.	مواجهة قومه
١٤٢.	المطلب الثاني : نجاة نبي الله يوسف عليه السلام من القتل
١٤٦.	المطلب الثالث : نجاة نبي الله يونس من بطن الحوت
١٤٨.	المطلب الرابع : نجاة نبي الله عيسى عليه السلام من القتل
١٤٨.	ولادته
١٤٩.	مواجهتها قومها
١٤٩.	الدعوة والمعجزة
١٥٠.	اتخاذ الأنصار
١٥٠.	النجاة ورفعته إلى السماء

.١٥١	المطلب السادس: نجاة صاحب نبي الله يوسف من محنِهِ
.١٥٣	المطلب السابع: نجاة مؤمن آل فرعون من القتل
.١٥٦	خلاصة الفصل الثالث
.١٥٨	الفصل الرابع: أصناف الناجين ومراتبهم
.١٦٠	المبحث الأول: أصناف الناجين
.١٦٠	المطلب الأول: أقسام الناس يوم القيامة
.١٦٢	المطلب الثاني: أقسام المؤمنين يوم القيامة
.١٦٢	القسم الأول: الظالم لنفسه
.١٦٧	القسم الثاني: المقتصد
.١٦٨	القسم الثالث السابقون بالخيرات
.١٧١	المبحث الثاني: مراتب الناجين
.١٧٢	المطلب الأول: الذين أسعفتهم أعمالهم
.١٧٢	الذين يدخلون الجنة بغير حساب
.١٧٥	الذين لا يزيدون على الفريضة
.١٧٥	الذين غلبت حسناتهم سيئاتهم
.١٧٧	المطلب الثاني: الذين لم تسعفهم أعمالهم
.١٧٧	أصحاب الأعراف
.١٧٨	المعذبون الناجون
.١٨٢	خلاصة الفصل الرابع
.١٨٣	الخاتمة
.١٨٥	الفهارس
.١٨٥	فهرس الآيات القرآنية
.٢٠٧	فهرس الأحاديث
.٢١٤	فهرس الأعلام المترجم له
.٢١٥	المصادر والمراجع
.٢٢٥	فهرس الموضوعات

ملخص الرسالة

هذا البحث يتحدث عن موضوع من مواضيع القرآن الكريم، وهو بعنوان (النجاة في ضوء القرآن الكريم، دراسة موضوعية) حيث يتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد، وأربعة فصول وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة: وتشمل أهمية الموضوع وسبب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

التمهيد: وقد تناول الباحث فيه النجاة لغة واصطلاحاً، والنجاة ومشتقاتها بين الآيات المكية والمدنية.

الفصل الأول: المنجيات في القرآن الكريم، وقسمت فيه المنجيات إلى قسمين: الأول النجاة بأعمال القلوب: بالإيمان، والنية، والخوف، والمحاسبة، والعهد، والصبر. والثاني النجاة بأعمال الجوارح: بالإصلاح وعدم الفساد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذكر الله، والاستغفار، وبر الوالدين، وغض البصر، وحفظ الفرج.

الفصل الثاني: أنواع النجاة، وقد تناولت فيه النجاة بنوعيتها: الأول: النجاة في الدنيا: النجاة من الغم والكرب، ومن الفقر، ومن زوال النعمة، ومن الضلال، ومن سكرات الموت. والثاني: النجاة في الآخرة: النجاة من عذاب القبر، ومن الفرع الأكبر، ومن الحساب والصراط، ومن النار.

الفصل الثالث: الناجون في القرآن الكريم، حيث تناولت فيه صوراً من الأقوام والأفراد الناجين، فمن الأنبياء: نوح، وصالح، وإبراهيم، ولوط، ويوسف، ويونس وشعيب وموسى، وعيسى، ومحمد، ومن معهم، عليهم الصلاة والسلام أجمعين. ومن الأفراد: صاحب نبي الله يوسف، ومؤمن آل فرعون.

الفصل الرابع: أصناف الناجين ومراتبهم، وقد تناولت أقسام الناس يوم القيامة: المؤمن، والكافر، وأن المؤمنين أصناف منهم الظالم لنفسه والمقتصد، والسابق بالخيرات، وأن الناجين من المؤمنين يوم القيامة على مراتب: الذين أسعفتهم عمالهم، والذين لم تسعفهم أعمالهم.

الخاتمة: وضمنتها أهم النتائج والتوصيات.

الملخص باللغة الإنجليزية

The message summary

This research talks about a subject of the Holy Quran subjects with the title of (deliverance in the light of The Holy Quran, an objective study) whereas this research consists of an introduction, preparatory section, four sections and a conclusion as follows:-

The introduction: includes the importance of the subject and its choice reason, the research aims , the previous studies and the research method.

The preparatory section: The research takes the delivery belonging to language and delivery and its deliverations between Makeya and Madaneyya.

The first section:-deliverers in the Holy Quran and the deliverers were divided into two parts:

The first is to deliver by hearts actions: faith, intention, fear, considering, promise and patience.

The second part is to deliver by the body parts by improving and not spoilt, order the favour and stop the abomination, to remember Allah, to ask for forgiveness, to make good for parents to lower one s eyes and keep the penis from doing worse.

The second Section: Deliveries kinds and this takes the delivery in its two kinds. The first ,delivery in the world: delivery from sadness and distress, from poverty ,from happiness disappearance from the loss, death pang .

The second delivery in the last life: delivery from grave torture, from the huge fear, the punishment and path and from hell.

The third section: The people who delivers in the Holy Quran, whereas it takes examples from the people who delivers among the prophets are Nouh, Saleh. Ibrhim, Lout, Yousef, Younes, Shoayb, mosa, lessa and Mohammad and all who were with them peace be upon them all and from the men and from the friend of Allah s prophet Yousef and Pharoan family belief.

The four section, the deliveries kinds and their ranks and this takes people types in the judge day, the faithful and the faithless, and that the believers are kind among them are unjust to himself, the good preceding and the deliveries from believers in the judge day are kinds. The one who their actions save them and those whose actions did not save them .

The conclusion:- The important results and recommendations included it.